www.ibtesamh.com/vb

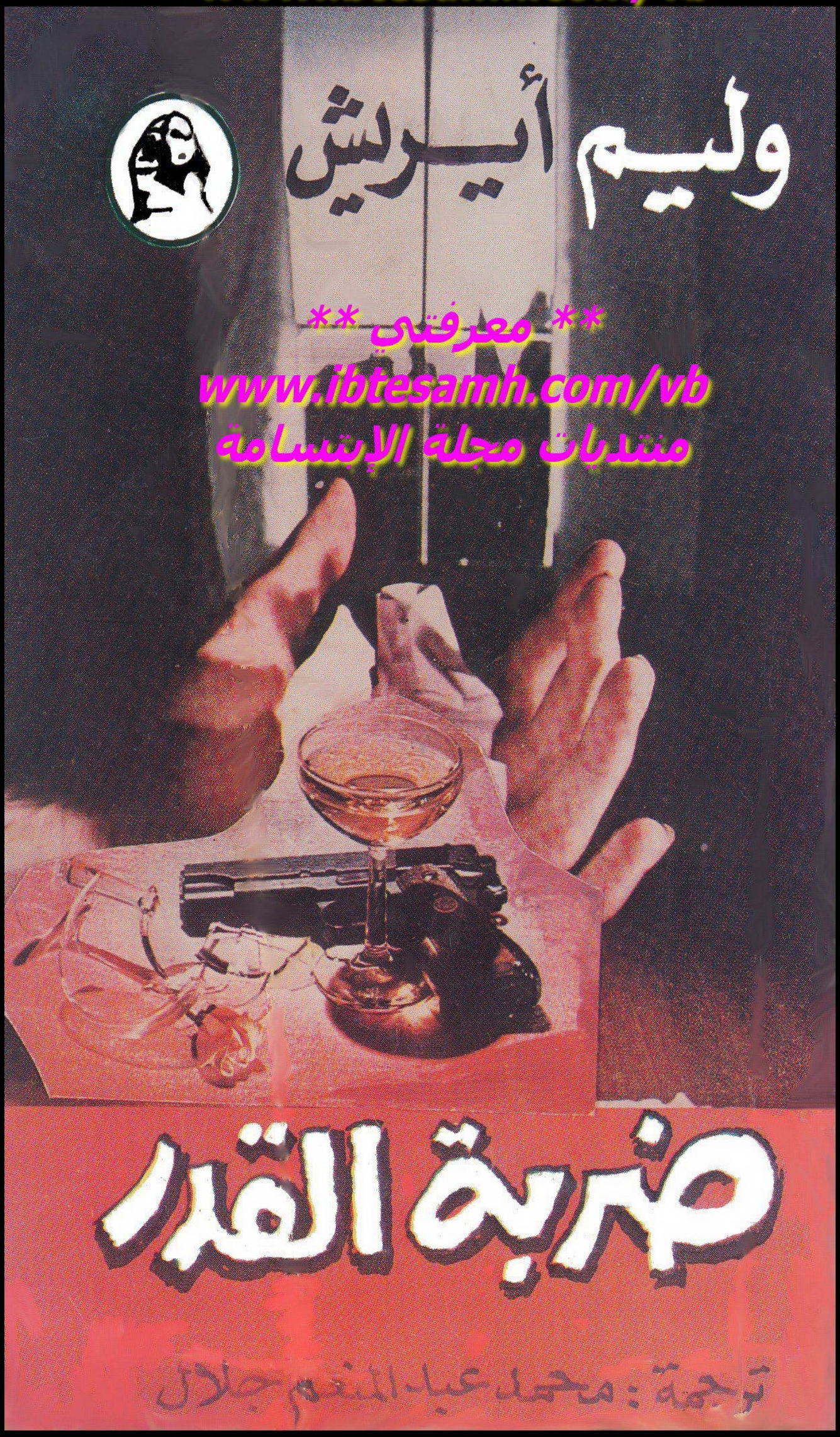

ولـيـم أيـريش

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

ضربة القدر

ترجمة : محمد عبد المنعم جلال

www.ibtesamh.com/vb

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون

التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

ضربة القدر

مجلة الابتسامة

تأليف: الفريد هتشكوك
ترجمة: محمد عبد المنعم جلال

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

الساعة السادسة مساء

كانت الليلة لا تزال فى عنفوانها ، وكان هو الآخر فى عنفوانه . ولكن الليلة كانت جميلة حلوة ، أما هو فكان مكتئبا غاضبا ... وكان غضبه من ذلك النوع الذى لا يظهـــر والذى يبقى مستعرا أحيانا بضـــع ساعات . وكان هـــذا أمرا يؤسف له حقـــا لأن كل ما حوله كان يبعث على البهجة والسرور .

كانت ليلة من ليـــالى مايو ، فى ساعة المواعيـــد واللقاءات ، تلك الساعة التى يتألق فيها نصف المدينة ويتجمل لكى يلحق بالنصف الآخر ، الذى يلمع شعره ويحشو محفظته ... وفى كل مكان ، فى المطاعم ، وفى البارات ، وفى قاعات الفنادق ، وتحت الساعات ، وفى زوايا الشوارع ، فى كل مكان تسمع نفس الكلمات : ها أنذا ... هل انتظرتنى كثيرا ؟ ... بالله ما أجملك ! ... أين نذهب ؟

وفى الغرب بدت السماء نفسها مخضبة بالأحمر ، وبدت كأنها اختارت نجمتين أشد من غيرها تألقا لكى تشبكهما فى ثوبهـــا الأزرق بزرقة الليـــل . وراحت اللافتات تغمز بعيونها للمارة ... كان الجميع يسرعون الى مكان ما ، وكان الهواء الذى يستنشقونه فى تلك الساعة مشبعا برائحة الشمبانيا وبمسحة خفيفة من عطر الشائل ، مسحة كانت تدير رأسك اذا لم تكن على حذر وتسكر قلبك .

ولكنه كان يسير غير مكترث بكل هذا ، ويتقدم وقد

www.ibtesamh.com/vb

تجهمت أساريره . وكان الناس يتساءلون وهم يلتقون به عما يزعجه ، فقد كان يتدفق صحة ، وكانت أناقة ثيابه تدل على أنه من تلك الطبقة التى لا تعرف ما هى الضائقة المالية . وكان فى مقتبل الشباب لأنه لم يكن قد تجاوز الثلاثين ، ولولا امارات الضيق التى ترتسم على وجهه لبدا وسيما حقا .

ولم يكن فى نيته أن يدخل ذلك المكان ، وبدا ذلك واضحا من الطريقة التى توقف بها فجأة أمام البار . ولعله ما كان ليقف حيث وقف لو لم تسطع لافتة المحل فجأة فى اللحظة التى مر بها وأضاءت الرصيف بنورها الأحمر . ولكنه دخل .

ووجد نفســـه فى ممر طويل منخفض السقف على جانبيه غرف صغيرة ينيرها كلها نور غير مباشر بلون الذهب الأصفر . ولم يكن المكان فسيحا وكان الرواد قليلين .

ومضى قدما الى البار ، وهو نصف دائرى ويقع فى مواجهة المدخل ، وألقى بمعطفه الخفيف فوق أحد المقاعد العالية ، ثم وضع قبعته فوقه وجلس على مقعد مجاور دون أن ينظر الى يمينه أو الى يساره . ورأى فى غموض سترة بيضاء على مدى رؤيته ، فى حين سمع صوتا يقول له :

ـــ مساء الخير يا سيدى .

ـــ سكوتش .

وبينما كان يجلس رأى بطريقة لا شعورية اناء به بعض البسكويت المملح فمد يده دون أن ينظر ، ولكن أصـــابعه لم تنقبض على البسكوتة الخشنة كما كان

www.ibtesamh.com/vb

يتوقع ، وانما التقت بشيء ناعم الملمس ، فأدار رأسه وأسرع يسحب يده ، وكانت قد حطت على يد أخرى أرادات أن تأخذ بسكوتة فى نفس الوقت . وقال :

ـــ معذرة . . . تفضلى .

ثم أدار رأسه ثانية ، ولكنه لم يلبث أن عاد وألقى اليها نظرة أخرى ، وبعد ذلك لم يفارقها بعينيه .

كان الشيء الذى لفت نظره اليها هو قبعتها ، فقد كانت تشبه القرعة لا بشكلها وحجمها فحسب ، وانما بلونها الذى كان يؤذى البصر تقريبا . كانت تبدو كما لو أنها تضيء البار كله ، كما لو كانت فانوسا يابانيا ، وتبرز من وسطها ريشة طويلة رفيعة تكاد تكون أشبه بالسارية . ولم تكن هناك امرأة من ألف لترضى أن تحتمل هذا اللون ، ومع ذلك فقد كان يمكن القول أنها كانت تناسب تلك المرأة لأنها كانت تكسبها تأثيرا عجيبا ، وان كان تأثيرا أنيقا لا يثير السخرية . وفيما عدا ذلك فقد كانت تتشح بالسواد بطريقة محتشمة بحيث لا يهتم أى رجل الا بقبعتها . . . كانت تبدو كأنها نوع من الشعار بالنسبة لها أو رمز تحرير ، كما لو كانت تريد أن تقول « عندما ألبس هذه القبعة فكن على حذر لأننى أكون مستعدة عندئذ للاقدام على كل تهور » .

ولكنها اكتفت فى تلك اللحظة بأن تقضم بسكوتتها وهى تتظاهر بأنها لا تلحظ اهتمامه الشديد بها . وعندما غادر مقعده لكى يقترب منها امسكت عن الأكل وأحنت رأسها احناءة بسيطة كما لكى تقول له « اذا أردت أن تكلمنى فلن اصدك . أما ما سوف أفعل بعد ذلك فرهن بما سوف تقول » .

www.ibtesamh.com/vb

وتكلم فقال فى بساطة وفى وضوح :

ـــ هل أنت مرتبطة الليلة ؟

ـــ نعم ولا .

لم يكن ردها صدا ولا تشجيعا ، ولم تصاحبه أية ابتسامة . كانت امرأة مهذبة محترمة كما تدل الظواهر .

وعاد يقول فى رقة :

ـــ ليس فى نيتى أن أضايقك ... اذا كنت مرتبطة الليلة فقولى ذلك صراحة .

ـــ انك لا تضايقنى ... بعد

كانت تقول له صراحة أن قرارها ما زال فى الميزان . وحول عينيه الى ساعة الحائط التى تواجهها وقال :

ـــ انظرى ... ان الساعة الآن السادسة وعشر دقائق .

قالت دون أن تورط نفسها :

ـــ نعم .أ

وكان قد أخرج محفظته وأخذ منها ورقتين صغيرتين ، بلون البرتقال ، وقال :

ـــ ان معى تذكرتين لملهى الكازينو ، فى الصف الأول بأول الطرقة ، فهل يروق لك أن تأتى معى .

قالت وهى تحدق فيه مليا :

ـــ انك تسير الى غرضك سريعا .

ـــ اذا كنت على موعد فصارحينى القول لكى ابحث عن شخص آخر .

قالت وقد تألقت عيناها بوميض من الاهتمام :

ـــ انك تصر على استخدام هذين التذكرتين طبعا ؟

أجاب مكتئبا :

ـــ نعم . ان هى الا مسألة مبدأ .

www.ibtesamh.com/vb

قالت وهى تستدير نحوه شيئا ما :

ـ الحق اننى طالما أحسست بالرغبة فى أن افعل شيئا كهذا ، والأفضل أن يكون ذلك الآن ، فقد لاتعرض لى الفرصة ثانية الا بعد وقت طويل ... بهذه الطريقة ، على الأقل .

ـ ما رأيك فى أن نتفق اذن على شىء منذ الآن ؟ ... سيسهل ذلك الأمور لنا بعد أن تنتهى حفلة العرض .

ـ وما هو ذلك الشىء ؟

ـ سوف نكون زميلين لا أكثر ... شخصان يتناولان العشاء معا ، ثم يذهبان الى الملهى معا ... لا أسماء ولا عناوين ولا أية تفاصيل شخصية أخرى .

قالت وهى تمد يدها اليه دليلا على الموافقة :

ـ هذه فكرة جميلة ، يمكن أن تفلح اذا حرصنا واذا اضطررنا الى الكذب عند الضرورة .

وابتسمت لأول مرة . وكانت ابتسامة فاتنة ، هادئة ، بعيدة عن الاغراء .

وأشار الى الساقى ، وأراد أن يدفع ثمن المشروبين ولكنها قالت له :

ـ كلا ، فقد دفعت حسابى ، وكنت قد بقيت جالسة لقضاء بعض الوقت عندما دخلت أنت .

وأخرج الساقى دفتره من جيبه وكتب على الورقة : سكوتش : ٦٠ سنتا ثم انتزع الورقة وناولها له . ودفع الشاب الحساب ، ولحظ أن الدفتر مرقم وأن ورقته تحمل رقم ١٣ فارتسمت على شفتيه ابتسامة ثم أسرع خلف زميلته ، وكانت تمشى نحو الباب . ورأى

www.ibtesamh.com/vb

فتاة تجلس مع رجل فى احدى الغرف الصغيرة تتابع القبعة العجيبة بعينيها .

وأشار الى سيارة أجرة تقف على مقربة . واتفق ان مرت سيارة أجرة أخرى فى هذه اللحظة أراد صاحبها أن يختطف الزبون من زميله ، ولكن السائق الأول كان أسرع منه فى الوصول الى الباب . وكادت السيارتان أن تصطدما . وآثر السائق الثانى أن يتابع طريقه دون أن ينتظر ، وجلست المرأة فى المقعد فى حين قال الشاب للسائق الذى كان لا يزال يبدو عليه الغيظ : البيت الأبيض .

وكان سقف سيارة الأجرة مضاء فتركا النور كما هو . وسمع الشاب زميلته تضحك ضحكة قصيرة ، فرفع عينيه اليها ورآها تنظر الى صورة السائق ، وكانت معلقة بداخل التاكسى كما تقضى التعليمات بذلك . وبدت صورته أشبه بالكاريكاتور : اذنان متباعدتان وذقن غائرة وعينان جاحظتان . وكان الاسم الذى تحت الصورة يناسبها كل المناسبة . فقد كان : آل آلب .

والبيت الابيض اسم لمطعم مشهور بجودة اطعمته ... أنواره هادئة يختلف اليه الرواد لتناول اطايب الطعام فى جو من الهدوء والسكون ... لا موسيقى ولا رقص .

وافترقت عنه عند المدخل قائلة :

ــ أرجو أن تلتمس لى العذر لحظة ريثما أصلح أضرار الزمن . ولكن لا تنتظرنى ... اذهب واجلس ، وسأعرف كيف أهتدى اليك .

وفيما كان باب دورة المياه ينفتح أمامها أوتوماتيكيا رآها ترفع يديها الى مؤخرة رأسها كما لو لتخلع

www.ibtesamh.com/vb

قبعتها . ولكن الباب أخفاها عن عينيه قبل أن تتم حركتها . ولا ريب أنها آثرت أن تدخل وحدها ومن غير أن تكون قبعتها على رأسها حتى لا تلفت اليها الأنظار .

وسأله الساقى وهو يستقبله بعتبة الباب :

ـــ هل أنت وحدك يا سيدى ؟

أجاب وهو يذكر اسمه :

ـــ كلا . اننى حجزت مائدة لشخصين ... سكوت هندرسون .

كانت المائدة التى حجزها هى المائدة الوحيدة الشاغرة . وكانت تقع فى تجويف بالجدار بحيث لايمكن رؤية الجالسين اليها الا مواجهة .

وعندما دخلت القاعة من غير قبعتها دهش هندرسون ازاء التغيير الذى طرأ عليها ... بدت امامه الآن امرأة عادية متشحة بالسواد ذات شعر داكن ... كانت شيئا يتحرك لا اكثر ... لا دميمة ولا جميلة . لا طويلة ولا قصيرة ، لا أنيقة ولا ذرية الهيئة . لم تكن أكثر من امرأة عادية ولم تلفت اهتمام أحد اليها وهى تمشى . ولم يكن الساقى موجودا على كثب منها لكى يدلها الى المائدة ولكن هندرسون وقف فرأته .

وكانت تمسك بالقبعة فى يدها فألقتها فوق المقعد الثالث الموجود أمام المائدة ،وغطتها بطرف المفرش لكى لا تتلوث بدون شك .

وبينما كان يطلب الطعام دون أن يأخذ رأيها لحظ أن للساقى ثؤلول فى ذقنه . وعندما فرغ هزت رأسها موافقة ، ودار الحديث بينهما بدون صعوبة لأنهما كانا قد اتفقا على التجاوز عن كل ماله صفة الشخصية .

www.ibtesamh.com/vb

وكانت هى التى قامت بكل الجهد ولم يعاونها أبدا . وعلى الرغم من أنه كان يبدو أنه يصغى اليها فقد كان من الواضح أنه مشغول الذهن . ومن ناحيتها هى أخذت وقتا طويلا لكى تخلع قفازيها ، فقد بدأت وخلعت القفاز الأيمن ثم الأيسر على مضض . وتظاهر بأنه لم ير الدبلة فى اصبعها ، ولكنها تيقنت من العكس .

وراحت تتكلم فى سهولة وافلحت فى احترام الاتفاق الذى تم بينهما ، متجنبة كل الترهات . فتحدثت عن الجو وعن الصحف التى قرأتها وعن أنواع الطعام . وقالت :

ــ ان المدعوة مندوزا التى سنراها الليلة كانت تتكلم الانجليزية بدون أية لكنة أجنبية عند بدأت منذ سنة أو سنتين . ولكن يبدو الآن أنها تنسى الانجليزية أكثر فأكثر بعد كل حفلة من حفلاتها ، ولن يأتى موسم آخر حتى تتكلم الاسبانية بكل طلاقة .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة . لم يكن هناك شك فى أنها امرأة مثقفة ، فالمرأة المثقفة فقط هى التى يمكن أن تندفع فى مثل هذه المغامرة دون أن تفسد كل شىء بطريقة أو بأخرى . كانت تحتفظ بمسافاتها ، لا تبتعد كثيرا ولا تقترب كثيرا .

وفاجأها وهى تنظر الى ربطة ياقته فاحصة فسألها :

ــ ألا يروق لونها لك ؟ .

كانت ربطة موحدة اللون ليس بها أية رسوم . وأسرعت تقول :

ــ كلا . انها من الحرير الطبيعى ، ولكن لونها لا ينسجم مع الباقى .

www.ibtesamh.com/vb

نظر الى الربطة كما لو كان لا يدرى ماذا لبس ، وبدت عليه الدهشة وهو يرى أنه لبس هذه الربطة بالذات . وعالج عدم الانسجام الذى اشارت اليه شيئا ما بأن دس المنديل الملون الذى يظهر من جيبـــه الى الداخل بحيث اختفى تماما .

وعندما انصرفا انتظرت حتى أصبحا خارج المطعم ثم وضعت قبعتها فوق رأسها ، وما كادت تفعل حتى بدا كأنها انتعشت من جديد وأصبحت شخصا ملفتا للانظار . ودهش هندرسون للتغيير الذى طرأ عليها من جديد ... كان الأمر كما لو انك أضأت النور فجأة فى غرفة مظلمة .

وكان البواب الضخم الذى استقبلهما أمام المسرح اشبه بهؤلاء القوم الذين نراهم فى الصور الهزلية التى تنشرها مجلة نيويورك . وعندما مرت القبعة تحت انفه تقريبا تابعتها عيناه فىذهول مضحك لحظه هندرسون، ثم لم يلبث أن نسى أمره . وادركا من منظر البهو الخالى أنهما جاءا متأخرين جدا . وكان مراقب التذاكر نفسه يتأهب لمغادرة مكانه ، وقادتهما احدى العاملات الى مكانيهما وهى ترشدهما طوال الممر بنور مصباحها الكهربائى .

وكان مقعداهما فى الصف الأول على مقربة من خشبة المسرح ومرت بهما لحظة قبل أن تألف عيناهما ضوء المسرح ، وأخذا يتابعان البرنامج الذى يدور أمامهما ، وراحت تضحك من وقت لآخر . أما هو فكان يكتفى بأن يبتسم ابتسامة مقبضة . وبلغت الأضواء والضوضاء منتهاها ، ثم اسدلت الستار للاستراحة .

www.ibtesamh.com/vb

وسألها :

ـــ أتريدين الخروج لتدخين سيجارة ؟

أجابت وهى ترفع ياقة معطفها :

ـــ كلا . فلنبق هنا ، فأننا لم نجلس وقتا طويلا كغيرنا .

ولما كان الطقس حارا جدافقد خطر لهندرسون انها رفعت ياقة معطفها فى محاولة لكى لا يعرفها أحد .

وسألته بعد لحظة وهى تبتسم :

ـــ هل من عادتك أن تتسلى هكذا ؟

ورأى انه ثنى الركن العلوى من كل ورقة من الاوراق التى يتكون منها برنامجه ، وان كل المثلثات المطوية بعضها فوق بعض قد ضخمت البرنامج من اعلاه . وقال :

ـــ هذه عادة اتبعها منذ سنوات من غير أن أفطن .

وفتح الباب الذى تحت خشبة المسرح وبدأ الموسيقيون يعودون الى أماكنهم . وكان الطبال يجلس أمامهما تماما بعد الحاجز . كان له وجه فأر وكان يبدو أنه لم يخرج الى الهواء الطلق منذ عشر سنوات على الأقل . وكان جلد وجهه مشدودا على وجنتيه ، وشعره الملمع بالزيت يبدو كأنه طاقية مبتلة . وقد اهتم فى بادىء الأمر بأدواته دون أن ينظر الى القاعة ، ثم رأى القبعة فجأة .

بدا كأنه منظرها قد أصابه بصدمة ووقف مصعوقا فاغر الفم كالسمكة خارج الماء . وحاول أن يبعد نظره عنها ولكن القبعة كان لها سحر المغنطيس . واستمتع هندرسون بالمنظر لحظة ، ولكنه حين ادرك ان اصرار

www.ibtesamh.com/vb

الطبال قد بدأ يضايق رفيقته رماه بنظرة حررته من السحر الذى سيطر عليه ولم يعد يهتم الا بموسيقاه . ولكن توتر قفاه وشيئا فى هيئته دلها على أنه كان لا يزال يفكر فى القبعة .

وقالت المرأة وهى تضحك فى صوت خافت :

ــ يبدو اننى أثرت فيه تأثيرا كبيرا .

أجابها فى نفس اللهجة :

ــ أظن انه لن يفيق من دهشته طوال السهرة .

ولم تلبث أن عادت الحركة الى القاعة من جديد . وفى نحو منتصف الفصل الثانى سكت الموسيقيون وتخلوا عن أدواتهم الموسيقية ، وانبعثت موسيقى أخرى صاخبة من فوق خشبة المسرح بالذات ، وهى المقدمة الموسيقية التى تسبق دخول نجمة المسرح استيللا مندوزا ، المونولوجست المكسيكية المشهورة . وأحس هندرسون بزميلته تدفعه بمرفقها فنظر اليها متسائلا ، ثم حول عينيه الى خشبة المسرح . ولكن المرأتين كانتا قد أحستا بالمأساة التى لم يكن قد فطن اليها بعد .

وهمست زميلته تقول :

ــ انظر اليها ... من حسن حظى أن الحاجز يفصل بيننا ولولا ذلك لقتلتنى .

والواقع أن الممثلة ، على الرغم من أنها كانت تبتسم ابتسامة متألقة ، كانت تحدق فى عداء ظاهر الى القبعة التى تلبسها زميلة هندرسون ، اذ كانت صورة طبق الأصل من قبعتها هى .

وقالت زميلة هندرسون :

ــ اننى افهم الآن سبب الدهشة التى ظهرت على الطبال .

www.ibtesamh.com/vb

وقال هندرسون :

ــ ولكن لماذا تغضب هكذا . كنت اظن ان فى هذا ارضاء لغرورها .

ــ ان الرجل لا يفهم فى مثل هذه الأمور . . . ان اية امرأة تفضل ان يسرق منها كل شىء الا قبعتها . والقبعة فى هذه الحالة بالذات تعتبر السمة المميزة لصاحبتنا هذه . ومما لا شك فيه ان القبعة التى البسها نقلت عن قبعتها هي دون اذن منها .

قال هندرسون :

ــ هذه سرقة أدبية .

ثم حول اهتمامه الى مندوزا . . . كان فنها بسيطا ، شأن كل الفنون الحقيقية . وكانت تغنى بالاسبانية ولكن كلماتها كانت غير مفهومة حتى للذين يعرفون هــذه اللغة .

تشيكا تشيكا بوم
تشيكا تشيكا بوم

وكانت تكرر هذه الكلمات كثيرا دون ملل وهى تدير عينيها وتتخلع فى كل خطوة من خطواتها وتأخذ باقة صغيرة من الزهور من سلة فى يدها وتلقى بها الى المتفرجات .

وعندما قطعت خشبة المسرح جيئة وذهابا كانت كل امرأة جالسة فى الصفوف الثلاثة الأولى قد أخذت باقتها فيما عدا زميلة هندرسون .

وتمتمت هذه الأخيرة تقول :

ــ انها تعمدت ذلك ، بسبب القبعة .

والواقع أن مندوزا كلما خطت نحوهما وهى تتخلع

www.ibtesamh.com/vb

وتتثنى وتضرب الأرض بكعبيها كان ينبعث من عينيها بريق كان يبدو كما لو كان شحنة كهربية . وقالت رفيقة هندرسون :

ـــ انظى الى .

ورفعت يديها الى مستوى وجهها فى حركة توسل ورجاء تجاهلتها المطربة ، واذ رأت رفيقة هندرسون ذلك بسطت ذراعيها فى تحد سافر .

وضاقت عينا المطربة لحظة ، ثم حولت بصرها الى مكان آخر وألقت بباقة من الزهور الى سيدة جالسة فى الصف الرابع .

وقالت رفيقة هندرسون عندئذ :

ـــ لن أقر بالهزيمة .

ورآها هندرسون تقف وتبسط يديها طالبة حقها من الزهور وعلى شفتيها ابتسامة متألقة . وتراشقت المرأتان بالنظر . ولكن المعركة لم تكن متساوية ، فقد كان على المطربة أن تحتفظ بأى ثمن بتلك الرقة التى تبديها نحو المتفرجين .

وكان لوقوف رفيقة هندرسون تأثيرا خاصا ، اذ بينما كانت المطربة تتحرك على خشبة المسرح فى بطء ، وكان الكشاف يتابعها ، وجمع فى لحظة ما بين المرأتين ، وكانت النتيجة أن تعرضت القبعتان للاهتمام العام وبدأت الضحكات تسرى فى الصالة .

وتراجعت المطربة على الفور لكى تضع حدا لهذه المقارنة الفظيعة ، ورمت بباقة من الزهور للمرأة وهى تمط شفتيها ولسان حالها يقول : اوه ... هل نسيتك ؟ ... معذرة ، لم يكن هذا غرضى . ولكن هندرسون

www.ibtesamh.com/vb

أدرك أنهـا تغـلى من الغضب تحت الهـدوء الذى تتظاهر به .

جلست المرأة فى حركة رشيقة وهى تشـم باقة الزهور ، واقتربت المطربة من الكواليس فى حين راحت دقات الطبول تخبو شيئا فشيئا . وكان وكيل أعمالها واقفا خلف المسرح فأشـار اليها أن تعود لتحيـة المتفرجين ، ولكن المطربة لم تحفل به ، ومضت الى مقصورتها وهى تغلى من الغضب . وانطفأ النور فوق خشبة المسرح ثم اضىء من جديد على عرض آخر .

وعندما انتهى العرض القى هندرسون برنامجه فوق المقعد الذى غادره لتوه ، ولكن المرأة أسرعت فأخذته وضمته الى برنامجها قائلة :

ـ للذكرى .

وفى الخـارج ، وبينما كانا يشقان طريقهما نحـو سيارة أخرى وقع حدث صغير من تلك الأحداث التى تقع صدفة ، فقد همت بأن تفتح باب السيارة عندما حرك متسول ضرير يقف على حافة الرصيف علبته يلتمس احسانا . وكان الزحام شديدا فاصطدم بعضهم بالمرأة فأفلتت منها السيجارة التى كانت تمسكها فى يدها ووقعت فى العلبة . ورأى زميلها ذلك فى حين لم تلحظ هى شيئا . وقبل أن يتمكن هندرسون من التصرف كان المتسول قد دس أصابعه فى العلبة ، ولكنه لم يلبث أن سحبها على الفور وهو يطلق صيحة صغيرة من الألم .

والتقط هندرسون السيجارة المشتعلة وألقاها فى القناة ، ثم دس فى يد المتسول دولارا وهو يقول له : معذرة يا صاحبى ... لم نتعمد ذلك .

www.ibtesamh.com/vb

واذ رأى المتسول ينفخ فى أصابعه المحترقة أضاف دولارا آخر الى الدولار الأول ، لأن الأمر بدا كما لو كان مزحة قاسية .

وقالت المرأة عندما جلس بجوارها فى السيارة :

ـ شكرا ... لم الحظ ما حدث .

وسألته وهى ترى السائق ينتظر التعليمات : كم الساعة الآن ؟

ـ الثانية عشرة الا الربع .

ـ ما رأيك لو نعود الى أفسلمو لتناول كأس آخر قبل أن نفترق ، وبهذا تنتهى الحلقة .

وكان البار الصغير اكثر ازدحاما هذه المرة ، ولكن هندرسون استطاع أن يجد مقعدا خاليا فى آخر البار ، بجوار الحائط ، وبقى هو واقفا . وقالت عندئذ وهى ترفع كأسها قليلا :

ـ وداعا ... اننى استمتعت بهذه الليلة معك .

ـ وأنا كذلك .

وأفرغ كأسه . أما هى فلم تشرب غير جرعة واحدة ، وقالت كما لو كانت تشير اليه بالانصراف : سأبقى هنا لحظة أخرى . طابت ليلتك ... وحظا سعيدا .

وشد كل منهما على يد الآخر ، واذ هم بالانصراف اردفت تقول : الآن وقد هدأت الأمور لم لا تعود لمصالحتها ؟

نظر اليها فى دهشة فاستطردت فى هدوء : اننى فهمت منذ البداية .

www.ibtesamh.com/vb

وافترقا على هذه الكلمات . ومضى هو نحو الباب ، أما هى فعادت الى كأسها . وانتهى الأمر .

وقبل أن ينصرف التفت ، واستطاع أن يراها وقد أحنت رأسها فى تفكير ، وراحت تنظر فى كأسها من غير شك .

ومضى فى طريقه وقد بقيت فى مخيلته صورة القبعة الصفراء ، فى آخر البار ، يظللها دخان السجائر ، ويجعلها تبدو كصورة فى منام ، بعيدة عن الواقع كل البعـــد .

منتصف الليـــل

بعد عشر دقائق ، وعلى بعد نحو ثمانمائة متر من البار فتح هندرسون باب المبنى الذى يقيم فيه بمفتاحه . ورأى رجلا واقفا فى البهو كان يبدو كأنه ينتظر أحدا ولكنه تحول الى الحائط لكى يخفى وجهه . ومر به هندرسون دون أن يلقى اليه نظرة أخرى واستدعى المصعد ثم أخذ مكانه فيه ، واغلق بابه الحديدى الضخم وضغط على مفتاح الطابق السادس والأخير .

وفى نفس اللحظة التى اوشكت الردهة أن تختفى فيها عن بصره رأى الرجل . وعندما فتح باب المسكن وجد الظلام حالكا ، ورابه ذلك الصمت وذلك الظلام ، وعبر عنهما بزمجرة افلتت من بين شفتيه وهو يدير مفتاح النور بالدهليز ، وصاح ينادى وهو يمضى الى غرفة المعيشة : مارسيللا !

ولما لم يتلق ردا عاد يقول فى لهجـــة غير ودية :

www.ibtesamh.com/vb

لا فائدة . اننى اعرف انك مستيقظه ، فقد رأيت النور فى غرفتك وأنا فى الشارع . تأكدى ان هذه المهزلة لن تؤدى بنا الى شىء .

ولم يرد عليه غير الصمت .

ودخل الغرفة وهو لا يزال يتذمر ، ومضى الى مفتاح النور ، وكان يعرف مكانه ، وهو يقول : انك كنت مستيقظة منذ دقيقة ، وتنامين نوما عميقا الآن . أكل هذا لكى تكسبى بعضا من الوقت .

ودار مفتاح النور قبل أن تصل اليه يده ، وبهره الضوء الذى سطع فجأة وجعله ينتفض . كانت أصابعه لا تزال على بعد سنتيمترات من مفتاح النور الذى ادارته أصابع أخرى . ونظر هندرسون الى اليد التى ادارت المفتاح ، ثم رفع بصره الى صاحبها ، فرأى أمامه وجه رجل . ودفعته الدهشة الى أن يدور نصف دورة فرأى خلفه رجلا آخر . وأكمل هندرسون دورته حول نفسه فاذا به يرى رجلا ثالثا .

كانوا كلهم يقفون حائرين كما لو كانوا من التماثيل .

وكان الأمر مدهشا وعجيبا بحيث أن هندرسون تساءل ان لم يكن قد أخطأ ودخل مسكنا آخر غير مسكنه . ولكنه رأى فوق المكتب اطارا به صورته وصورة مارسيللا فقال فى جفاء :

ـ ماذا تفعلون هنا فى مسكنى ، ومن أنتم ؟

ولم يجبه أحد فعاد يقول : ماذا تريدون ؟ . . . وكيف دخلتم ؟

واذ لزموا الصمت ولم يردوا عليه نادى مارسيللا من جديد وهو ينظر الى غرفتها . وكان بابها مغلقا .

www.ibtesamh.com/vb

ـ هل أنت سكوت هندرسون ؟

وهكذا تكلموا أخيرا . وعندما تحول اليهم راى انهم ضيقوا عليه الخناق فقال :

ـ نعم . هذا اسمى . ولكن ما الخبر ؟ ... ماذا حدث ؟

ولكن بدلا من أن يردوا عليه راحوا يلقون عليه الاسئلة فى هدوء مثير : هل تقيم هنا ؟ ... وهل أنت زوج مارسيللا ؟

ـ نعم . طبعا . ولكن ألا تقولون لى ماذا حدث ؟ ... أين زوجتى ؟ ... هل خرجت .

ـ كلا يا مستر هندرسون . انها لم تخرج .

ـ اذن لماذا لا ترد على ... تكلم بالله .

قال أحد الرجال وهو يخرج من جيبه شيئا : لأنها لا تستطيع يا مستر هندرسون .

ـ هل أنتم من البوليس ؟ ... هل هاجمنا بعض اللصوص ؟ ... وهل وقع شىء ؟

وأراد هندرسون أن يثب نحو الباب المغلق ، ولكن الرجال الثلاثة شلوا حركته على الفور فصاح :

ـ دعونى ... اننى هنا فى بيتى . بأى حق تمنعونى من دخول غرفة زوجتى ؟

أطلقوا سراحه فجأة ، وقال أحدهم : لا بأس . ادخل .

فتح الباب ودخل وهو يترنح لأنهم أطلقوا سراحه فجأة ، دخل المخدع الأزرق والفضى والذى يعبق بذلك العطر الذى يعرفه جيدا . كان على الفراشين التوأمين غطاءان من الساتان الأزرق ، وكان أحدهما أملس

www.ibtesamh.com/vb

كالثلج . اما الغطاء الآخر فكان يغطى جسد شخص اما نائم أو مريض ... كان يغطيه كله ولا يظهر منه الا خصلة من شعر متموج أشبه بزبد برونزى اللون .

وتوقف على الفور وتمتم يقول والاستياء يرتسم على ملامحه : هل ... هل ... ياللمجنونة !

وانتقلت عينـــاه الى طاولة الزينة الموجودة بين الفراشين ، ولكنه لم يجد فوقها شيئا ... لا كأس ولا قنينة ولا علبة أقراص .

واقترب من الفراش فى خطوتين وقال :

ـــ مارسيللا ... أنت ...

وأحس بأن ست عيون تراقبه وهو يمسك الغطاء الأزرق . وكانت لحظة فظيعة ، بغيضة . فقد بدت كأنها تنظر اليه وهى مكشرة ولكن لم يخرج من فمها الجامد صوت أو نسمة . وجذبه أحد الرجال الى الخلف وأعاد الغطاء فوقها ، فقال فى صوت متقطع :

ـــ لم أكن أريد هذا ... ما كنت اتمنى هذا !

وتبادل الرجال الثلاثة نظرات ذات مغزى .

وأعادوه الى غرفة المعيشة وأجلسوه على الأريكة ، بعد أن اغلقوا الباب الفاصل بين الغرفتين . ورفع يده الى عينيه كما لو كان النور يضايقه . وتركه الرجال الثلاثة لحظة فى هدوء ، وقد وقف أحدهم بجوار النافذة ينظر الى الليل ، وراح آخر يقلب صفحات مجلة نسائية فى غير اكتراث ، فى حين أخذ الثالث ينظف أظافره بعود من الثقاب .

وقال هذا الأخير بعد فترة من الوقت : اننا نريد أن نتحدث اليك .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ نعم ، طبعا . اننى أعتذر ... ولكن الصدمة ... لا شك انكم تفهمون .

هز الآخر رأسه ، وقال هندرسون : ولكن لا بأس بى الآن ... يمكنك أن تبدأ .

ـــ كم عمرك يا مستر هندرسون ؟

ـــ اثنتان وثلاثون سنة .

ـــ وهى .

ـــ تسعة وعشرون .

ـــ ومتى تزوجتما .

ـــ منذ خمس سنوات .

ـــ وما هى مهنتك .

ـــ صراف .

ـــ فى أية ساعة خرجت هـــذه الليلة يا مســـتر هندرسون ؟

ـــ فيما بين الساعة الخامسة والنصف والسادسة.

ـــ الا يمكن أن تكون أكثر دقة ؟

ـــ أسمع ... اذكر اننى سمعت الساعة تدق السادسة ، عندما بلغت آخر الشارع ، وعلى هذا أكون قد غادرت البيت فيما بين الساعة السادسة الا الربع والسادسة الا خمس دقائق تقريبا .

ـــ وهل كنت قد تناولت عشاءك ؟

ـــ كلا ... (وبعد تردد يسير) تناولته فى الخارج .

ـــ وحدك ؟

ـــ تناولته فى الخارج ... بدون زوجتى .

ألقى الشرطى الثانى المجلة من بين يديه ، وتحول الثالث عن النافذة وقال :

www.ibtesamh.com/vb

وهل كان من عادتك أن تتناول العشاء فى الخارج بدون زوجتك ؟

ـ كلا .

ـ كيف حدث ذلك هذه المرة اذن ؟

ـ كان مفروضا أن نتناول العشاء فى الخارج معا ، ولكنها تعللت فى آخر لحظة بأنها تشعر بصداع فخرجت وحدى .

ـ هل تشاجرتما ؟

ـ نعم . شجار عادى ... مما يقع بين الأزواج عادة .

ـ ولكن الأمر لم يكن خطيرا ؟

ـ ليس الى حد أن يدفعها الى الانتحار ، اذا كان هذا ما تعنيه . ولكن ، بهذه المناسبة ، ماذا فعلت بنفسها ؟

وانفتح باب المسكن فى هذه اللحظة ودخل بعض الرجال . ونظر الى الداخلين فى ذهول مغنطيسى ، ولم يتكلم الا بعد أن اغلقوا الباب خلفهم فقال : من هؤلاء الرجال ؟ ... وماذا سيفعلون ؟

نهض الشرطى الذى استجوبه واقترب منه والقى يدا على كتفه ، ولكن فى غير ثقل ، كما لو كان يريد أن يعبر له عن تعاطفه ومواساته . الا أن الشرطى الواقف بجوار الباب قال :

ـ يبدو انك منفعل أكثر من اللازم يا مستر هندرسون .

أجاب سكوت فى مرارة وهدوء :

ـ أيدهشك هذا ؟ ... بعد أن عدت الى مسكنى

www.ibtesamh.com/vb

ووجدت زوجتى قد فارقت الحياة .

فتح باب غرفة النوم من جديد وخرج الرجال الى غرفة المعيشة وهم يحملون مارسيللا بين أيديهم ومضوا بها خارج الشقة . ولكن هندرسون انتزع نفسه هذه المرة من الذعر الذى كان قد استولى عليه وصاح :

ــ كلا ... كلا ... ليس هكذا ... انظر ماذا يفعلون ... ان شعرها يتهدل على الأرض وهى التى كانت تعنى به كل العناية .

امتدت أيدى الرجال الثلاثة اليه وأرغمته على البقاء مكانه . واغلق باب الشقة ولكن باب غرفة النوم بقى مفتوحا ، وانبعث من خلاله عطر شنرى بدا كأنه يقول له : هل تذكر ؟ ... عنـــدما كنت تحبنى ... هل تذكر ؟

ودفن وجهه فى راحتيه ثم رفع رأسه بعد لحظات وتمتم يقول فى غباء : لم أكن أظن أن الرجل يستطيع أن يبكى وها انذا ابكى الآن ...

وضع أحد الرجال الثلاثة سيجارة بين شفتى سكوت، ودفعته المجاملة الى حد أن أشعلها له ، ثم قال بلا مبالاة : ان ثيابك أنيقة جدا يا مستر هندرسون .

وقال الشرطى الذى كان يقلب صفحات المجلة : ان الأناقة فن ...

ــ الجوربان والقميص ومنديل الجيب ... كل شىء منسجم ...

تدخل الرجل الواقف بجوار النافذة وقال : كل شىء ما عدا ربطة العنق .

قال هندرسون فى اعياء : وهل الوقت مناسب لمثل هذا الحديث ؟

www.ibtesamh.com/vb

ـــ كان يجب أن تكون الربطة زرقاء اللون ، أليس كذلك ؟ ... ما دام الباقى كله ازرق ... ان هـــذه الربطة غير منسجمة ابدا ... تبدو متنافرة ... أليس لديك ربطة زرقاء ؟

ـــ ماذا تقصد ؟... اتريد أن يصيبنى الجنون بهذا الحديث الذى لا أرى له معنى ، فى حين ... نعم . ان لدى ربطة زرقاء وأظن أنها معلقة فى الدولاب .

ـــ لماذا لم تلبسها اذن بدلا من هذه ؟ ... أو لعلك لبستها ثم استبدلتها بهذه فى آخر لحظة ؟

قال هندرسون : اسمع . ان زوجتى ماتت وانا مرهق ، ولا أرى أية أهمية للون ربطتى ...

ـــ هل انت واثق انك لم تلبس الربطـــة الزرقاء ثم ...

ـــ نعم ... اننى واثق تماما ... انها معلقة فى الدولاب .

قال الشرطى :

ـــ كلا . انها ليست معلقة به . وهذا هو السبب فى سؤالى . ان لديك جهازا خاصا لتعليق ربطـــات العنق ، وهناك مكان خاص لكل ربطة ، وقد رأينا بها ربطان كثيرة مختلفة الألوان ، ولكن الربطة الزرقاء غير موجودة بينها . وهناك مكان شاغر بالجهاز يدل على أن الربطة الزرقاء كانت موجودة مكانها وانك انتقيتها هى دون غيرها . ولهذا اتساءل لماذا لم تلبسها بعد أن انتقيتها بالذات ولبست ربطة غيرها لا تنسجم مع ثيابك التى ترتديها .

نهض هندرسون ورفع يديه الى صدغيه وقال : كفى ... كفى . كف عن هذه اللعبة وقل لى ماذا تقصد .

www.ibtesamh.com/vb

اذا لم تكن الربطة فى الدولاب فأين هى ؟ اننى لم البسها فقل لى أين هى اذا كنت تعرف ، وان كنت لا أرى لها أية أهمية .

ــ بل ان لها أهمية كبرى يا مستر هندرسون .

وخيم الصمت . وكان صمتا طويلا له معناه . وشحب لون هندرسون .

وقال الشرطى : ان الربطة الزرقاء كانت معقودة حول عنق زوجتك ... معقودة بشدة بحيث خنقت زوجتك واضطررنا الى قطعها بالسكين لتخليصها .

فى الفجـــــر

وأعقب ذلك آلاف من الاسئلة ، وبدأ النهار يطلع خلف النوافذ مغيرا شكل الغرفة ، مع أن شيئا فيها لم يتغير ، ولا حتى الرجال الذين كانوا فيها . ولكن المنافض الثلاث امتلأت الآن بأعقاب السجائر ، وخلع رجال الشرطة سترتهم وفتحوا ياقات قمصانهم ، وراحت الاسئلة تتدفق :

ــ لماذا تصر على أن الخلاف كان بسبب التذكرتين ؟

ــ لأن هذه هى الحقيقة . ماذا تريد أن أقول لك غير ذلك ؟ ألم تسمع ابدا عن زوجين تشاجرا بسبب احدى المسرحيات . ان مثل هذه الأمور تقع مع ذلك .

ــ من الأوفق أن تذكر لنا اسمها يا هندرسون .

ــ اسم من ؟

ــ آه . اننا لن نعيد الكرة من جديد ... من هى ؟

www.ibtesamh.com/vb

دس هندرسون أصابعه فى شعره وأطرق برأسه متعبا .

خرج أحد رجال الشرطة الثلاثة ، ويدعى بورجيس ، من دورة المياه حيث كان قد ذهب لكى يغسل وجهه ، وفيما هو يثبت ساعة يده مضى الى الردهة ولا ريب انه رفع سماعة التليفون الداخلى لأنهم سمعوه يقول : تستطيع الآن يا ثيرنى .

وعاد بورجيس الى الغرفة ، ومضى الى النافذة كما لو كان قد ضاق ذرعا .

وكان هناك عصفور يلتقط بعض الحب من فوق الحاجز الخارجى وقال :

ـــ تعال هنا لحظة يا هندرسون ... انظر الى هذا العصفور .

وكان هندرسون قد ذهب اليه فقال مشدوها عصفور ! ... الهذا نادتينى ؟

قال بورجيس : نعم . ثم اردف يقول على الفور : ان امامك منظرا رائعا من هنا .

قال هندرسون فى لهجة مريرة : اذا كان المنظر يروق لك حقا فيمكننى أن اتنازل لك عن المسكن .

وتحول داخل الغرفة ، وما كاد يفعل حتى تسمر مكانه مصعوقا .

كانت هناك فتاة جالسة فوق الأريكة ، فى نفس المكان الذى كان يجلس فيه ، ولم يكن قد سمع أى صوت ينم عن قدومها .

ولم تفارقه عيون رجال الشرطة الثلاثة . واضطر أن يبذل جهدا كبيرا لكى لا يفضحه وجهه .

www.ibtesamh.com/vb

نظرت اليه ونظر اليها . كانت جميلة تدل ملامحها على أنها انجليزية ، بعينيهـــا الزرقاوين وشـــعرها الكستنائى التى تمشطه الى الوراء . وكانت تضع فوق كتفيها معطفا من وبر الجمل ، عارية الرأس . ولكنها كانت تمسك حقيبتها فى يدها . كانت فى مقتبل العمر ... فى تلك السن التى تؤمن فيها المرأة بالحب وتصدق الرجال . وكان يكفى أن ينظر اليها المرء مرة واحدة لكى يعرف أنها تعبد هندرسون .

وبلل الشاب شفتيه ، وهز رأسه كما لو كان يرى صديقة عادية لم يعد يذكر حتى اسمها . ولا ريب أن بورجيس كان الرئيس لأنه أتى باشارة ما فلم يلبث هندرسون أن وجد نفسه وحده مع الفتاة .

واراد أن يحذرها بحركة ولكنها لم تدع له الوقت لذلك ، فقد طرحت معطفها عنها والقته فوق الاريكة ، واسرعت الى هندرسون فى حركة مشبوبة فقال :

ـــ حذار . هذا ما يهدفون اليه بدون شك . لا ريب انهم يتصنتون .

قالت وهى تمسكه من كتفيه : ليس هناك ما أخشاه . وأنت يا سكوت ؟ ... اجبنى .

ـــ اننى حاولت جهدى ست ساعات متتالية لكى أبعدك عن كل هذا ، فكيف عرفوا ؟ ... وكيف اكتشفوا أمرك .

ـــ هل تظن اننى أريد أن ألقى بعيدا فى مثل هذا الظرف ؟ ... هل أسأت معرفتى الى هذا الحد ؟

وطبعت على فمه قبلة منعته عن الرد فقال :

ـــ انك قبلتنى قبل أن تعرفى اذا ...

أجابت وهى تلتصق به :

www.ibtesamh.com/vb

ـ كلا . اننى أعرف ... اعرف اننى لا استطيع ان أخطىء فى حقك ... لو كان الأمر غير ذلك لحدثنى قلبى .

أجاب فى حزن : نعم . ربما . اننى لم أكن أبغض مارسيللا وانما لم أكن أحبها بما فيه الكفاية لكى استمر فى المعيشة معها . ولكننى ما كنت لاقتلها . بل اننى لا أستطيع أن أقتل أى أحد حتى ولو كان رجلا .

ازدادت التصاقا به وقالت فى امتنان كبير : أعرف ذلك . لماذا تظن اننى أحبك كل هذا الحب ... الأنك وسيم وذكى ؟

ابتسم وهو يداعب شعرها ويلثمه من وقت الآخر . وعادت هى تقول : كلا يا سكوت . انما أحببتك لما لمسته فيك ، وما لا يستطيع أى أحد غيرى أن يراه ... احببتك لأنك شهم وكريم .

ورفعت اليه عينين مغرورقتين بالدموع فقال فى رفق:

ـ اننى لا استحق كل هذا الحب .

أجاب : الرأى رأيى أنا فى هذا الأمر .

ثم حولت بصرها الى الباب وقالت : ولكن ماذا عنهم هم ؟ ... ما رأيهم ؟

ـ أظن انهم لم يصلوا الى رأى حتى الآن ... والا ما لاحقونى بأسئلتهم كما فعلوا . ولكن أنت ؟ ... كيف استطاعوا أن ...

ـ عندما عدت مساء أمس وجدت الرسالة التى تركتها لى فى الساعة السادسة ، وشعرت بأننى لن أستطيع النوم قبل أن أعرف النتيجة ، فاتصلت بك فى نحو الساعة الحادية عشرة . وكانوا موجودين عندئذ فارسلوا الى شخصا لم يفارقنى منذ تلك اللحظة .

www.ibtesamh.com/vb

ـ اوه ... انهم أرغموك على قضاء ليلة ليلاء .

قالت وهى تداعب وجنته : ما كان فى مقدورى فى أنام على كل حال وأنا أعلم أنك تواجه المتاعب . لا ريب أن هناك وسيلة لكى تعرف من الذى قتلها ... ماذا قلت لهم ؟

ـ بخصوصنا ؟ ... لا شيء . لم أشأ اتحامك فى هذه المسألة .

ـ لعل هذا هو الذى كان يقلقهم اذن ، فقد كانوا يشعرون انك تخفى عنهم شيئا ما . ولكن ما داموا قد عرفوا بأمرى فمن الأوفق أن تقول لهم كل شيء ، لا سيما وأنه ليس هناك ما نستحى منه . والأفضل أن تسرع ...

وعاد بورجيس الى الغرفة فى هذه اللحظة وعلى وجهه امارات الارتياح ، شأن من يصيب نصرا ، يتبعه الشرطيان الآخران . وقال :

ـ أمام البيت سيارة ستعود بك الى بيتك يا مس ريتشموند .

قال هندرسون وهو يتقدم خطوة نحو بورجيس : أرجو أن تدع الآنسة ريتشموند بعيدا عن هذه القضية ... هذا ظلم كبير ... انها لا ...

أجابه الشرطى : هذا يتوقف عليك وحدك . اذا كنا قد أتينا بها هنا فذلك بسبب اصرارك .

قال هندرسون فى خطورة :

ـ اننى مستعد لأن أقول لك كل ما أعرفه اذا وعدتنى بأن تبذل قصارى جهدك لكى لا يزعجها الصحفيون ويذكروا اسمها .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ هل ستقول الحقيقة ؟

أجاب هندرسون :

ـــ نعم .

ثم تحول الى الفتاة وقال فى رفق : عودى الى البيت الآن يا كارول وحاولى أن تنامى قليلا ... لا تقلقى . سوف نصلح الأمور .

قبلته فى فخر أمام الآخرين وقالت :

ـــ ستخبرنى بمجرد ... بمجرد أن ينتهى كل هذا ... اليوم اذا امكن ؟

ورافقها بورجيس حتى الباب وقال للشرطى الواقف بعتبته : قل لتيرنى أن لا يدع أحدا يقترب من هـــذه الفتاة . لا يجب أن يعرف أحد شيئا عنها ، ولا تدع الصحفيين يلقون عليها أى سؤال .

قال هندرسون عندما عاد بورجيس : شكرا لك ... انت رجل صادق ، على الأقل .

ظل الشرطى جامد الأسارير ، وأخـــرج دفتره من جيبه ، وراح يقلب بضع صفحات مكتوبة الى أن وصل الى صفحة بيضاء وقال : هل نبدأ ؟

أجاب هندرسون : نعم .

ـــ قلت انك تبادلت بعض الكلمات الجـــارحة مع زوجتك ، فهل تصر على ذلك ؟

ـــ نعم ... نعم .

ـــ بسبب تذكرتين للمسرح ؟

ـــ بسبب تذكرتين للمسرح وحديث عن الطلاق .

ـــ آه . هذا شىء جديد ؟ لم يكن الحب متبادلا بينكما اذن ؟

www.ibtesamh.com/vb

ـ كلا ... كان معدوما . وقد عرضت عليها الطلاق منذ وقت ، وحدثتها عن الآنسة ريتشموند . لم أحاول أن أخفى أى شىء عنها . كانت على علم بكل شىء ، فقد حرصت على أن يكون مسلكى معها سليما . ولكنها رفضت الطلاق ، ولم يكن يكفينى الانفصال لأننى كنت أريد أن أتزوج بالآنسة ريتشموند . وكان كل منا يحاول أن يرى الآخر أقل وقت ممكن ، ولكن الأمر كان شاقا جدا . هل من الفائدة أن أروى لك كل هذا ؟

ـ نعم .

ـ أول أمس دار بينى وبين الآنسة ريتشموند حديث طويل . واذ رأتنى مضطربا قالت لى : دعنى أحاول أن أتحدث اليها . ولكننى رفضت ذلك ، مفضلا أن أقوم أنا نفسى بمحاولة جديدة ، وان استخدم تكتيكا آخر . فتكلمت فى التليفون وأنا فى المكتب . وحجزت مائدة لشخصين بالمطعم الذى كانت مارسيللا تحب أن تأكل فيه فيما سبق ، وابتعت تذكرتين بأحد الملاهى ، ورفضت فى آخر لحظة دعوة أعز صديق لى ويدعى جاك لومبارد ، فهو مسافر الى أمريكا الجنوبية حيث ينوى قضاء سنوات فيها ، وكانت هذه آخر فرصة لكى أراه قبل سفره . ولكننى تمسكت بمشروعى على الرغم من انه يكلفنى الكثير ، ولم أشأ أن ادع شيئا فى سبيل ارضاء مارسيللا ، ولكن عندما جئت هنا وجدتها متشبثة برأيها ورفضت الطلاق وقالت ان الوضع الراهن يرضيها تماما . واعترف أن الغضب تملكنى عندئذ . وكانت قد انتظرت حتى فرغت من استبدال ثيابى لكى تقول لى هذا ، ونظرت الى وهى تضحك وقالت : امض اليها واخرج معها بدلا منى اذن ، فلا يجب أن تضيع هاتين

www.ibtesamh.com/vb

التذكرتين . وهذا هو السبب فى اننى اتصلت بالآنسة ريتشموند تليفونيا من هنا أمامها . ولكن حتى هذا العزاء ضاع منى لأن الآنسة ريتشموند لم تكن بالبيت . واذ رأت مارسيللا ذلك راحت تضحك لفرط سرورها .

« وانت تعرف ماذا يكون الأمر عندما تضحك منك امرأة ، فقد استشطت غضا وصحت : حسنا . مادام الأمر كذلك فسأخرج وأدعو أول امرأة التقى بها بدلا منك . ولبست قبعتى وخرجت ، وصفقت البـــاب خلفى .

وخافت هندرسون من صوته وقال : هذا كل شىء . ومهما حاولت فلن استطيع أن أزيد شيئا لأن هذه هى الحقيقة الكاملة .

ــ وبعد أن غادرت البيت ؟ ... أما زلت مصرا على أقوالك التى أدليت لنا بها من قبل ؟

ــ نعم . فيما عدا شىء واحد وهو اننى لم اكن وحدى ، فقد فعلت كما قلت لمارسيللا ، ودعوت أول امرأة التقيت بها ، وقبلت أن تقضى السهرة معى . ولم أغادرها الا قبل عودتى هنا بنحو عشر دقائق .

ــ وفى أية ساعة التقيت بها ؟

ــ بعد مغادرتى للبيت ببضع دقائق . توقفت بأول بار بالشارع الخمسين والتقيت بها فيه .

وفرقع هندرسون باصبعيه واستطرد : انتظر ... اننى تذكرت شيئا ... سأستطيع أن أذكر لك الساعة بالتدقيق ، فقد نظرنا الى ساعة الحائط معا ، وانا أريها التذكرتين ، وكانت السادسة والدقيقة العاشرة.

داعب بورجيس شفته السفلى بطرف سبابته وقال : وما هو هذا البار ؟

www.ibtesamh.com/vb

ـــ لا أستطيع القول . كل ما أعرفه هو أن له لافتة حمراء مضاءة بالنيون .

ـــ هل يمكن أن تثبت انك كنت هناك فى الساعة السادسة والدقيقة العاشرة ؟

ـــ ما دمت أقول لك ذلك . ولكن لماذا ؟ ... هل لهذا أهمية ؟

ـــ سأكون صريحا معك . لقد ماتت زوجتك فى الساعة السادسة والدقيقة الثامنة . فعندما وقعت ارتطمت ساعتها بالخوان وتوقفت . ومعنى هذا أنك لا تستطيع الذهاب الى الشارع الخمسين فى دقيقتين حتى ولو كانت لك أجنحة . فاذا استطعت أن تثبت لى انك كنت هناك فى الساعة السادسة والدقيقة العاشرة فسوف ينتهى الأمر بالنسبة لك .

ـــ ولكننى قلت لك ذلك . نظرت الى ساعة الحائط.

ـــ ليس هذا دليلا ولكنه اقرار ، ولابد من أن يؤيده شخص آخر . ربما تستطيع تلك المرأة التى كانت معك ذلك ؟

ـــ طبعا . فقد نظرت الى الساعة هى الأخرى . وسوف تتذكر ذلك بكل تأكيد .

ـــ يكفينا هذا . اين تقيم ؟

ـــ لا ادرى . لم أسألها . ولم تذكر لى هى ذلك .

ـــ ولا حتى اسمها ؟ ... أو لقبها ؟ ... بأية صورة كنت تخاطبها طوال الساعات التى قضيتها معها ؟

أجاب هندرسون :

ـــ كنت اخاطبها بكلمة « أنت »

www.ibtesamh.com/vb

قال بورجيس وهو يخرجُ دفتره من جيبه من جديد : حسنا . قل لنا أوصافها لكى نبحث عنها .

وساد صمت طويل ، فعاد بورجيس يقول : حسنا ؟

وكان هندرسون قد شحب لونه فجأة ، وازدرد ريقه فى صعوبة وتمتم أخيرا : يا الهى ! . . . لا أستطيع . . . كأنها امحت من ذاكرتى تماما .

ومر بيده امام عينيه ثم وضعها على جبينه وقال : كان بمقدورى أن أصفها لك عندما عدت بلا ريب ، ولكن وقعت أمور كثيرة منذ ذلك الوقت . . . الصدمة التى أحسست بها . . . ثم اننى لم ألق اليها أى اهتمام طوال المدة التى قضـــيتها معها . . . كنت مشغولا بمتاعبى الخاصة .

ــ لا تتسرع . . . وفكر جيدا . . . ما لون عينيها ؟

أتى هندرسون بحركة تدل على العجز فقال بورجيس: حسنا . . . شعرها اذن ؟ . . . ما لونه ؟

وضع هندرسون يده فوق عينه ، وانتهى أخيرا بأن هز رأسه وقال : ليست هناك أى فائدة . عندما أهم بالرد عليك يخيل لى أن الأمر غير ذلك . ولكن أظن انه كان كستنائيا . . . فقد اخفته القبعة عنى طوال الوقت .

وتألق وجهه قليلا وقال : ولكننى اتذكر القبعة جيدا . . . فقد كانت صفراء اللون .

ــ نعم . ولكن لنفرض انها لن تلبسها ثانية الا بعد بضعة شهور . . . ألا يمكن أن تتذكر شيئا من مظهرها ؟

راح هندرسون يضغط بيديه على صدغيه فى يأس فسأله بورجيس : تذكر جيدا . . . هل كانت سمينة أو نحيلة . . . طويلة أو قصيرة ؟

www.ibtesamh.com/vb

تأوه هندرسون قائلا : ــ لا أستطيع أن اقول لك . لا فائدة . . . لا أستطيع أن اتذكر .

قال أحد الشرطيين الآخرين : اما انا فأظن انك تحاول خداعنا ، فان ذلك لم يقع فى السنة الماضية أو الاسبوع الماضى ، وانما فى الليلة الماضية .

ــ ذلك اننى لا أتذكر الوجوه جيدا . . . حتى فى الأوقات العادية الهادئة . . . كانت كأية واحدة غيرها من النساء . هذا كل ما استطيع قوله .

طوح بورجيس بقلمه نحو الجدار فى حنق ثم نهض لكى يلتقطه وارتدى سترته وقد اضطرم وجهه وهو يقول :

ــ انك قضيت ست ساعات أمس مع امرأة ، وجلست معها فى البار ، وتناولت العشاء معها ، وجلست بجوارها فى الملهى ثلاث ساعات ، وركبت سيارة أجرة معها فى ذهابك وايابك وكل ما تستطيع أن تذكره عنها هو انها كانت تلبس قبعة صفراء ! . . . هل تريد منا أن نصدق هذا القصة ؟ . . . هل تريد أن تقول لنا أنك كنت برفقة شبح فى الوقت الذى قتلت فيه زوجتك وأن نكتفى بقولك هذا لكى نبعد عنك كل اتهام ؟ . . . ان طفلا فى العاشرة يستطيع أن يجد قصة معقولة غير هذه . هناك أمر من اثنين فاما انك اختلقت قصة هذه المرأة ذات القبعة الصفراء أو انك رأيتها فى مكان ما وتريد منا ان نصدق انها كانت برفقتك ، فى حين أن الأمر غير ذلك . انك تسىء وصفها زاعما انك نسيت كل ما يمت اليها لكى لا نستطيع أن نكتشفها ونجلو الحقيقة .

www.ibtesamh.com/vb

وقال أحد الرجلين وهو يمسك هندرسون من ذراعه : تعال معنا .

قال هندرسون وهـــو ينظر الى بورجيس اذ كان واضحا انه هو الرئيس :

ـــ هل تلقى القبض على .

وبدلا من أن يرد بورجيس عليه قال يخاطب الشرطى الثالث : اطفىء جميع الأنوار بالمسكن . سينقضى وقت طويل قبل أن يحتاج أحد اليها هنا .

وكان هذا ردا على سؤال هندرسون وان لم يكن ردا مباشرا .

الساعة السادسة مساء

دقت ساعة الكنيسة المجاورة ، وقال بورجيس ، وهو فى السيارة الواقفة بجوار الافريز : هلموا بنا .

وكانوا ينتظرون منذ عشر دقائق وقد تركوا المحرك دائرا .

وكان هندرسون جالسا فى المقعـــد الخلفى ، غير مقبوض عليه بعد وغير طليق فى نفس الوقت . كان بين بورجيس وشرطى آخر . اما الثالث فكان واقفا على الافريز ، فى نفس المكان الذى قال هندرسون انه كان يقف فيه بالأمس ، فى نفس الوقت الذى سمع فيه ساعة الكنيسة تدق ست دقات . وبدأ الشرطى ، ويدعى داتش ، المشى عندما أشار له بورجيس بذلك ، وضغط فى نفس الوقت على مفتاح مقياس الوقت ، وانطلقت

www.ibtesamh.com/vb

السيارة فى بطء خلف الشرطى . كانت الساعة كالأمس حيث يسرع كل الى موعده .

وقال بورجيس :

ـــ هكذا ؟

أجابه هندرســـون : أظن اننى كنت أمشى أسرع قليلا ، وقد لاحظت اننى أميل الى الاسراع دائما حين أكون غاضبا .

ـــ أسرع قليلا يا داتش . . . هكذا ؟

ـــ نعم . . .

وبلغوا مفرقا للطـــرق . وأوقفت إشارة حمراء العربة ، ولكن داتش ظل يتقدم ، ولحقت به السيارة بعد أن قطع شوطا فى الشارع الخمسين .

وتركوا خلفهم بعض المبانى . وقال بورجيس :

ـــ هل رايت اللافتة ؟

ـــ كلا . أو لعلنى لم أعرفها . . . كانت حمراء جدا ، وكان الرصيف كله يبدو وكأنه مصبوغ .

ومروا بعمارة أخـــرى ثم ثالثـــة فرابعة . وقال بور جيس : ألم ترها بعد ؟

ـــ كلا .

ـــ ومع ذلك ، فقد كان يجب أن تكون الآن فى ذلك البار لو أن فى قصتك ذرة من الحقيقـــة ، فقد بلغت الساعة الآن السادسة وثمانى دقائق ونصف .

وقال الرجل الجالس الى يساره : ليس هناك بأس من أن نكتشف الوقت الذى نقطعه فى ذهابنا من مكان الى آخر .

وقال بورجيس : تسع دقائق .

www.ibtesamh.com/vb

وكان هندرسون قد أحنى رأسه وراح يفحص الرصيف والمحلات التى تمر أمام عينيه . وفجأة رأى رسما مكتوبا بحروف من النيون غير مضاءة ، فقال وهو يلتفت فى حدة :

ـ أظن أن هذا هو المكان ، ولكن اللافتة مطفأة ... بار انسلمو ... نعم . أكاد اكون واثقا من ذلك .

صاح بورجيس وهو يوقف مقياس الوقت : ادخل يا داتش . تسع دقائق وعشر ثوان . فلنقل تسع دقائق لأننى أظن ان الزحام لم يكن هكذا أمس بين بيتك وبين البار . ولنقل انه كان لابد لك من دقيقة أخرى لكى تهبط من مسكنك الى المكان الذى سمعت فيه دقات الساعة . صفوة القول انك اذا استطعت ان تثبت انك كنت فى هذا البار فى السادسة والدقيقة السابعة عشرة ، وليس بعد ذلك ، فانك ستكون خارج الدعوى تماما .

ـ لو أستطيع ان أعثر على هذه المرأة ... ستقول لك اننى كنت هنا فى الساعة السادسة وعشر دقائق.

فتح بورجيس الباب ومضى الى البار وقال يسأل الساقى : هل سبق أن رأيت هذا الرجل .

قرص الساعى ذقنه وقال : يبدو لى اننى رأيت هذا الوجه من قبل . ولكننى أرى أناسا كثيرين فى مهنتى .

قال بورجيس : يكون الاطار اكثر اهمية من الصورة فى بعض الأحيان ... على اى مقعد كنت تجلس يا هندرسون ؟

ـ هناك ... كانت ساعة الحائط أمامنا رأسا وصندوق البسكويت فى متناول يدى اليمنى .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ اذهب واجلس هناك اذن ... لا تلتفت الينا ايها الساقى وانظر اليه الآن جيدا .

أحنى هندرسون رأسه وهو مقطب الوجه كما فعل بالأمس وكان الأثر سريعا فقد فرقع الساقى باصبعيه وقال :

ـــ نعم ... نعم ... اننى أذكره الآن . كان يبدو حزينا ... كان ذلك أمس ، أليس كذلك ؟ ... انه تناول كأسا واحدا ويخيل لى انه لم يمكث وقتا طويلا .

ـــ نريد أن نعرف فى أية ساعة كان هنا .

ـــ خلال الساعة الأولى من نوبتى ... كان هناك قليل من الرواد .

ـــ ومتى تقع الساعة الأولى من نوبتك ؟

ـــ بين السادسة والسابعة مساء .

ـــ آه . ولكن يجب أن نعرف متى رأيت هذا السيد بالتحديد .

ـــ أما هذا فأنا آسف يا سيدى ، لأننى لا انظر الى الساعة الا فى نهاية نوبتى تقريبا . ولكن كان ذلك بين السادسة والسادسة والنصف أو السابعة الا الربع . لا يمكننى التحديد بالضبط .

نظر بورجيس الى هندرسون وقد رفع حاجبيه شيئا ما ثم قال للساقى : والآن ، حدثنى عن السيدة التى كانت معه فى نفس الوقت .

قال الساقى فى بساطة تنذر بالكارثة : أية سيدة ؟

شحب وجه هندرسون شحوب الموتى ، ولكن بورجيس أتى بحركة منعته عن الكلام ثم قال يسأل الساقى :

www.ibtesamh.com/vb

ـ الم تره ينهض ويذهب لكى يتحدث الى سيدة ؟

ـ كلا يا سيدى ... كلا . ثم اننى اكاد أقسم أنه لم يكن بالبار أحد غيره فى ذلك الوقت .

قال هندرسون فى يأس قبل ان يتمكن بورجيس من منعه : كانت تلبس قبعة صفراء اللون .

صاح به بورجيس يقول : اسكت .

وفجأة ولسبب غير معروف احتد الساقى وقال : اسمع يا هذا . اننى أقوم بمهنتى هذه منذ سبعة وثلاثين عاما ، وقد سئمت رؤية الوجوه طوال هذه المدة ، فلا تأتى الآن وتسألنى عن قبعة صفراء أو عن أية امرأة أخرى . ان الجميع بالنسبة لى لا يزيدون عن كونهم طلبات . قل لى ماذا تناولت صاحبتك فاقول لك هل كانت هنا أولا ، فاننا نحتفظ بكعوب البطاقات . سأمضى لآتيكم بها .

وبينما كان يمضى نظر رجال البوليس الى هندرسون فقال : اننى شربت كأسا من الويسكى ، أما هى فسأحاول ان اتذكر ...

وعاد الساقى ومعه صندوق حديدى فى حين استطرد هندرسون يقول :
بقيت كرزة فى كأسها و ...

قاطعه الساقى قائلا : هناك ستة أنواع من المشروبات نقدم معها كرزة ... كيف كان الكأس اولا ؟ ... هل كان كأسا عاديا أم كانت له ساقا طويلة ؟ ... والمشروب ؟ .. ماذا كان لونه ؟

ـ كان كأسا له ساق طويلة وكانت تزيده بين أصابعها والمشروب يميل لونه الى اللون الوردى .

www.ibtesamh.com/vb

قال الســـــاقى دون تردد : كانت تشرب كوكتيلا معروفا باسم « جاك روز » اذن . سيكون من السهل ان نعثر على الكعب ... لأن البطاقات مرقمة .

أجفل هندرسون وقال انتظر ... اننى اتذكر شيئا ... كانت بطاقتى تحمـــل رقم ١٣ ... رقم النحس .

القى الساقى بطاقتين فوق البار قائلا : نعم . انك على حق ... ويســـكى ... وثـــلاثة كئـــوس من الكوكتيل المعروف باسم جاك روز فى البطاقة رقم ٤٧، وهى بطاقة خاصة بتومى ... اننى أعرف خطه ... كان ذلك قبل قدومى ... والسيدة التى تتكلم عنهـــا لم تكن وحدها لأن نفس البطاقة مسجل بها كأس من الروم ولا يمكن حتى لمجنون أن يتناول كوكتيلا وكأسا من الروم فى وقت واحد .

قال بورجيس : والخلاصة ؟

ـــ حسنا . اننى لا أتذكر هذه المرأة ، ولا اظن انها انصرفت قبل قدومى لأن البطاقة خاصة بتومى .ولكن اذا كانت قد بقيت فان هذا السيد لم يتحدث اليهـــا بكل تأكيد لأنها كانت مع رجل آخر ، ويمكن أن تصدق خبيرا قضى فى هذه المهنة سبعة وثلاثين عاما حين يقول لك انه ليس هناك رجل ينفـــق على امرأة خمســـة دولارات ثمنا لثلاثة مشروبات ثم يتركها بعد ذلك صيدا سهلا لغيره .

قال هندرسون فى صوت مرتجف : ولكنك تتذكر انك رأيتنى ، واذا كنت تتذكرنى فلماذا لا تتذكرها هى ؟ .. انها كانت ملفتة للنظر أكثر منى .

www.ibtesamh.com/vb

ـ اننى اتذكرك لأننى أراك ، واذا أتيتنى بهـا فقد اتذكرها هى الأخرى . ولكننى لا أذكر أن أحدا كان معك .

تشبث هندرسون بالبار كمـا لو كان ثملا . واضطر بورجيس أن يجره من ذراعه قائلا: تعال يا هندرسون.

وصاح الشاب بالساقى يائسا : ولكن ألا تفهم ان الأمر خطير ؟ انهم يتهموننى بارتكاب جريمة قتل .

ـ اسكت يا هندرسون .

وقال أحد رجال الشرطة وهم يخرجون الى الشارع: لا يمكن القول أن رقم ١٣ يبشر بالخير لك .

وقال بورجيس عندما عادوا الى مكتبه ، فى انتظار عثورهم على السائق الذى أدلى هندرسون بأوصافه :

ـ وحتى اذا اهتدينا الى هذه المرأة فلن يفيدك ذلك فى شىء . فقد كان لابد من رؤيتها برفقتك فى الساعة السادسة والدقيقة السابعة عشر . ومع ذلك فاننى مازلت أشعر بالفضول لكى أعرف اذا كان هناك من يتذكرها فى لحظة ما . ولهذا سنعيد بناء سهرتك من الألف الى الياء .

وعاد الرجل الذى كلفه بورجيس بالاستعلام وقال : ان لشركة سـانرايز كومبانى سائقين ينظران دائما أمام بار انسلمو ، وقد جئت بهما معى ... احدهما يدعى بود هيكى والآخر آل آلب .

قال هندرسون على الفور : آل آلب . هذا هـو الاسم الذى أحاول ان اتذكره ... وقـد ضحكت انا وهى عندما قرأناه .

ـ ادخل آلب واصرف الآخر .

www.ibtesamh.com/vb

ودخل السائق ، وبدا أكثر شراسة من الأمس . وقال بورجيس :

هل ركب معك أحد أمس من أمام بار أنسلمو وذهب الى مطعم « البيت الأبيض » ؟

قال السائق وهو يحاول ان يتذكر : البيت الأبيض ! .. البيت الأبيض ... آه ، نعم . ذهبت أمس الى البيت الأبيض حقا .

ـ انظر حولك ... هل ترى بيننا شخصا ركب معك ؟

مرت عينا الساقى بهندرسون ثم عاد فنظر الى بورجيس وقال :

أهو هذا ؟

ـ أننا القينا عليك سؤالا وعليك انت أن ترد عليه.

قال السائق فى توكيد : انه هو .

ـ هل كان وحده أم كان معه أحد ؟

فكر السائق دقيقة ثم قال : لا اذكر ان أحدا كان معه . كان بمفرده .

صاح هندرسون : ولكنك رأيتها بكل تأكيد . انها صعدت قبلى لأنها كانت امرأة .

ـ هندرسون !

قال السائق فى شراسة : امرأة ؟ ... اننى لا اذكرها ابدا ، فقد اصيبت سيارتى بخدش وانا قادم اليك لكى تركب .

أسرع هندرسون يقول : نعم ، هذا صحيح . ولعل هذا هو السبب فى انك لم ترها لأنك كنت تلتفت الى الناحية الأخرى . ولكن عندما وصلنا ...

ـ عندما وصلنا لم التفت الى الناحية الأخرى ، فان

www.ibtesamh.com/vb

السائق لا يلتفت الى الناحية الأخرى ابدا عندما يأخذ الأجرة ... ولم أرها وهى تهبط أيضا .

قال هندرسون متوسلا : ولكننا تركنا نور السقف مضاء طوال الرحلة ، ولابد انك رايتها فى المرآة العاكسة ...

ـ حسنا . اننى لم اكن واثقا منذ لحظة ولكننى واثق الآن ... اننى قضيت فى مهنتى هذه ثمانى سنوات ، ولم أر راكبا يترك نور السقف مضاء حين تكون معه امرأة . لو انك أطفأته لكان معنى ذلك أنه كان معك امرأة .

قال هندرسون فى صوت واهن : كيف يمكن أن تتذكر وجهى وتنساها هى ؟

تدخل بورجيس عندئذ وقال قبل ان يتمكن الرجل من الرد : أنت نفسك لا تتذكر أوصافها مع انك تقول انك قضيت معها ست ساعات فى حين انه ادار لها ظهره عشرين دقيقة . حسنا يا آلب . هل تصر على أقوالك ؟

ـ طبعا . لم يكن مع هذا الرجل أحد عندما ركب معى أمس .

وبلغوا مطعم البيت الأبيض فى وقت التنظيف والترتيب بعد أن انصرف آخر ضيف وجلسوا حول مائدة عارية من الأغطية ، وعندما اقبل الساقى انحنى كالعادة ، ولكن كان نظره شاذا عن المألوف وهو واقف بياقته المفتوحة وبدون ربطة عنقه ، وهو يلوك فى فمه بقية من طعام . وسأله بورجيس :

ـ هل سبق ان رأيت هذا الرجل ؟

www.ibtesamh.com/vb

القى رئيس الخدم نظرة الى هندرسون ثم أسرع يقول : نعم .

— متى جاء لآخر مرة ؟

— مساء أمس .

— أين جلس ؟

أشار رئيس الخدم الى احدى الموائد دون اى تردد وقال : هناك .

— من كان معه ؟

— لم يكن معه أحد ... كان وحده .

لمعت قطرات من العرق على جبين هندرسون وقال : اننى دخلت وحدى ، وهذا صحيح ، ولكنها لحقت بى بعد دقيقة أو دقيقتين وجلست بجوارى ونحن نأكل . ولا يعقل ان لا تكون قد رأيتها .

تجمدت أسارير رئيس الخدم وقال : اذا كنت تشك فى ذاكرتى فسأريك قائمة الحجز الخاصة بمساء أمس، ويمكنك ان ترى بنفسك .

ومضى رئيس الخدم ففتح درج المكتب وعاد ومعه سجلا ناوله لبورجيس من غير أن يفتحه وقال : انظر بنفسك ... ان التاريخ بأعلا الصفحة .

كان التاريخ المكتوب بأعلا الصفحة ٢٠ مايو ، وقد طمست الصفحة بخطين متعارضين على هيئة x دلالة على أن اليوم انتهى ، ولكن كان من السهل مع ذلك قراءة ما عليها :

المائدة ١٨ : روجر آشلى أربعة أشخاص (كاملة).

المائدة ٥ : مسز رايبورن ستة أشخاص (كاملة).

المائدة ٢٤ : سكوت هندرسون شخصان (١) .

www.ibtesamh.com/vb

قال رئيس الخدم : كلمة كاملة تدل على أن الجميع قد حضروا ، اما اذا لم يكن هناك أى شيء فمعنى ذلك ان الحاجزين لم يحضروا ، أو اذا كان هناك رقم بين قوسين فان ذلك يدل على ان الذين حضروا فعلا لا يتفق عددهم مع عدد الأماكن المحجوزة . وعلى هذا فان مستر هندرسون حجز مائدة لشخصين ، ولكنه جاء وحده ولم يأت معه أحد . وانا دقيق جدا فى تدوين سجلاتى ، وبفضلها استطيع ان اؤكد ان مستر هندرسون تناول عشاءه أمس بمفرده .

ـ حسنا . وهل الساقى الذى قام بخدمته موجود؟
ـ نعم . انه ميترى مالوف . سأدعوه لك .

وتغير المنظر ولكن الكابوس لم ينته . وقال بورجيس يسأل الساقى :
هل قمت بخدمة هذا السيد على المائدة رقم ٢٤ مساء أمس .
قال الساقى وهو لا يدرى أنه يتحدث الى رجال البوليس : نعم ... نعم ياسيدى . وأرجو أن اتمكن من خدمته قريبا مرة أخرى .

قال بورجيس : كلا . لن يتمكن من الحضور طبعا ... كم شخصا كان معه أمس ؟
ارتسمت الحيرة على وجه الساقى وقال : ولكن ... لم يكن معه أحد ... كان بمفرده .

ـ ألم تكن معه سيدة ؟
ـ كلا . كلا بالتأكيد . ولماذا تسألنى ؟
قال أحد رجال الشرطة مازحا : لانه تاهت منه سيدة .

www.ibtesamh.com/vb

وقال هندرسون فى صوت مخنوق : انك قدمت لها مقعدا لكى تجلس ، ثم ناولتها قائمة الطعام . رايتك تفعل هذا ، فكيف لا تتذكرها ؟

رد الساقى فى حدة : اننى أقدم مقعدا دائما وقائمة اذا كانت هناك سيدة ، ولكنك كنت وحدك أمس و ...

قاطعه بورجيس قائلا : حسنا ... حسنا . لكى نفرغ من هذه المسألة ، أود أن أرى الفاتورة التى سدد بها هذا السيد حسابه .

أحضر الساقى الفواتير الخاصة بالمائدة رقم ٢٤ ليوم ٢٠ مايو ، وكانت عبارة عن ثلاث ، الأولى بمبلغ خمسة وسبعين سنتا ثمنا لقدح من الشاى والثانية بدولارين ونصف ثمن العشاء الذى تناوله هندرسون والثالثة بسبعة دولارات ونصف ثمن عشاء تناوله أربعة أشخاص قبل موعد الغلق بقليل .

ومشى هندرسون كالانسان الآلى ، واضطروا أن يساعدوه فى ركوب السيارة . وقال : انهم يكذبون ... انهم جميعا يكذبون ... ماذا فعلت لهم ؟

قال أحد رجال الشرطة : هذه القصة تذكرنى بالفلم الذى مثلته كونستانس بنيت وعنوانه توبر . كنا نراها تختفى على الشاشة كما لو كانوا يمحونها .

* * *

تناهى الى أسماعهم أصوات الضجيج والضحكات المنبعثة من الصالة تتخللها الموسيقى والتصفيق . وكان المدير جالسا خلف مكتبه وقد اضطجع فى مقعده الى الخلف وراح يدخن سيجارا فخما . وقال فى رفق :

www.ibtesamh.com/vb

ـ ليس هناك أى شك فى أن ثمن التذكرتين قد سدد بالكامل ، ولكن كل ما أستطيع قوله هو أنه ليس هناك من يتذكر أن أحدا كان معه . (وأسرع يقول مستطردا) أوه ... انه سيغمى عليه . .خذوه بعيدا من هنا حالا . اذا جاءت محفة لنقله فسيكون لها أسوأ الأثر أمام النظارة .

وجروه جرا نحو الباب ، وتناهى الى آذانهم صوت المطربة وهى تقول :

تشيكا تشيكا بوم .
تشيكا تشيكا بوم .

وتأوه يقول وهو يتهالك على مقعد السيارة : آه . لم أعد أستطيع ... اننى لم أعد استطيع احتمال كل هذا .

قال بورجيس ينصحه : لماذا لا تفرغ وتعترف بأنه لم يكن معك أية امرأة .

قال هندرسون وهو يحاول أن يتغلب على رعشته : ولكن لو أننى قلت ذلك فلن استطيع ان اثق بعد ذلك فى شىء اننى واثق مما أقول ، ثقتى من اننى سكوت هندرسون ... ثقتى من أن هذه اليد هى يدى أنا (وضرب بيده على فخذه) لا يمكن أن نشك فى مثل هذه الاشياء والا أصابنا الجنون . كانت بجوارى طوال ست ساعات . لمستها ورأيتها تشرب ، وتأكل وتتكلم وتركب السيارة ... لم تكن شبحا ...

وأختتم يقول وهو ينتحب : وأنت تريد الآن ان تقنعنى بأنه لم يكن لها وجود .

ثم قال شيئا لا ينطق به المتهم الا فيما ندر ... قال من سويداء قلبه ومن أعماق روحه . قال :

www.ibtesamh.com/vb

ـ أننى خـــائف ... امض بى الى زنزانـــة ... أرجوك . أرجوك . أريد أن أحس بالجدران حولى ... وان المس شيئا بيدى ... شيئا ضخما متينا ... شيئا لا يتحرك ، وموجودا دائما .

وتوقفوا فى الطريق وقدموا له كأسا من الويسكى ، ولكنه ظل يرتجف مع ذلك . وقال أحدهم : انه ممتقع اللون ... يبدو كما لو أنه رأى شبحا .

وعندما بلغوا ادارة البوليس أوشك أن يقع،واضطر بورجيس أن يمسكه من ذراعه وهو يقول : انك بحاجة الى نوم عميق الليلة ... والى محام قدير غدا .

اليوم الواحد والتسعون قبل التنفيذ

« ... وقد سمعتم الدفاع يزعم أن المتهم التقى بامرأة فى بار أنسلموا فى الساعة السادسة مساء يوم الجريمة ، أى بعد أقل من ثلاث دقائق من موت زوجته، وهذا الزعم يدل على براعة كبيرة لأنه ليس فى مقدور أى شخص ، مهما كانت وسائله ان يقطع المسافة من المسكن الى بار أنسلمو فى ثل هذه الفترة القصيرة .

« والعجيب ان المتهم يقول انه لم يعتد مثل هـــذا العمل من قبل ، وان هذه أول مرة يتعرف فيها بامرأة غريبة فى أحد البارات ، وهى مصادفة غريبة حقا ؟ ولكن اين هذه المرأة ؟ ... ولماذا لا يرينا اياها ؟ ... هل رآها أحد منكم تجلس فى مقعد الشـــهود ؟ كلا . لم يرها أحد لماذا ؟

www.ibtesamh.com/vb

« وسكت لحظة وأتى باشارة قوية من يده اليمنى وقال : لأن هذه المرأة لا وجود لها ايها السادة ، ولم يكن لها وجود أبدا . ان الرجل الذى ترونه أمامكم فى قفص الاتهام يجازف بحياته ، فهل تظنون أن الدفاع كان يغفل هذه النقطة ولا يبذل كل جهده للاهتداء اليها لو أن لها وجودا . وفى كل مكان زعم فيه المتهم أنه ذهب اليه برفقة هذه المرأة اكد الجميع انه كان وحده، واذا كان بينكم من يستطيع أن يفسر لى هذه الظاهرة فكلى آذان صاغية . ولا ريب ان جسم هذه المرأة كان شفافا لا تراه العيون (ضحكات) ولكن ، عندما تكون حياة رجل فى خطر فاننى لا أحب ان اضحككم. ولكن الدفاع هو الذى حول هذه القضية الى دعابة ، ولكن لنعد الى الحقائق ... لنعد الى مارسيللا هندرسون فهى ليست شبحا ... الى مارسيللا هندرسون التى رآها الجميع بلحمها وشحمها قبل موتها والتى لقيت مصرعها مثلا . هذه حقيقة . ثم انه يمكننا ان نرى هذا الرجل الجالس فى قفص الاتهام والذى يرفع رأسه فى هذه اللحظة وينظر الى فى تحد. وهذه حقيقة ثانية ، وهناك حقيقة ثالثة وهى ان هذا الرجل قتل مارسيللا هندرسون . نحن لا نطلب منكم الايمان بالاشباح والأوهام والهلوسة . كلا . ان هذه الحقائق الثلاثة ثابتة وملموسة تؤكدها المستندات والشهادات ، وقد تحققنا من صحتها » .

وهوى المدعى العام بقبضته على حافة المنصة التى يجلس المحلفون خلفها واستطرد يقول :

ــ لقد عرضنا عليكم ظروف هذه الجريمة ، والمتهم نفسه ظهر أمامكم أمس بصفته شاهدا ، ولم يستطع

www.ibtesamh.com/vb

ان يدحض صحتها . وسألخصها لكم مرة أخرى لعل بعض نقاطعها قد غابت عنكم .

« أحب سكوت هندرسون امرأة أخرى غير زوجته، ولكن لا دخل لهذه المرأة فى الجريمة ولعلكم لاحظتم أن اسمها لم يذكر ابدا اثناء نظر القضية ، فلماذا ؟ . . . لانها بعيدة عن كل هذا ، ونحن لا نريد ان يتألم الأبرياء بسبب المجرمين . انه هو الذى ارتكب الجريمة ، وقد ارتكبها وحده دون أن يكون لها علم بأية خطوة من خطواتها ، وقد قام رجال البوليس بتحقيق دقيق وتأكدوا من ذلك . لقد تألمت هذه المسكينة بما فيه الكفاية بسبب غلطة لا شأن لها بها . ولهذا فقد اتفق الدفاع والاتهام على عد ذكر اسمها والاكتفاء بالاشارة اليها بأنها « الآنسة » .

« أحب هندرسون تلك الآنسة ، وكان حبا مشئوما عندما أخبرها بأنه متزوج . . . . اعنى مشئوما بالنسبة لزوجته لأن « الآنسة » كانت على اخلاق حميدة وخصال كريمة وروح عالية أبية بحيث لا ترضى بزوج لا مرأة أخرى ، وكل من يعرفها يشهد بذلك ، وانه لأمر محزن بالنسبة لها أنها أحبت هذا الرجل .

« ولكن هندرسون طلب من زوجته ان تمنحه الطلاق لكى يتزوج من فتاته . . . هكذا ، بكل بساطة . ولكنها رفضت لأن الزواج بالنسبة لها رباط مقدس لا يمكن خصمه بسهولة .

« وعندما أخبر هندرسون « فتاته » بأن زوجته تأبى الطلاق قالت له انه ليس أمامها غير شىء واحد وهو ان ينسى كل منهما الآخر ، ولكن هندرسون لم

www.ibtesamh.com/vb

يرض بذلك ، وانتظر اللحظة التى اعتقد انها مناسبة لكى يقوم بمحاولة أخرى ... محاولة بشعة ، فأخذ تذكرتين لملهى الكازينو وحجز مائدة فى المطعم . واعتقدت مارسيللا هندرسون أن زوجها يعود اليها وبدأت تستعد للخروج ، ولكنها لم تلبث ان فهمت فغيرت رأيها وقالت لزوجها انها تهتم ببيتها وزواجها اكثر من اهتمامها بتذكرتين فى المسرح وبوجبة فى المطعم ،وبمعنى آخر رفضت ان تمنحه الطلاق للمرة الثانية ، وحكمت على نفسها بالموت برفضها هذا .

« فقد كان هندرسون يهم بأن يلبس ربطة عنقه فاستولت عليه نوبة من الغضب ، وعقد الربطة حول عنق زوجته وظل يضغط ويضغط حتى ان رجال البوليس اضطروا ، كما سمعتم الى قطعها بالسكين واستخلاص نسيجها الذى التصق بلحمها .

« ولكن ماذا فعل هندرسون عندما وجد زوجته ميتة بين ذراعيه ؟ هل حاول فى محاولة يائسة اعادتها الى الحياة ؟ ... وهل بكته ضميره أو أحس بأى ندم ؟ ... كلا . سيداتى سادتى . سأقول لكم ماذا فعل عندئذ. اكمل ارتداء ثيابه بأن أخذ ربطة عنق أخرى ثم اتصل بفتاته تليفونيا . ومن حسن حظها انها لم تكن بمسكنها فى ذلك الوقت ، وعرفت انه اتصل بها بعد ذلك بساعات طويلة . ولكن لماذا اتصل بها وجثة زوجته ماتزال دافئة تحت قدميه ؟ ... الكى يعترف لها بجريمته البشعة ويطلب منها المساعدة والنصح ؟ .. كلا . انما لكى يستخدمها ويستغلها لابعاد التهمة عنه دون ان تدرى . لكى يطلب منها ان ترافقه الى المطعم والى المسرح حيث كان ينبغى أن يذهب مع

www.ibtesamh.com/vb

زوجته . ولا ريب انه كان سيؤخر ساعته قبل ان يلحق بها ويلفت نظرها بعد ذلك الى الساعة التى التقى فيها بها ثم يضبط ساعته بعد ذلك لكى تشهد « فتاته » بحسن نية بأنها التقت به فى الساعة التى حددها بنفسه وينفى بذلك التهمة عنه .

« ولكن هذه الخطة أخفقت لأن « الآنسة » لم تكن موجودة . وعندئذ خرج وحده ، ونفذ البرنامج الذى سبق أن رسمه لمصالحة زوجته خطوة خطوة . ولم يخطر له فى ذلك الوقت أن يفعل ما زعم انه فعله فيما بعد ، وهو ان يعترض طريق امرأة ويستخدمها لابعاد التهمة عنه ، أو لعل هذه الفكرة قد خطرت له ولم يجد ما يكفى من الجرأة لتنفيذها خشية من ان يكشف نفسه أمام امرأة غريبة عنه . أو لعله أدرك ان وقتا طويلا قد انقضى بحيث ان انتفاء التهمة عنه لا يمكن أن يكون لها أى تأثير ، فان رفيقته قد تتذكر اذا ما استجوبها رجال البوليس استجوابا دقيقا أنها التقت به بعد مدة طويلة من الساعة التى يزعم لها انه التقى بها فيها ، وبذلك لا تنتفى التهمة عنه . وتزداد الشبهة فيه .

« وفى النهاية ، دعونى ، سيداتى ، سادتى القى عليكم سؤلا . هل من الطبيعى ، وهل من المعقول ، حين تتعرض حياة رجل للخطر ان يعجز عن تذكر أوصاف المرأة التى يمكن أن تنقذه ؟ ... لا لون عينيها ولا شعرها ولا شكل وجهها ولا قامتها ... لا شىء من هذا كله ... ضعوا أنفسكم مكانه سيداتى ، سادتى . اذا كانت حياتكم فى خطر فهل تظنون انكم تعجزون عن تذكر شىء من أوصاف المرأة التى قضيتم

www.ibtesamh.com/vb

معها ست ساعات متعاقبة ؟ ... اننى أترك لكم الرد على هذا السؤال بكل صدق وأمانة .

« ليس هناك ما أخفيه سيداتى ، ســـادتى . ان القضية بسيطة ، وواضحة تماما » .

وبسط ذراعيه فى حركة مأساوية وقال : ان النيابة تتهم هذا الرجل الماثل أمامكم ، سكوت هندرسون بأنه قتل زوجته وتطالب بحياته ثمنا لذلك .

اليوم التسعون قبل التنفيذ

« سيداتى ، سادتى ، أعضاء هيئة المحلفين ... **هل اتخذتم قراركم ؟**

ـــ نعم يا سيادة القاضى .

ـــ هل قررتم اذا كان المتهم مذنب أو غير مذنب فى القضية التى يحاكم عنها الآن ؟

ـــ مذنب يا سيادة القاضى .

وارتفع من قفص الاتهام صوت مختنق يقول : اوه يا الهى ! كلا ... كلا .

اليوم السابع والثمانون قبل التنفيذ

ـــ أيها المتهم ، الديك ما تقول قبل أن تصدر المحكمة حكمها ؟

ـــ وماذا أقول وقد أثبتم اننى مذنب فى جريمة أعرف تماما أننى لم ارتكبها . ليس هناك من يريد أن يصغى الى وان يصدقنى . انك على وشك أن تقول لى اننى

www.ibtesamh.com/vb

يجب أن أموت ، واذا كان لابد من ذلك فسوف أموت فان الموت لا يخيفنى اكثر مما يخيف اى رجل آخر ، ولا أقل مما يخيفه على كل حال . ليس من السهل ان يموت المرء وانما من العسير أن يموت بسبب غلطة، فان هذا أشق من كل شيء عندما تأتى اللحظة، سأحاول ان ألقاه بأحسن ما أستطيع . وهذا كل شيء .

« ولكننى ، من الآن ، اقول لكم ، انتم يا من لا تصدقوننى ، اننى لست مجرما ، واننى لم أرتكب هذه الجريمة . وكل ما أستطيع قوله الآن هو اننى مستعد لسماع حكمكم .

قال القاضى : مستر هندرسون ، لا أظن اننى سمعت فى حياتى دفاعا مؤثرا ومقنعا من رجل ينتظر سماع الحكم عليه كدفاعك ، ولكن قرار هيئة المحلفين لا يترك لى الخيار .

واستطرد القاضى فى قوة وقد تحرر من كل شفقة : سكوت هندرسون ، لقد ثبت انك ارتكبت جريمة قتل عن عمد واصرار ، ولهذا احكم عليك بالموت على الكرسى الكهربى فى السجن خلال الاسبوع الذى يبدأ من ٢٠ اكتوبر . وعلى مدير السجن ان ينفذ هذا الحكم، وليتولاك الله برحمته .

اليوم الحادى والعشرون قبل التنفيذ

همس صوت فى ممر قسم المحكوم عليهم بالاعدام يقول : ها هى زنزانته .

ثم ارتفع نفس الصوت يقول: زيارة لك ياهندرسون.

ولكن هندرسون لم يتكلم ولم يتحرك . وفتح باب الزنزانة ثم أغلق .

www.ibtesamh.com/vb

وتبع ذلك صمت مريك ، راحا خلاله يتبادلان النظر. وأخيرا قال الزائر :

ـــ يخيل لى انك لا تذكرنى .

ـــ وكيف لا اتذكر من أرسلنى الى لموت ؟

ـــ اننى لم أرسلك الى الموت يا هندرسون . ان مهنتى ان اسلم للعدالة من يرتكبون الجرائم .

ـــ ثم تذهب بعد ذلك لزيارتهم لكى تتأكد من انهم مازالوا موجـــودين فى زنزانتهم ولم يهـــربوا . ولكن ها أنت قد تحققت ورأيت اننى موجود ، فامض الآن وكن أسعد حالا .

ـــ أنت قاس يا هندرسون .

ـــ لا يحلو للمرء ان يموت وهو فى الثانية والثلاثين من عمره .

لم ينطق بورجيس .وماذا كان يستطيع أن يقول ؟.. وخفض حاجبيه ثم أخرج من جيبه علبة وقال : اتريد سيجارة ؟

نظر هندرسون اليه ثم أخذ سيجارة أخيرا ، لا لأنه يريد ان يدخن ولكن لأن هذه هى الطريقة الوحيدة لكى يتخلص من زائره . ولكن عنـــــدما أراد الشرطى أن يشعلها له قال يسأل :

ـــ ما الخبر ؟ ... ايكون هذا اليوم هو يوم تنفيذ الحكم ؟

ـــ اننى أعرف شعورك .

اعتدل هندرسون فوق فراشه فجأة وصاح : تعرف شعورى ؟ ... كلا ... ما أغرب هذا ... اليـــك عنى ... اخرج ... اذهب وابحث لك عن ضحيـــة اخرى فأنت قد استنفدت غرضك منى ... امض الى غيرى .

www.ibtesamh.com/vb

وتحول عنه وأرسل نفسا من الدخان الى الجدار ، ولكن بورجيس لم ينصرف وانما قال :

ـ هل أفهم من هذا ان التماسك قد رفض ؟

ـ نعم . رفض . والآن لا شيء فى سبيل النهاية المحتومة . . . لقد تمت « الطبخة » .

والتفت هندرسون لكى ينظر الى الشرطى واستطرد: ولكن لماذا أراك حزينا هكذا ؟ . . . الآن الاحتضار لا يمكن أن يطول أكثر من هذا أم لأننى لا أستطيع أن أموت الا مرة واحدة .

القى بورجيس سيجارته ووطأها بقدمه كما لو كانت تثير اشمئزازه وقال :

ـ لا داعى للسخرية يا هندرسون ولا تجعلنى اندم لأننى جئت .

نظر هندرسون اليه لحظة فى اهتمام جديد كما لو انه يتبين لأول مرة من خلال غلالة غضبه الحمراء شيئا غريب مخالفا للمألوف وقال :

ـ ماذا تعنى ؟ . . . وما الذى جاء بك بعد كل هذه الشهور ؟

وضع بورجيس يده خلف رأسه وقال : لا أدرى ماذا أقول لك . . . هذا غريب طبعا من قبل شرطى . ان عملى انتهى فى اليوم الذى أحلت انت فيه الى محكمة الجنايات . . . أوه . . . من العسير ان أجد كلماتى . .

ـ لماذا ؟ . . . ما أنا الا سجين فى زنزانة .

ـ هذا هو السبب بالذات . . . اننى أتيت لأننى . . . لأننى اعتقد انك برىء . . . هذا هو ما أردت أن أقول ، ولكن هذا القول لا يفيدك ولا يفيدنى فى شيء .

وخيم صمت قطعه بورجيس أخيرا قائلا فى ارتباك: ولكن قل شيئا ، وكف عن التحديق فى هكذا .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ وماذا أقول عندما ينبش رجل قبرا ويخرج منه جثة ساعدهو نفسه فى دفنها ويقول «معذرة يا صحبى، ولكن أظن اننى اخطأت» .

ـــ نعم . انك على حق بغير شك . ليس هناك ما يقال . ولكننى أصر مع ذلك على أن أقول اننى تصرفت كما كان يجب أن أتصرف نظرا للظروف ، بل اننى ازيد فأقول لو ان نفس القضية عرضت على غدا فسوف اتصرف نفس التصرف، وليس لمشاعرى الخاصة أى دخل ، فانهم ينقدوننى راتبى لكى اهتم بالحقائق الملموسة .

قال هندرسون فى سخرية كئيبة : وما السبب فى هذا التغيير الكبير فى مشاعرك الخاصة ؟

ـــ من العسير كذلك أن أقول الباقى ، ولكن حدث ذلك شيئا فشيئا وببطء . وأظن أن هذا الاحساس يرجع الى وقت القضية ، فكل ما قيل لادانتك عندئذ كان له تأثير عكسى على ، فان المرء عندما يدبر دليل نفى يدبره بكل دقة عادة ، أما أنت فقد قدمت لنا قصة داعية للرثاء ، وكان فى مقدور طفل فى العاشرة من عمره أن يقدم لنا قصة أفضل منها . كانت أية اكذوبة تبدو معقولة . أما القصة التى قدمتها أنت لنا وأصررت عليها فتدل على انك برىء حقا ، فكل ما استطعت قوله هو انك كنت مع امرأة كانت تلبس قبعة عجيبة الشكل، وانتهيت أخيرا الى الاعتقاد بأن الرجل الذى يعترض طريق امرأة لا يشعر نحوها بأى اهتمام ربما لا يتذكر عنها أى شىء فيما عدا نقطة كهذه ، ولا سيما اذا وجد زوجته ميتة بعد قليل من ذلك واذا رأى الجميع يتهمونه بقتلها . وقد ازعجنى ذلك وظل يزعجنى وأوشكت

www.ibtesamh.com/vb

أن آتى هنا مرة ولكننى عدت أدراجى ، ثم اتفق ان تحدثت مع الآنسة ريتشموند ...

قال هندرسون : آه ... بدأت أفهم ...

قاطعه الشرطى قائلا : كلا . اذا كنت تتصور انها جاءتنى فى محاولة للتأثير على فأنت واهم ... انا الذى اتصلت بها لكى اقول لها ما قلت لك الآن تقريبا ، ثم التقينا بعد ذلك مرارا ، ولكن ، اذا كنت قد أتيتك اليوم فقد أتيت من تلقاء نفسى ، وهى لا تعرف اننى قدمت اليك . يجب ان تبحث عن شخص يساعدك ... شخص يعمل بكل ضمير من أجلك . أوه . اننى أعرف .. انك ترى فى الأفلام الشرطة يتخلون عن كل شىء فى سبيل الاهتمام بما يحز فى قلوبهم . أما انا فلدى زوجتى وأولادى ، وبحاجة الى عملى ، ثم انه لا يربطنى بك أى شىء .

قال هندرسون دون ان يرفع رأسه : أننى لم اطلب منك شيئا .

وقف بورجيس أمامه وقال : ابحث عن شخص يكون مخلصا لك وأعدك ان ابذل كل ما فى وسعى لمساعدتك.

رفع هندرسون عينيه ثم خفضهما ثانية وقال فى يأس : من ؟

ــ يجب أن تجد شخصا يقتنع ببراءتك ويساعدك من اجلك أنت لا من أجل المال ... شخصا يستعد لمواجهة الموت من أجلك ... شخصا لا يثنيه شىء ولا يعترف بالفشل أبدا ويمضى فى طريقه دون أن يشعر بأى يأس .

القى بورجيس يده على كتف هندرسون كما لو كان يريد أن يربت عليه وهو يقول : اننى اعلم . هناك امرأة

www.ibtesamh.com/vb

مستعدة لأن تفعل كل هذا من أجلك ، ولكنها لا تزيد عن كونها امرأة ، ولديها كل ما يجب ما عدا الخبرة . وهى تفعل كل ما تستطيع ولكن هذا لا يكفى .

ولأول مرة لانت اســـارير هندرســـون ونظر الى الشرطى فى امتنان واستطرد بورجيس يقول : يلزمنا رجل ... رجل يعرف الحياة ويعرف كيف يتصرف ، ويكن لك فى نفس الوقت حبا لا حدود له . لا ريب انك تعرف شخصا كهذا ... أن كل امرىء لا يعدم صديقا مخلصا وفيا .

ـــ نعم . فى البداية . ولكن كلما كبر المرء كلما تفرق عنه الأصدقاء ... خصوصا اذا ما تزوج .

ـــ أن صديقا كالذى افكر فيه لا ينساك ابدا حتى اذا تقطعت بك كل السبل ، لأنه عندما يمنحك صداقته انا يمنحك اياها طوال الحياة .

ـــ عرفت شابا كهذا فيما سبق ... كنا كالأخوين ... ولكن كان ذلك فى الماضى .

ـــ أن الصداقة الحقيقية لا تعرف حسابا للوقت .

ـــ مهما يكن من أمر فهو ليس هنا ، ففى آخر مرة رأيته فيها قال انه راحل الى أمريكا الجنوبية فىاليوم التالى ... كان معه عقد لمدة خمس سنوات مع شركة بترولية .

ثم غير من لهجته وقال : انك كشرطى تحتفظ بأوهام عجيبة ، وانه لكثير حقا ان تطلب من شخص ان يقطع ثلاثة آلاف ميل ، وان يتخلى عن كل شىء لكى يخف الى نجدة صديق ، خصوصا اذا كان لم يلتق بهـــذا الصديق كثيرا فى الأيام الأخيرة .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ وهل كان يخف الى نجدتك من قبل لو انك طلبت منه ذلك ؟

ـــ طبعا .

ـــ سيخفف الى نجدتك الآن اذن . ان الصداقة الحقيقية لا تعرف لها حدودا . واذا لم يخف الى نجدتك الآن فما كان ليفعل من قبل .

ـــ ولكنه اختبار غير صادق فان ما نطلب منه لكثير

ـــ اذا كان جديرا بأن يوازن بين عقد مدته خمس سنوات وبين حياتك فهو ليس بالرجل الذى يلزمك على كل حال . اما اذا كان العكس فانه هو الذى يستطيع انقاذك . لماذا لا تمنحه الفرصة لكى يثبت ماهو جدير به قبل أن تقول انه لن يفعل شيئا .

وأخرج بورجيس دفتره من جيبه وانتزع منه ورقة ووضع قدمه على حافة الفراش ، واستعمل فخذه كمسند وكتب ما املاه عليه هندرسون :

٢٠ سبتمبر . ؟

جون لومبارد ، بشركة بترول جنوب امريكا ، كاراكاس ، فنزويلا .

صدر على الحكم بالاعدام بتهمة قتل مارسيللا بعد رحيلك . اذا اهتدينا الى شاهد هام تظهر براءتى . نفدت جميع وسائل المحامى الذى تولى الدفاع عنى ، ولا أرى من يستطيع انقاذى غيرك . وقد رفض الالتماس الذى تقدمت به ، وسيتم تنفيذ الحكم فى الاسبوع الثالث من أكتوبر ، فأغثنى .

« سكوت هندرسون »

www.ibtesamh.com/vb

اليوم الثامن عشر قبل التنفيذ

كان يبدو فى عم سكوت هندرسون تقريبا ... سكوت هندرسون قبل خمسة أو ستة شهور ، لا تلك الجثة الحية المحبوسة فى الزنزانة ، والتى أصبحت لا تعد الأيام وانما الساعات .

كان لا يزال مرتديا نفس الثياب التى جاء بها من أمريكا الجنوبية ... قبعة عريضة لم يكن لها مكان فى مثل المناخ وبدلة من الفلافيلا أصبحت خفيفة جدا الآن ، تنطق قسماته بالعزم والقوة ، له شارب قصير كان بحاجة الى التهذيب ، ربطة عنقه مجعدة ، يعطيك احساسا بأن فى مقدوره مواجهة الصعاب وانه لا يهاب الأخطار والأهوال .

قال يسأل الحارس الذى يرافقه: كيف يواجه الأمر ؟

أجابه الحارس : بقدر ما يستطيع ... ولك ان تضع نفسك مكانه .

قال فى صوت خافت وهو يهز رأسه : ياللصديق المسكين !

وبلغا الزنزانة ، وفتح الحارس الباب . ووقف الشاب لحظة وهو يزدرد ريقه فى صعوبة ، ثم ابتسم ودخل باسطا يده كما لو كان يدخل فندق السافوى وقال :

ـ حسنا ايها العزيز هندى... ماذا تفعل هنا ؟.. أهى مزحة ؟

وكان رد فعل هندرسون لرؤيته مغايرا تماما لذلك الذى حدث عندما رأى بورجيس أمامه ، فقد انبسطت أساريره ، وشد كل منهما على يد الآخر فى حرارة .

www.ibtesamh.com/vb

وبقيت يداهما متشابكتين تعبران عما يجيش فى فؤاديهما ، فكان هندرسون وكأنه يقول : اتيت اذن ايها الصديق ... ان الصداقة شيء مقدس بالتأكيد ... وكانت يد لومبارد تضغط على يد صديقه وكأنها تقول: أنا معك الآن ، وليلعننى الله اذا تركتهم يفعلون بك ما يريدون .

وكانما بينهما اتفاق مشترك ، فلم يطرقه اى منهما الموضوع الذى يهمهما أكثر من أى شيء آخر . وقال هندرسون : أراك فى صحة جيدة . لا ريب ان المناخ هناك مناسب لك .

ـ ولكنه بلد أعوذ بالله منه ! ... والطعام ! ... والذباب ! ... وكنت من الحماقة بحيث وقعت عقدا لخمس سنوات !

ـ ولكن اظن أن المرتب مرتفع .

ـ نعم . ولكن ما الجدوى من كسب النقود هناك ما دمت لا يمكنك أن تنفقها فى أى مكان ... حتى البيرة لها طعم البترول .

ـ ومع ذلك فاننى حاقد على نفسى لأننى أجبرتك على المجيء .

ـ لا عليك . انك قدمت لى خدمة كبيرة . ثم أن العقد مازال قائما ، وكل ما هناك اننى حصلت على أجازتى قبل موعدها .

وساد صمت ثم طرق لومبارد أخيرا الموضوع الذى يشغلهما فقال دون أن يجرؤ على رفع عينيه : ماالذى حدث بالضبط يا هنرى ؟

ـ حسنا . بعد اسبوعين ونصف سأقوم بتجربة فوق الكرسى الكهربى ، تجربة سيكون من نتيجتها أن تذكر الجرائد اسمى بدون شك .

www.ibtesamh.com/vb

نظر لومبارد هذه المرة فى عينيه مباشرة وقال : لا داعى للتهريج . مادمت قد اتيت فلابد من أن تبحث لك عن وسيلة أخرى لكى تتكلم الجرائد عنك .

واستند الى حوض المياه وقال فى تفكير : لم أرها غير مرة واحدة .

قال هندرسون مصححا : بل مرتين ... الا تذكر اننا التقينا بك فى الشارع .

ـ آه . هذا صحيح . ولم تفتأ تشدك من ذراعك ونحن نتحدث .

ـ كنا قد خرجنا لكى تشترك ثوبا وانت تعرف كيف تكون النساء فى مثل هذه الحال .

ثم استطرد يقول لكى يعتذر نيابة عن شخص لم يعد على قيد الحياة دون أن يدرك أن ذلك لم يعد له أية أهمية .

ـ أردنا دائما أن ندعوك الى العشاء ولكن لا أدرى أبدا كيف حدث هذا .

قال لامبارد بلباقة :

ـ اننى أعرف . ان المرأة لا تحب دائما الأصدقاء الذين كان زوجها يخالطهم قبل الزواج . ولكن قل لى كل شىء لكى أكون على بينة .

تنهد هندرسون وقال : نعم . هذا صحيح . اننى أعرف كل شىء عن ظهر قلب ، أما أنت فلا تعرف أى شىء .

ـ كلا . وأرجو أن لا تغفل أية نقطة .

ـ أول كل شىء ، لم يكن زواجى بمارسيللا زواجا بالمعنى الصحيح ، ولكنه كان كمقدمة للزواج . وهذه أشياء لا يطيب للزوج أن يتحدث عنها عادة ، ولكننا

www.ibtesamh.com/vb

هنا فى زنزانة الموت ، ولا مكان للتحفظ هنـــا اذن . صفوة القول اكتشفت الحب الحقيقى منذ نحو عام ، وأنت لم تلتق بها ولم تعرفها ، فلا داعى اذن لكى أذكر لك اسمها . وقد كانوا من الكياسة بحيث لم يذكروا اسمها فى القضية كذلك . سموها « الآنسة » وسأتكلم عنها أنا الآخر فأقول فتأتى .

قال لومبارد وقد عقد ذراعيـــه وراح يصغى فى اهتمام : الفتاة . . . اتفقنا .

ـــ أوه ، كان كل شىء بيننا نظيفا جدا ونقيا . وعندما تقابلنا للمرة الثانية حدثتها عن مارسيللا . ولم يكن يجب أن نلتقى بعد ذلك ، ولكن الأمر كان أقوى منا فلم يستطع أى منا أن يبقى بعيدا عن الآخر مدة طويلة .

وعلمت مارسيللا بالأمر بعد أقل من شهر . وكنت أنا الذى أخبرتها بكل شىء . . . أوه ، لم تبد أى اهتمام ولم تزد عن أن ابتسمت وانتظرت البقية . وطلبت منها الطلاق ، ولكنها استمرت تبتسم بطريقة حالمة ، وأظن انها لم تحفل بى اطلاقا ، ولم أكن بالنسبة لها أكثر من شخص يخلع حذاءه فى الناحية الأخرى من الفراش . واجابتنى قائلة أن هذا الأمر يتطلب التفكير . ومرت أسابيع ثم شهور وهى تفكر وتنظر الى ساخرة من وقت لآخر . كانت وحدها من بيننا نحن الثلاثة ، هى التى تستمتع بوقتها .

« ولعلك تفهم اننى لم اكن أريد مجرد علاقة آثمة بفتاتى . كان يجب أن تكون زوجتى ، لأن التى كانت تقيم فى بيتى لم تكن زوجتى حقا .

www.ibtesamh.com/vb

ورفع يديه الى وجهه فى اعياء وهز راسه وقال : وقالت لى فتاتى « لا يمكن أن يستمر الحال على هذا . أنحن بين يديها ، وهى تعرف ذلك تماما . انك مخطىء بسكوتك فانك تثير حنقها بذلك . حدثها كما تتحدث مع صديقة ، وأخرج معها ذات ليلة ، وتبادل معها حديثا صريحا دقيقا . فان الرجل والمرأة اذا تحابا حقا فلابد أن يبقى بينهما شىء ولو مجرد ذكرى مشتركة . ولا ريب انه لا يزال فى قلبها جانب من المشاعر الطيبة نحوك ، ويكفيك أن توقظه . دعها تفهم أن هذا هو الحل الأوفق لها ولك ولى فى نفس الوقت .

« وعلى هذا أخـــذت تذكرتين فى أحـــد الملاهى ، وحجزت مائدة فى المطعم الذى اعتدنا أن نختلف اليه معا قبل الزواج . ثم عدت الى البيت وعرضت عليها أن نخرج معا . وابتسمت تلك الابتسامة البطيئة التى أعرفها تماما وقالت « ولم لا » . وعندما غادرتها لكى أذهب الى دورة المياه ، كانت جالســـة أمام طاولة الزينة ، وبدأت تستعد للخـــروج . وفى تلك اللحظة أحسست بأننى ســـعيد ، ورحت أصـــفر وأنا تحت الدش » .

وأفلت من يده السيجارة التى أشعلها وداس عليها بقدمه واستطرد : لماذا لم ترفض على الفور ؟ ... ولماذا جعلتنى أفرح وأشعر بأننى سعيد كذبا ؟ ... لأن هذه كانت طبيعتها . كانت تحب أن تترك الناس ينتظرون ، سواء فى الأمور الهامة أو التافهة .

كانت تنظر الى فى المرآة وأنا أمشط شعرى وأضع المنديل فى جيبى وشيئا فشيئا أحسست بأن استعداداتها لا تتقدم ، ورأيت ابتسامتها المعهودة ، تعكسها المرآة ، ثم كفت عن التظاهر واكتفت بأن تنظر الى .

www.ibtesamh.com/vb

وهناك قصتان ... تلك التى رووها هم وقصتى أنا . وحتى تلك اللحظة تبدو القصتان متطابقتين ، والقصة التى أعادوا بناءها هم مطابقة تماما . ولكن ابتداء من اللحظة التى تأهبت فيها للبس ربطة العنق تختلف القصتان كل الاختلاف . وسأروى لك قصتى أنا لأنها القصة الحقيقية .

« ألقت يديها أمامها وراحت تنظر الى فى المرآة فى انتظار سؤالى . وهذا ما فعلت بعد أن نظرت اليها لحظة فقد سألتها . ألا تلبسين ؟ وعندئذ راحت تضحك . وكم اثارتنى ضحكتها هذه . كنت لا أظن حتى تلك اللحظة ان هناك من الضحكات ما يؤلم ، وما زلت أرى وجهى وقد امتقع فى المرآة عندما قالت لى . ولكن لا تضع هاتين التذكرتين ... خذها هى بدلا منى ... يمكنها أن تشهد العرض وتتناول العشاء مكانى . بل يمكنها حتى أن تنالك اذا اشتهت ذلك ولكن لا كزوج .

« وأدركت عندئذ أنها لن تغير رأيها ، وانننى سأقضى طوال حياتى معها هكذا . وبدت لى المدة طويلة جدا . ولا ادرى ماذا جرى لربطة العنق ، ولا ريب اننى تركتها تفلت من يدى . ولكننى أعرف تماما اننى لم أعقدها حول عنقها . وما زلت أرى نفسى رافعا يدى لكى اصفعها ، ولكنها كانت حركة لم أكن جديرا بها وكانت تعرف ذلك تماما لأنها تحدثنى قائلة : اضرب ... اضرب ... ولكن ذلك لن يقدمك خطوة واحدة ، سواء كنت رقيقا أو فظا فالأمر لدى سيان . » وبعد ذلك ، وكما يحدث عادة فى مثل هذه الظروف تبادلنا بعض الكلمات الجارحة وقلت لها : انك لا تحبيننى اطلاقا ، فلماذا تتشبثين بى ؟ » . فأجابت « لأنه قد يكون لك

www.ibtesamh.com/vb

نفع اذا ما اقتحم البيت بعض اللصوص . » وقلت لها عندئذ « يمكنك أن تتأكدى منذ الآن انه لا يمكنك الاعتماد على فى شيء آخر » فأجابتنى فى سخرية « اننى اتساءل ان كنت سألحظ أى تغيير » .

وعلى أثر ذلك أخذت معطفى وقبعتى وخرجت وأنا اصفق الباب خلفى . وكانت لا تزال تضحك ... تركتها تضحك يا جون ولم اتركها ميتة . وتابعتنى ضحكتها وأنا فى الطرقة الخارجية ، ولكى لا أسمعها أسرعت اهبط السلم ولم انتظر المصعد .

وأمسك عن الحديث لحظة ثم استطرد يقول والعرق يتفصد من جبينه : وعندما عدت بعد ذلك كانت ميتة ، وقالوا لى اننى أنا الذى قتلتها ، وأنها ماتت فى الساعة السادسة والدقيقة الثامنة . عرفوا ذلك بسبب ساعتها التى تحطمت ... ارتكب القاتل جريمته اذن خلال الدقائق العشر التى تلت مغادرتى للمسكن . وحتى الآن تسرى الرعشـــة فى بدنى حين أفكر فى ذلك ، فلا ريب أن القاتل كان مختبئا فى السلم ينتظر اللحظة المناسبة .

ـــ ولكن ألم تهبط من السلم ؟

ـــ نعم . ولكن اذا كان قد اختبأ بين طابقنا والطابق الذى فوقه ؟ ... من يدرى . لعله سمع كل شيء ورآنى وأنا انصرف . ولعلنى صفقت الباب خلفى بقوة بحيث ارتد ثانية واستطاع أن يدخل ويفاجئها . ولعل ضحكتها بالذات هى التى منعتها من سماعه فى الوقت المناسب .

ـــ يبدو اذن أن لصا اقتحم المسكن وقتلها .

ـــ نعم . ولكن لمـــاذا ؟ ... لم يسرق شيء من البيت ، ولهذا السبب بالذات استبعد البوليس هذه

www.ibtesamh.com/vb

النظرية . كان على الطاولة ستون دولارا أوراقا مالية ولم يلمسها القاتل . وكذلك لم يلمس خاتمها وهو خاتم ثمين ، واذا فرضنا ان شيئا بالخارج أفزعه بعد ارتكاب الجريمة فلم يكن أمامه الا أن يأخذ المال وينزع الخاتم من اصبعها قبل أن يهرب . ولكنه تركها .

هز هندرسون رأسه وقال : ان ربطة العنق هى التى أضاعتنى . كانت منسجمة تماما مع باقى ثيابى التى ارتديتها فى ذلك اليوم . وكانت معلقة فى المكان الخاص بها ، وقد أخذتها لكى ارتديها ، وافلتت منى فى حدة غضبى . ولا ريب أن القاتل رآها وهو يتقدم لمفاجأة مارسيللا ، والله وحده يعلم من هو هذا الرجل ولماذا قتلها .

ــ لعل دافعا خاصا دفعــه الى ذلك ... ولعله سمع صوت عراككما ، ورآها فرصة سانحة لكى يرتكب جريمته وينسبونها اليك . هذه أشياء سبق أن وقعت ، وهناك اناس مختلو العقل .

ــ اذا كان الأمر كذلك فلن يقبضوا عليه أبدا ، فان من المتعذر جدا الاهتداء الى مثل هؤلاء القتلة . ربما يلقون القبض عليه ذات يوم بسبب جريمة أخرى ، ويعترف بارتكابه لها مع غيرها من الجرائم التى يكون قد ارتكبها ، وبعد أن يكون السيف قد سبق العزل بالنسبة لى .

ــ وذلك الشاهد المهم الذى ذكرته فى رسالتك ؟

ــ سأصل اليه ، وهو شعاع الأمل الذى اتمسك به على الرغم من ضآلته . ولكن اذا اهتدوا اليه فقد تكون هناك وسيلة لظهور براءتى .

وراح يتكلم وهو يضرب بقبضة يده اليمنى تجويف

www.ibtesamh.com/vb

يده الأخرى وقال : هناك امرأة فى مكانَ ما يمكنها أن تنقذنى من هذه الورطة بأن تقول للبوليس فى أية ساعة التقت بى . كان ذلك فى السادسة وعشر دقائق ، وقد تحققت من ذلك كما تحققت أنا منه . واثناء التحقيق تأكدوا اننى لم أكن أستطيع ارتكاب الجريمة والوصول الى البار فى الوقت المذكور . اذا كنت تظن أن فى مقدورك أن تفعل شيئا لاخراجى من هنا فيجب أن تجد هذه المرأة . . . فهى أملى الوحيد .

بقى لومبارد لحظة مفكرا ثم سأل : وماذا فعلوا حتى الآن لكى يعثروا عليها ؟

وجاء الرد مخيبا لكل الآمال : كل شىء . فعلوا كل ما كان فى وسعهم .

تهالك لومبارد فوق الفراش بجوار صديقه ، ولكن الحارس جاء فى هذه اللحظة مشيرا الى أن وقت الزيارة قد انتهى .

ـــ الى اللقاء يا هنرى . . . سوف آتى غدا .

ـــ هل . . . هل ستحاول الاهتداء اليها على الرغم من ذلك ؟

ـــ وهل هذا يحتاج الى سؤال ؟ . . . ألم آت لهذا الغرض .

اليوم السابع عشر قبل التنفيذ

دس لومبارد يديه فى جيبى بنطلونه ، وراح يمشى فى أرض الزنزانة جيئة وذهابا ، وهو ينظر الى قدميه كما لو كان لم يشاهدهما يمشيان قبل ذلك ، وقال :

ـــ اسمع يا هنرى . . . يجب أن تبذل مجهودا أكبر

www.ibtesamh.com/vb

... اننى لست ساحرا ، ولا أستطيع أن آتيك بهذه المرأة بهذه السهولة .

قال هندرسون فى اعياء : اننى حاولت المستحيل لكى اتذكر ... ولكن عبثا .

ـ امسع ... سنبدأ الآن من جديد ، فليس أمامنا ما نفعل غير ذلك . عندما دخلت البار كانت جالسة ، وأحيانا يتذكر الانسان فى وضوح أكثر رؤية عابرة أكثر مما يتذكر الشخص الذى تحدث معه . ما هو أول انطباع لك عنها فى ذهنك ؟

ـ يدا تتناول قطعة من البسكويت .

ـ ما دمتَ قد نهضت لكى تتحدث اليها فلا ريب انك أدركت أن هذه اليد لامرأة ؟

ـ نعم . استطيع أن أقول لك أنها كانت ترتدى جونلة ، وأنها لم تكن تتوكأ على عكازتين ، وهذا كل شىء . كنت أرى فتاتى من خلالها .

ـ ولكن صوتها ؟ ... انها تحدثت معك ... هل هو صوت امرأة مثقفة ؟ ... أم ...

ـ طبعا ... كانت تتكلم كالجميع هنا .

ـ ليس هذا بالكثير ... وفى سيارة الأجرة ؟ ...

ـ لا شىء ... كانت العجلات تدور ، وهذا كل شىء .

ـ وفى المطعم ؟

ـ لا شىء . لا فائدة يا جاك . لا أستطيع أن أتذكر ما يفيد . انها أكلت ، وتحدثت ، وهذا كل شىء .

ـ ولكن فيم تحدثت ؟

ـ أوه ، فى أشياء عادية ... كان الطعام شهيا والسهرة جميلة جدا .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ انك ستجعلنى أجن ... ليس هناك أى شك فى أنك احببت فتاتك هذه .

ـــ وما زلت أحبها . ولكن دع الحديث عنها .

ـــ وفى المسرح ؟

ـــ نهضت فى لحظة ما ، ولكنك قلت لى أن هذا تصرفا منها وليس وصفا .

قال لومبارد وهو يقترب منه : نعم . ولكن لماذا نهضت ؟ هذا ما لا تستطيع أن تتذكره . قلت لى أنها نهضت أثناء الحفل ، والمرء لا ينهض أثناء الحفل بدون سبب وجيه .

ـــ نعم . ولكننى لم أكن فى رأسها لكى أعرف ذلك السبب .

ـــ بل اظن أنك لم تكن فى رأسك أنت بالذات . ولكن دعنا من هذا الأمر . ما دمنا قد عرفنا الحدث فسوف ينتهى بنا الأمر الى أن نذكر السبب . وما دمت لا تستطيع أن تقدم لى ما يفيد فلابد لى من أن أبحث عن شخص يكون قد رآكما معا ، فلا يمكن لشخصين أن يسيرا فى المدينة ست ساعات من غير أن يلحظهما أحد .

قال هندرسون وهو يبتسم ابتسامة حزينة : هذا ما كنت أعتقده أنا أيضا ، واضطررت أن اقتنع بأننى مخطىء .

وتدخل الحارس عندئذ فقال : الزيارة انتهت .

ـــ اليوم سأبقى واقفا ، فسوف يريح ذلك أعصابى ... فلا يوجد هنا مكان الا لشخص واحد فقط .

ـــ حسنا . هل تعرف ماذا أريد أن اسمع منك اليوم ؟ ... أحداثا جديدة ... شهودا لا قيمة لهم

www.ibtesamh.com/vb

واشخاصا لم يدل أحد منهم بأقواله أثناء المحاكمة ... أشخاصا لم يهتم بهم لا البوليس ولا المحامى الذى تولى الدفاع عنك ، حتى ولو اقتصر الأمر معهم على الاحتكاك بك فى الشارع . كل ما أريد هو أن أكون أول من يتصل بهم . ولنبدأ بالبار الآن .

تنهد هندرسون وقال : اننا نعود دائما الى البار .

ــ لقد استجوب البوليس السائق ... ولكن ألم يكن هناك أحد غيركما ؟

ــ كلا .

ــ فكر جيدا . لا تحاول أن تجهد نفسك وانما أرح اعصابك .

ومضت أربع أو خمس دقائق . وقال هندرسون أخيرا : ــ آه ... كانت هناك فتاة فى احدى الغرف الصغيرة التى بالبار ، التفتت عند مرورنا بها . وكنت أنا خلف المرأة فرأيت نظرتها . أيهمك هذا ؟

جرى ا م على دفتر لومبارد وقال :

ــ هذا هو نوع المعلومات التى أريدها . هل يمكنك أن تصف لى هذه الفتاة ؟

ــ كلا . كل ما أعرفه عنها أنها التفتت اليها .

ــ وبعد ذلك ؟

ــ سيارة الأجرة.وقد استجوب البوليس السائق. وقد اثار استجوابه سخرية المحكمة .

ــ وفى المطعم . ألم تكن هناك فتاة فى حجرة الثياب ؟

ــ بلى . ولكنها الشاهدة الوحيدة التى ما كانت لتتذكر شيئا ، فقد كنت بمفردى عندما مررت بها ، وكان الشبح قد تركنى لكى يذهب الى دورة المياه .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ هناك سيدة فى دورة المياه فى مثل هذه المطاعم . ولكن حيث انك لم تكن مع تلك المرأة فلن نفيد شيئا من ذلك . وقد استجوب البوليس رئيس الخدم والساقى ... ننتقل الآن الى المسرح .

ـــ كان البواب جالسا ، وكان له شاربان معقوفان كتلك التى نراها فى الرسوم الكاريكاتورية . وأذكر أن القبعة اثارت انتباهه .

ـــ حسنا . اننى دونت مذكرة بذلك ، والموظفة التى ترشد المتفرجين الى أماكنهم ؟

ـــ نعم ، ولكننا وصلنا متأخرين ، ولم تكن بالنسبة لى الاشعاع مصباح كهربى فى الظلام .

ـــ وأثناء العرض ؟ ... عندما نهضت واقفة ... لا ريب أنها لفتت أنظار البعض اليها . هل فكر البوليس فى استجواب الممثلين ؟

ـــ كلا .

ـــ لا بأس من أن نقوم بالتجربة . اننى لا أريد أن ادع شيئا ... وحتى اذا اعترضكما رجل ضرير فاننى أريد أن أعرف ... ولكن ماذا دهاك ؟

ـــ أعاد قولك هذا الى ذهنى شيئا . لقد اعترض طريقنا متسول ضرير ونحن خارجان من المسرح .

وأردف هندرسون يقول وهو يرى قلم صديقه يجرى على الورق : ولكن لا أظنك ستأخذ مذكرة بذلك ، فلن تفيدنا هذه النقطة .

ـــ هل تعتقد ؟ ... انتظر وسوف ترى . وبعد ؟

ـــ هذا كل شىء .

ونهض لومبارد وصاح بالحارس لكى يفتح له الباب

* * *

www.ibtesamh.com/vb

نص اعلان صدر فى جميع الجرائد :

« الرجاء من السيدة التى كانت جالسة مع صديق لها فى احدى غرف بارَ أنسلمو فى الساعة السادسة والربع من مساء يوم ٢٠ مايو الماضى والتى أثار اهتمامها قبعة صفراء بحيث حملتها على أن تدير رأسها أن تتصل بى . من الأهمية أن تفعل لأن حياة رجل تتعلق بشهادتها مع وعد تام بالكتمان : ج.ل. صندوق بريد رقم٦٥٤ بطرف الجريدة » .

ولكن أحدا لم يرد على هذا الاعلان .

اليوم الخامس عشر قبل التنفيذ

فتحت الباب امرأة مشعثة الشعر تفوح منها رائحة الكرنب . وسألها لومبارد :

ـــ او بانون ؟ . . . مستر اوبانون ؟

ولم تترك له المرأة فرصة لكىْ ينطق بالمزيد لأنهـا اسرعت تقول : اسمع . . . اننى مضيت الى المكتب صباح اليوم ، وامهلنا الموظف الذ به حتى يوم الاربعاء ، فلا داعى لملاحقتنا هكذا . . . سوف نسدد القسط . . . انه لن يؤثر فى شركتكم ورأسمالها مليون دولار .

ـــ ولكننى لم آت لمطالبتكم بأية نقود يا سيدتى . كل ما أريد هو أن اتحدث الى مايكل اوبانون الذى كان يعمل بوابا فى الربيع الماضى فى ملهى الكازينو .

ـــ آه . نعم . اننى أتذكر ذلك فان من النادر أن يحتفظ بأ ىعمل مدة طويلة .

وأردفت المرأة تقول فى صوت مرتفع كما لو كانت

www.ibtesamh.com/vb

تريد أن يسمعها أحد : هناك اناس يبحثون عن عمل وهم يناشدون السماء أن لا يجدوا شيئا .

وصدرت من الغرفة الأخرى زمجرة حادة ردت عليها المرأة قائلة : أقبل رجل يريد أن يتحدث اليك . تفضل يا سيدى .

دخل لومبارد غرفة تتوسطها منضدة فوقها مفرش من المشمع ، جلس بجوارها رجل ممددا ساقيه الى الامام . وكان يرتدى فانلة وبنطلونا قديما وفوق ركبتيه جريدة سباق . وقال فى رفق وهو يرفع غليونه من فمـــه :

ـــ ماذا استطيع أن أؤدى لك يا سيدى ؟

ألقى لومبارد قبعته فوق المنضدة وجلس دون ان يدعوه الرجل الى ذلك وقال : لى صديق يتمنى العثور على شخص رأيته أنت مع صديقى هذا عندما كنت تعمل فى الملهى .

ـــ كنت أرى أناسا كثيرين هناك فكيف تريد ؟ ...

ـــ نعم . ولكن حدث هذا مساء يوم من شهر مايو ، وكانا قد اقبلا متأخرين . وقد فتحت أنت لهما باب سيارة الأجرة . والسيدة التى كانت برفقة صديقى كانت تلبس قبعة صفراء فى اعلاها ريشة أثارت اهتمامك بحيث تابعتها بعينيك حتى اختفت من امامك .

صاحت زوجته تقول وهى واقفة بعتبة الغرفة : اذا كانت سيدة فمن المؤكد انه يتذكرها .

ولكن لم يحفل بها أى من الرجلين . وقال لومبارد وهو ينحنى فوق محدثه : هل تتذكرها ؟

ـــ هل تدرك ماذا تقول يا سيدى ؟ ... كنت أرى اناسا كثيرين كل ليلة .

ـــ فكر ... وحاول أن تتذكـــر يا اوبانون ...

www.ibtesamh.com/vb

أرجوك ... ان الأمـــر بالغ الأهمية بالنسبة لهـــذا الصديق المسكين

ونظر لومبارد الى البواب فى توسل كما لو انه كان يأمل أن ينبه ذاكرته بقوة الايحاء . وهز اوبانون رأسه وقال :

ــ كلا . اننى لا أتذكر غير شىء واحد طوال المدة التى قضيتها فى الملهى ، وهو اننى فتحت باب السيارة مرة لرجل تعثر وهو يهبط منها فوقع وتلوثت ثيابه ووجهه بالطين و ..

نهض لومبارد لكى يوقف سيل الكلمات المتدفقة التى لا فائدة منها وقال : انك لا تذكر شيئا اذن ... هل أنت واثق ؟

هز اوبانون رأسه ولكن زوجته تدخلت قائلة : هل هناك مكافأة اذا ما تذكر مايك شيئا ؟

ــ طبعا . اذا استطاع أن يقدم لى ما يفيد .

قالت المرأة وهى تهز زوجها : هل تسمع يا مايك ؟ ... حاول أن تتذكر ...

ــ وكيف تريدين منى أن أتذكر وأنت تهزيننى هكذا كما لو كنت شجرة ...

وبينما كان لومبارد يفتح باب الشقة سمع همسا حمله على أن يبتسم . وفيما هو يهبط درجات السلم فى بطء فتح البـــاب خلفه فجأة وانحنت المـــرأة فوق الدرابزين قائلة :

ــ انتظر أيها السيد ... انه تذكر . عاد الأمر الى ذهنه فجأة .

قال لومبارد فى لهجة جافة : حقا ؟

www.ibtesamh.com/vb

وتوقف . ولكنه لم يصعد السلم وانما اكتفى بأن أخرج حافظته وراح يداعبها باصبعه وهو يقول :

ـــ سليه اذا كان الرباط الذى كانت تربط بها ذراعيها المكسورة أبيض اللون أو أسود ؟

ونقلت المرأة السؤال الى الداخل ، وقالت دون أى تردد بعد أن سمعت رد زوجها : يقول انه كان أسود .

أعاد لومبارد الحافظة الى جيبه وقال فى حزم وهو يتابع هبوطه :

ـــ لم تكن هى اذن .

الأيام ١٤ ، ١٣ ، ١٢ قبل التنفيذ

الفتـــــاة

كانت قد مضت عليها عدة دقائق وهى منحنية فوق المقعد قبل أن يراها . وكان ذلك أمرا مستغربا لأن البار لم يكن مزدحما ، وكان يجب أن يلحظها ، ولكنها كانت قد بذلت جهدها لكى لا يفطن اليها .

وكان قد بدأ عمله ، وكان يبدو أنها دبرت أمرها لكى تصل فى نفس الوقت معه . ومع ذلك فقد كان واثقا انها لم تكن موجودة عندما خرج من غرفة الثياب وردد البصر حوله . ومهما يكن فانه رآها وهو عائد بعد أن انتهى من خدمة عميل فاقترب منها على الفور وقال :

ـــ نعم يا آنسة .

وخيل اليه انها تبادله النظر فى اصرار . ولكن كل الزبائن كانوا ينظرون اليه وهم يطلبون منه طلباتهم .

www.ibtesamh.com/vb

ومع ذلك فقد كانت نظرتها هى مختلفة . كان يبدو أنها تحدق فى الرجل لا فى الساقى . كانت نظرتها اليه كأنها تقول له : « انتبه الى جيدا » . وطلبت كأسا من الويسكى الممزوج بالماء . وعندما ابتعد لكى يأتيها بما طلبت أحس بأنها تتابعه بنظرها . واثار ذلك حيرته لحظة لأنه لم ير سببا لاهتمامها . ولكنه لم يلبث أن نسى أمرها .

وجاءها بطلبها ثم مضى لكى يقوم بخدمة زبون آخر .

ومضت فترة ، وتناسى أمرها ولم يعد يفكر فيها . وفى أثناء تلك الفترة كان فى مقدورها أن تغير موقفها بأن تأخذ كاسها مثلا أو تدير رأسها . ولكنها بقيت جامدة لا تتحرك ، ولم يتحرك فيها غير عينيها . كانت تتبعه بنظرتها أينما ذهب .

ولم يكتشف نظرتها هذه بعد ذلك الا عندما لبى طلبات جميع الزبائن . وأدرك عندئذ انها لم تفارقه بعينيها ، وأثار ذلك حيرته من جديد ، ونظر الى نفسه فى المرآة لكى يرى ان كان فى مظهره شىء على غير ما يرام .. كان مظهره عاديا ثم انه لم ينظر اليه أحد غيرها بمثل هذا الاصرار .

لم تكن تتابعه بنظرها صدفة واتفاقا وهى تفكر فى شىء آخر مثلا .. كلا . كانت تنظر اليه هو . وعندما ادرك ذلك ازداد جزعه ، وراح بدوره يرميها بنظـــراته خلسة عندما يخيل اليه أن أحدا لا يراه . وكانت عيناه تلتقى عندئذ بعينيها . وبدأت دهشته تتحول الى ضيق وانزعاج .

ولم يسبق له قط أن رأى انسانا يبقى بهذا الجمود . ولم تلمس كأسها كما لو انه لم يقدمه لهـــا ، وبدت

www.ibtesamh.com/vb

كبوذا نسائى زى نظرة ثابتة . وازداد ضيقه وانتهى بأن اقترب منها وقال :

ـــ ألم يعجبك هذا الويسكى يا آنسة ؟

ونطق بعبارته هذه لكى يحثها على أن تتحرك ، ولكن محاولته فشلت فقد اكتفت بأن قالت دون أن تحرك شفتيها تقريبا :

ـــ دع هذا مكانه .

وكانت الظروف فى صالحها لأن المرأة غير ملزمة بتجديد طلباتها كما يفعل الرجل الذى يريد البقاء بمفرده فى البار . زد على ذلك انها لم تحاول مغازلة أحد ، كما لم تحاول أن تدفع أى أحد لكى يدفع لهـــا ثمن كأسها . . كان مسلكها اذن لا غبار عليه ، ولم يكن بوسعه أن يفعل شيئا ضدها . وابتعد حتى آخر البار قبل أن ينظر اليها من جديد ، ولاحظ انها تابعته بعينيها .

وازداد ضيقه ، وهز كتفيه محاولا أن يتناسى أمرها ، وعدل ياقة قميصه ، ولكن لم يزده ذلك الا ضيقا على ضيقه . وأحس بالارتياح وهو يرى الزبائن يتوافدون بكثرة . واضطر أن يحول اهتمامه اليهم . وكان فى تلبية طلباتهم ما شغل ذهنه . ولكن كانت تأتى عليـــه لحظة لا يجد فيها زبائن يخدمهم ، وتعود النظرة فتتسلط عليه من جديد ، ولا يدرى ماذا يفعل بيديه .

وأفلتت منه كأس مملوءة بالبيرة ، وأخطأ فى تسجيل مبلغ على آلة تسجيل النقود . وفى النهاية لم يتمالك نفسه ومضى اليها وسألها :

ـــ هل هناك ما تريدين يا آنسة ؟

ـــ كلا . لماذا ؟

www.ibtesamh.com/vb

ـــ هل أذكرك بأحد ما ؟
ـــ كلا .
تمتم يقول :
ـــ ظننت ذلك من الطريقة التى تنظرين بها الى .
لم تجب هذه المرة ، واكتفت بأن حدقت فى عينيه . واضطر أن ينسحب أخيرا وقد تفاقمت حالته .

ولم تبتسم أو تتكلم ، ولم تبد أية أسف ، ولا حتى أى عداء ظاهر . بقيت جالسة تنظر اليه فى خطورة .

اكتشفت سلاحا مروعا وراحت تستخدمه برباطة جأش . والناس عادة لا يدركون كيف لا يحتمل انسان أن ينظر اليه أحد ساعة أو ساعتين أو ربمـــا ثلاث ساعات ، لأن هذا شيء لا يحدث تقريبا أبدا . ولكن هذا الشيء بالذات حدث له وأثار جزعه هلعا . وكان لا يملك دفاعا ضد هذا من ناحية ، لأنه كان منتظرا الى البقاء فى نصف الدائرة التى خلف البار . ومن ناحية أخرى بسبب طبيعة هذا الهجوم بالذات . وكان كلما حاول أن يتصرف أدرك عدم الفائدة لأن النظرة كانت دقيقة وغير محسوسة أو ملموسة .

وبدأت بعض الأعراض تظهر عليه ، وهى أعراض لم يسبق أن عاناها من قبل .. بدأ يحس بخوف مبهم لا أساس له . وأصبح موزعا بين الرغبة فى الاختباء . واللجوء الى غرفة الثياب .. أو الاختفاء تحت البار بحيث لا تستطيع رؤيته . وجفف جبينه مرة أو مرتين خلسة ، وراحت عيناه تتحولان على غير ارادة منه الى ساعة الحائط ، وهى نفس الساعة التى قيل له فى وقت من الأوقات ان حياة رجل مرهونة بها .

وأصبح يتوق الى أن تنصرف . وفاجأ نفسه بأنه

www.ibtesamh.com/vb

يتمنى لو أن تنصرف . ولكن بدا أكثر من ذي قبل انه لم تكن بها أية رغبة فى الانصراف ، وانه لا يمكن أن تغادر مقعدها الا عند اغلاق الأبواب . ومع ذلك فهى لم تكن تنتظر أحدا لأنه لو صح ذلك لأظهرت ما يدل على فروغ الصبر منذ وقت طويل . ولم تبق لكى تشرب لأن الكاس الذى طلبته مازال أمامها لم تلمسه .. كلا .. انها لم تكن موجودة بالبار الا لغرض واحد .. هو أن تحدق النظر فيه .

وعندئذ ، بدأ ينتظر ساعة اغلاق المحل فى فروغ صبر كبير . وكلما قل عدد الزبائن كلما كانت قوة النظرة أشد وأقوى .

وكسر كأسا . وهو شيء لم يقع له منذ شهور . ولعنها فى سره وهو ينحنى لكى يلتقط الشظايا .

وأخيرا ، بلغت الساعة الرابعة ، وهى ساعة الاغلاق . وكان هناك رجلان يتحدثان فى اهتمام ففهمنا دون أن يطلب منهما أحد ذلك وسارا نحو الباب وهما يتحدثان . ولكنها بقيت مكانها .

وقال يخاطب الرجلين اللذين ينصرفان لا لشيء الا لكى تفهم : طابت ليلتكما يا سادة .

ولكنها لم تتحرك .

وراح يطفيء أنوار الصالة ولم يترك الا نور المصباح المنبعث من خلف الزجاجات ، ولم يعد هو غير خيال أسود يتحرك فى هذا الضوء الخافت ، وبدت هى كما لو كانت شبحا مبهما ينظر اليه من خلال العتمة . حانت ساعة الاغلاق .

وعندئذ تحركت اخيرا والفت نفسها أمام البار واعتمدت عليه لحظة ريثما تتعود على الوضع الجديد .

www.ibtesamh.com/vb

وراح يفك ازرار معطفه الأبيض وهو يقول فى غضب :
ــ ما هى لعبتك ؟ ... ما الذى يدور فى رأسك ؟
ومضى الى الباب خلال الظلام دون ان تنطق كما لو كانت لم تسمعه . وما كان ليخطر له ابدا ان فتاة تغادر البار الذى يشتغل فيه يمكن أن يسبب له كل هذا الارتياح واعتمد على البار فى اعياء . وكان بالباب مصباح خافت الضوء ، عندما بلغته الفتاة استدارت لكى تنظر اليه وكانت نظرة طويلة خطيرة ، كما كانت تريد ان يدرك انه لم يكن يحلم وان هذه النهاية ليست النهاية وانما استراحة لا اكثر .
وعندما اغلق البـــاب بالمفتاح والتفت رآهـــا على الرصيف ، على بعد بضعة امتار كما لو كانت تنتظره .
واضطر ان يمر أمامها لأنها كانت تقف فى طريقه . ومع انها راحت تدير رأسها كلما تقدم فقد ادرك أنها ستتركه يمضى دون ان تخاطبه بكلمة . وعندئذ ، كان هو الذى تكلم ، على الرغم من أنه كان فى نيته فى اللحظة التى قبلها ان يتجاهلها .
قال : ــ ماذا تريدين منى ؟
ــ هل طلبت منك شيئا ؟
وهم بان يتابع طريقه ولكنه التفت لكى يقول : انك بقيت جالسة ساعات دون ان تفارقينى بعينيك لحظة واحدة . وأجدك الآن هنا .
ــ هل هناك ما يمنع من الوقوف فى الشارع ؟
هددها باصبعه قائلا :
ــ اننى احذرك يا صغيرتى ... أقول لك خيرا لك .
ولكن اذ بقيت صامتة مطبقة الشفتين ، انصرف دون ان يفرغ من عبارته وهو يتنفس فى شدة . ولم يلتفت

www.ibtesamh.com/vb

الى الخلف ، ولكنه بعد ان قطع عشرين خطوة ايقن أنها تتبعه . على أنها لم تحاول اخفاء الأمر ، وانما راحت تمشى خلفه . ووقع قدميها الرقيقتين يتابعه .

والتفت . واستمرت تتقدم كما لو كانت الساعة لا تزال الثالثة من بعد الظهر . وعندما رأته يعترض طريقها وقفت ، ولكنها لم تتقهقر . وصرخ عندئذفى وجهها يقول :

ـــ اذهبى عنى الآن . هذا يكفى . هل تسمعين ؟.. انصرفى والا ...

ـــ ولكننى ذاهبة أنا أيضا من هذا الطريق .

ومن جديد كانت الظروف مولية للفتاة .. آه ، لو أن تتقلب الأدوار ؟.. ولكن من ذلك الرجل الذى يمضى الى أحد الشرطة لكى يقول له ان فتاة تطارده ؟.. ان ذلك يبدو أمرا مضحكا . انها لم توجه اليه أية اهانة ، ولم تطلب منه شيئا . انمـــا كانت تتبع نفس الطريق الذى يسير فيه ، ولم يملك أخيرا الا أن يمشى وهو يطلق زفرة حارة تدل على عجزه .

عشر خطوات .. عشرون .. وعاد صوت وقع قدميها من جديد .

وانعطف الى شارع جانبى . ورأى أخيرا مدخل المترو الطائر ، فصعد السلم ، والتفت خلفه . ورآها تصعد بدورها . وأمسك بالباب الدوار ، وبقى فى الناحية الأخرى منه فهو موقف الدفاع .

وبلغت قمة الدرج واستمرت تتقدم فى هدوء كما لو كانت لا تراه فى الناحية الأخرى من الباب الدوار .

وقال مكشرا عن أنيابه كالكلب حين يتأهب للعض :

ابعدى عنى .. عودى من حيث أتيت .

www.ibtesamh.com/vb

وبقى مكانه فى الناحيـــة الأخـــرى من الباب حتى لا تستطيع الدخول . واذ رأت ذلك مضت الى الباب الآخر ، ولكنه سبقها اليه من الناحية الأخرى ، وعاد الى الباب الأول عندما عادت اليه ، وامتلأت القضبان بالحركة اشارة الى اقتراب قدوم المترو .

وأراد أن يطاردها عندئذ فطوح بيده الى وجهها . ولو أن الضربة أصابتها لوقعت على الفور ، ولكنها نحت رأسها فى اشمئزاز كما يفعل المرء حين يشم فى الجو رائحة كريهة . وفى نفس اللحظة دق بعضهم على زجاج الباب ، وفتح ناظر المحطة بابه وقال :

ـــ هل انتهيتما من هذه اللعبة ؟.. ألا تتركان الناس تمـــر ؟

ولمـــا لم يكن هو الذى طلب تدخل ناظر المحطة فقد أسرع يقول لكى يفسر موقفه : هذه الفتاة مجنـــونة بلا ريب . انهـــا لم تكف عن ملاحقتى فى الشـــارع ولا أستطيع أن أتخلص منها .

قالت فى هدوء وفى غير اكتراث : هل مسموح لك انت وحدك أن تركب المترو ؟

خاطب ناظر المحطة عندئذ كما لو كان يريد أن يدخله حكما بينهمـــا : ســـلها أين هى ذاهبـــة اذن . انها لا تعرف ذلك .

ولم ترد عليه وانما قالت تخاطب الناظر : اننى ذاهبة الى محطة الشارع السابع والعشرين التى تقع بين الشارعين الثانى والثالث . هل لى الحق فى أن أركب المترو من هنا أم لا ؟

شحب وجه الرجل فجأة لأن المحطة التى ذكرتها

www.ibtesamh.com/vb

الفتاة كانت محطته هو الآخر . كانت تعرف أين يمضى . لم تكن هناك جدوى اذن فى التخلص منهـــا . وقال الناظر :

ـــ ادخلى يا آنسة .

ودخل القطار المحطة فى هذه اللحظـــة ، ولكنه كان منطلقا الى الناحية المضادة ، فمشت الى آخر الرصيف حيث الطرقة التى تؤدى الى الرصيف الآخر ووقفت تنتظر . وكان هو قد حذا حذوها . وقف على بعد أمتار منها ينتظر هو الآخر . وراحت تمشى لكى تقتل الوقت ، واخذت تتقدم حتى خرجت من دائرة رؤية ناظر المحطة ، وبلغت المكان الذى ينتهى عنده السقف ويضيق الخط بحيث ينتهى ببقعة ضيقة أمام القضبان . وهنـــاك توقفت وهمت بأن تعود ادراجها ولكنها قبل أن تستدير أحست بالخطر الذى تتعرض له فاستدارت فجأة .

كان لا يزال يبعد عنها بمسافة ضئيلة ويبدو كأنه يمشى بطريقة عادية على الرغم من أنه كان يسير فى صمت دون أن يصد منه صوت . ولكنها لاحظت النظرة التى ألقاها الى القضيب الثالث ، وهو القضيب الذى يسرى فيه التيار الكهربى .

وأدركت ما ينتظرها . فقد كان يكفيه أن يدفعها بكتفه عندما يصبح فى مستواها ، ثم يدفعها بدفعة من قدمه فتقع على القضيب المكهرب .. ورأت فى فزع أنها لم تعد فى دائرة ضوء رؤية ناظر المحطة ، ونظرت الى الرصيف المقابل ، ولكن كان الترام قد انطلق منذ لحظات وأصبح الرصيف شاغرا . والرصيف الذى تقف به كان ينتهى بعد بضعة أمتار خلفها ، بحيث انها اذا ارتدت يصبح موقفها أشد خطورة ، لأنها ستكون

www.ibtesamh.com/vb

محصورة فى طريق شبه مسدود . ولكى تبلغ منتصف الرصيف وتقترب من كشك ناظر المحطة كان لابد لهـا أن تمر بجواره .. وهذا ما كان ينتظره هو .

وهى اذا صرخت الآن لكى تلفت اليها أنظار الناظر فانها تخاطـر بتعجيل الأمور ، وهـذا ما كانت تريد تجنبه ، فقد كان يكفى رؤية وجه الرجل لكى تفهم أن الصرخة لن ترده عن غرضه ، وانما ستزيده اصرارا ، فقد أفلحت فى اخافته تماما وفى اثارة حنقه .

وراحت تتقدم ، مبتعدة بقدر ما تستطيع عن القضبان محتكة بظهرهـا بألواح الاعلانات التى تحف بطـول الرصيف وهى تسمع حفيف ثوبها ضدها .

وانحرف نحوها عندئذ لكى يقطع عليها الطريق . وراح كل منهما يتحرك فى بطء ، وقد أحست بالهلع يملأ جوانبها وهى ترى نفسها فوق الرصيف الضيق على علو نحو ثلاثة طوابق من الشارع ذى المصابيح المتباعدة .

وأخذ كل منهما يتقدم من ناحيته . خطوتان أخريان أو ثلاث ويتقابلان حتما .

وفجأة ، ودون أى توقع أو انتظار سمعا البـاب الدوار يدور ودخلت زنجية شابة وتقدمت على الرصيف ناحيتهما . وتراخت عضلاتها فى بطء ، واحتفظ كل منهما بالوضع الذى فاجأتهما الزنجية فيه ، فاعتمدت الفتاة بظهرها على اللوحات الاعلانية كما لو أن ساقيها قد لانتا فجأة ، أما هو فراح يربت بيده على موزع كهربائى للحلويات كان على بعد خطوتين منه ، ثم ابتعد متظاهرا بعدم الاكتراث . ولم ينطق أى منهما بكلمة

www.ibtesamh.com/vb

واحدة أثناء هذه الايمائية .. لن يقع هذا بعد ذلك . ومرة أخرى انتصرت عليه .

وعندما جاء الترام صعد كل منهما فى نفس العربة ، هو من باب وهى من الباب الآخر . وكان يفصل بينهما امتداد العربة ، وراحت الزنجية الشـــابة تنظر الى قائمة المحطات كما لو كانت تريد أن تختار المحطة التى تستطيع فيها مزاولة تجارتها الليلية .

وفى محطة الشارع السابع والعشرين هبط كل منهما من ناحيته . وأدرك دون أن يلتفت اليها انها تتبعه محتفظة بمسافة كبيرة بينهما . وكانت تعرف فى أى بيت يقطن ، ولهذا أصبحت المطاردة آلية بحتة ... ولم يكن هناك غير سؤال واحد يدور برأسه وهو : لمـــاذا ؟

ودخل البيت من غير أن يلتفت ، ولكنه سمع وقع اقدامها خلفه . ولم تتوقف الا بعد أن أصبحت أمام البيت ، وبقيت واقفة مكانها وهى تحدق بعينيها فى نافذتين من نوافذ الواجهة المظلمة .

ولم يلبث أن سطع النور فى النافذتين المذكورتين ، ثم انطفأ على الفور ، ولكنها رأت ، على ضوء أحـــد مصابيح الشارع ستارة نافذة منها تتحرك .

وعرفت الفتاة أنها مراقبة ولكنها ظلت مع ذلك واقفة مكانهـــا .

ومرت بها سيارة أجرة ، والقى سائقها اليها نظرة كلها فضول ولا أكثر لأنه كان لديه راكب . ومر ترام طائر فى آخر الشارع وبدا كدودة مضيئة .

وفجأة ظهر شرطى بجوارها بدا كأن الأرض انشقت

www.ibtesamh.com/vb

عنه ، ولا ريب انه كان يراقبها منذ فترة دون أن تفطن اليه . وقال :

ـــ ان سيدة بهذا البيت قدمت شكوى يا آنسة . وقالت انك تبعت زوجها منذ أن ترك عمله ، وانك تراقبين البيت منذ نصف ساعة .

ـــ نعم . هذا صحيح .

ـــ من الأفضل أن تنصرفى اذن .

ـــ أرجوك أن تمسكنى من ذراعى وان تأخذنى حتى آخر الشارع كما لو كنت تلقى القبض على .

وعمل كما قالت له دون حزم كبير ، وعندما توقفا أخيرا بحيث لا يمكن أن يراهما أحد من النافذة ، بسطت اليه ورقة قائلة :

ـــ اقرأ هذه .

وأخذ الورقة وقرأ ما بها على ضوء المصباح الباهت . وعندما فرغ قالت له : يمكنك أن تتصـــل به بالقسم الجنائى اذا كنت تريد التأكد ، فاننى أعمل بموافقته .

قال الشرطى فى احترام متزايد : عمل مراقبة اذن ... حسنا . حسنا .

ـــ وأرجو فى المستقبل أن لا تحفل بما قد يأتيك من الشكاوى فيما يتعلق بى . ولا ريب انه سيأتيك منها الكثير فى الأيام المقبلة .

وبعد أن فارقها الشرطى دخلت كشكا عموميا ، وادارت رقما ، وسألها صوت فى آخر الخط قائلا : حسنا . كيف الحال ؟

ـــ انه بدأ يفقد جأشه ، وكسر كأسا فى البار وأوشك أن يلقى بى فوق قضبان المترو منذ نصف ساعة .

www.ibtesamh.com/vb

ـ هكذا . توخى الحذر اذن ، واحتفظى بمسافة كبيرة بينك وبينه عندما تكونا وحدكما . ولا تنسى على الخصوص انه لا يجب أن يشك فى السبب الذى يدفعك الى ذلك ، فان هـذا القلق هو الذى يملأه رعبـا ، وسيحمله فى النهاية الى ما نريد . ولكن اذا عرف السبب الآن فسوف ينتهى تأثيرك عليه .

ـ فى أية ساعة يبدأ عمله عادة ؟

ـ انه يغادر مسـكنه كل يوم فى نحو السـاعة الخامسة بعد الظهر .

ـ سوف يجدنى فى انتظاره منذ الغد .

* * *

اقترب صاحب البار والساقى فى الليلة الثالثة وقال له : ما الخبر ؟ لمـاذا لا تريد أن تخدم هذه الآنسة ؟ ... اننى أراقبك منذ أن جاءت منذ عشرين دقيقة . لعلك لا تراها .

كان وجهه شاحبا وقال فى صوت خافت لكى لايسمعه الآخرون : مستر انسلمو ... اننى لم أعد احتمل ... لا يمكن أن تفهم .

وكان على وشك البكاء ، وكانت الفتاة تبعد عنهما خطوة وتنظر اليهما فى هدوء وثبات . وقال الساقى :

ـ انها تأتى منذ ثلاث ليال وتظل تنظر الى هكذا .

زجره صاحب البار قائلا بعد أن تأمله فى اهتمام : انها تنظر اليك لأنها تنتظر أن تخدمها . ما الخبر ؟ ...

www.ibtesamh.com/vb

هل أنت مريض ؟ ... اذا كنت مريضا فعد الى بيتك . سأتصل ببيتر لكى يأتى ويحل محلك .

أسرع يقول محتجا وهو يحبس البكاء : كلا ، كلا . لا أريد أن أعود الى البيت ، فانها تلاحقنى فى الشوارع وتقضى الليل كله تحت نافذتى . اننى أوثر أن ابقى هنا بين الموجودين .

قال أنسلمو فى حدة : كف عن هذه الحماقة وسلها ماذا تريد .

وابتعد وهو يلقى نظـــرة الى الوراء من فوق كتفه ويقول لنفسه انها فتاة عادية مسالمة .

* * *

قال ناظر المحطة من خلال الشباك الصغير الذى اعتمدت عليه : هالو ... غريب أمر هذا الشاب الذى مر الآن ... وانت تأتين دائما فى نفس الوقت ، ومع ذلك فيبدو انكما غير متعارفين . ألم تلاحظى ذلك ؟

أجابت : نعم . والسبب اننا نأتى كل ليلة من نفس المكان .

وألقت بيدها على حافة الشباك كما لو أن هـــذه الحركة تبعث اليها الأمن والاطمئنان . وكانت تدير رأسها من وقت لآخر الى الرصيف حيث كان الرجل يمشى أو يقف وحده ، ولكنها لم تكن تقترب منه أبدا ، كما أنها لم تكن تفارق ناظر المحطة الا اذا أقبل الترام .

* * *

www.ibtesamh.com/vb

انطلق الترام ، ومرت سيارة أجرة ، وألقى سائقها نظرة الى الفتاة ... نظرة تنطق بالفضول ولا أكثر لانه كان عائدا الى الجاراج .

وفجأة انفتح باب البيت الذى تقف أمامه ، واندفعت منه امرأة مشعثة الشعر ترتدى معطفا فوق قميص النوم وتمسك فى يدها مكنسة ، وأسرعت نحو الفتاة الواقفة فى الناحية الأخرى من الشارع .

ولكن الفتاة دارت على عقبيها على الفور ، وانعطفت الى شارع جانبى ، ومنه الى شارع آخر ، ولكن دون أن يبدو عليها أنها تفر من شيء ما ، وانما كما لو كانت تبتعد لأنه لم يعد هناك مايهمها بعد .

وصاحت المرأة تقول : منذ ثلاثة أيام وانت تقفين هكذا ... عودى فأريك ما ينتظرك .

واذ رأت أن غريمتها اختفت عن ناظرها عادت الى بيتها وهى تلوح بالمكنسة مهددة .

وبعد بضع لحظات عادت الفتاة ووقفت مكانها وقد رفعت عينيها الى النافذتين المعهودتين كالقطة حين تترقب جحر الفأر .

وقال لها الصوت فى آخر الخط هذه المرة : يوم آخر ويفقد كل مقاومة ... ربما غدا مساء .

* * *

كان اليوم يوم أجازته ، وقد مرت به ساعة وهو يحاول أن يتخلص منها . سوف يتوقف مرة أخرى . أصبحت تعرف البوادر الآن ، فقد وقف ثلاث مرات قبل ذلك ، وقلدته حتى عاود السير . ولكنها لاحظت اختلافا

www.ibtesamh.com/vb

هذه المرة ، فقد توقف كما لو كان على غير غرض منه ، كما لو أن زنبركا فيه قد انكسر . وكان واقفا تحت الشمس ، ورأته يحاول أن يعتمد على الجدار خلفه ، ووقعت منه الربطة التى كان يضعها تحت ابطه دون أن يحاول منعها أو التقاطها .

وتوقفت على بعد منه فى غير اكتراث ، ولكن دون أن تفارقه بعينيها .

ورأته يرمش بعينيه مرارا ، وفجأة انحدرت الدموع على وجنتيه ، وراح يبكى دون أن يهتم بالمارة .

وتوقف شخصان وقد بدا عليهما الذهول ، ثم لم يلبث أن توقف غيرهما ، وأصبحوا أربعة ثم ثمانية . ووجدت الفتاة نفسها معه وسط جماعة راحت تزداد من وقت لآخر .وكان قد اجتاز حد الكرامة ، ولم يعد يهمه الهوان . وراح ينظر الى القوم الذين تجمعوا حولهما يطلب منهم النجدة والحماية منها . وقال متأوها فى صوت مرتفع :

ـــ سلوها ماذا تريد مني ... سلوها ... انهـا تلاحقنى هكذا منذ أيام ... دون انقطاع ... دون انقطاع ... لم أعد أستطيع الاحتمال ... اننى انهرت تماما .

قالت امرأة تسأل صديقة لها :

ـــ أهو سكران ؟

وبقيت الفتاة مكانها ، ولم تحاول الابتعاد أو الهرب من الاهتمام الذى اجبرها على أن تتقاسمه معه . كانت بادية الهدوء ، ليس فيها ما يريب ، فى حين بدا هو مضحكا . وكانت النهاية الحتمية التى لم يكن منها بد ، فان الجمهور غالبا ما يكون سخى النزعة ، فقد علت

www.ibtesamh.com/vb

البسمات الوجوه ، ثم راحوا يضحكون علانية ويتبادلون النكت ويسخرون منه . ومن كل هذه الوجوه بقى وجه واحد جامداً ومحايدا ، وهو وجه الفتاة .

وصاح يقول وقد ازداد عذابه ويأسه :

ـــ أقول اننى لم أعد احتمل ... لابد من أن افعل شيئا لهذه ...

وفجأة ، سار نحوها كما لو كان يريد أن يضربها . واعترض الرجال طريقه على الفـــور وأمسكوا به من ذراعيه . والتف به الجميع . وكان من الممكن أن يفتكوا به ، لولا أنها تدخلت وقالت فى هدوء وفى صوت واضح :

ـــ كلا ... دعوه ... دعوه يمضى ...

ولكن لم يكن فى صورتها أية حسرة أو مرارة او شفقة ... كانت كأنها تقول : دعوه لى فانه ملكى .

وتركه الناس وانصرفوا عنه . ووجد نفسه ، من جديد ، وحده معها .

وعندئذ ، حاول كالحيوان الطريد أن يقطع الحلقـــة التى تحتجزه ، وأفلح فى ذلك ، فتخلص منها وراح يجرى بكل قواه من هذه الفتاة ذات الوجه الهادىء التى وقفت مكانها تتبعه بعينيها ... هذه الفتاة النحيفة الهشة داخل معطفها .

وكأنها لم تشأ أن تقف وتستمتع بانتصارها فراحت تتبعه من جديد ، فى وضح النهار ، فى شوارع نيويورك .

وأحس على الفور ، تقريبا ، بأن المطاردة بدأت من جديد . وألقى نظرة الى الخلف ، من فوق كتفه . ورآها . وانتظرت حتى أدار رأسه من جديد ، ورفعت يدها كما لو كانت تأمره بالوقوف .

www.ibtesamh.com/vb

وأحست الآن بأنه انهار تماما ، وان بورجيس لن يجد أية مشقة فى معالجته ، فان هذا الجمهور الساخر حطمه تماما . وسوف يكون كالعجينة الطيعة فى أيد ماهرة . ما عليها الآن الا أن تعمل على القاء القبض عليه ، وأن تستدعى بورجيس لكى يتكفل به ... « هل أنت مستعد الآن أن تعترف بأنك رأيت هندرسون مع امرأة فى ليلة ٢٠ مايو ؟ ... لماذا قلت العكس ؟ ... من الذى حملك على هذا التصرف ، أو من الذى نقدك لكى تفعل هذا ؟

وكان قد توقف فى آخر الشارع ينظر حوله كالمجنون ، كما لو كان يسمع الحكم عليه بالاعدام . كان قد تملكه ذعر شديد ، وأدركت هى ذلك . كم تكن بالنسبة له فتاة عادية يستطيع أن يصرعها بضربة من يده اذا أراد ، وانما كانت الهة الانتقام مجسدة .

ورفعت يدها من جديد بينما كانت المسافة بينهما تقل شيئا فشيئا . ولكن هذه الحركة كان لها فعل السوط عليه وأفقدته كل صوابه .

كان الناس يقفون متجاورين فى انتظار أن تتغير اشارة المرور لكى يجتازوا الشارع ، وعندما رأى أنها ستلحق به اندفع نحو هذا الجدار البشرى وشق طريقه فيه ، كالمهرج حين يشق له طريقا عبر قطعة من الورق .

وتوقفت هى على الفور كما لو أن قدميها تسمرتا فى الأرض . وارتفع صوت فرملة شديدة فرفعت يديها أمام عينيها ، ولكن بعد أن رأت قبعته تطير فى الهواء بطريقة لها دلالتها .

وصرخت امرأة . ثم ارتفعت صيحات الفزع بين الجميع .

www.ibtesamh.com/vb

اليوم الحادى عشر قبل التنفيذ
لومبـــــارد

كان لومبارد يتعقبه منذ ساعة ونصف وهو يحـدث نفسه فيقول إنه ليس هناك ابطأ من مطاردة متسول ضرير . ولم يكن مع هذا الأخير كلب يرشده ، ولهذا كان يمشى كالسلحفاة ويستنجد بأحد المارة كلما اضطر الى عبور شارع . وكانت الصدقات تتقاطر عليه أثناء ذلك بحيث كان من مصلحته أن يمشى بكل بطء .

ولكن الأمر كان شاقا بالنسبة للومبارد ، وهو يرى الوقت يمضى سراعا . وكان يقف أحيانا أمام احـدى الفترينات ، لا شىء الا لكى يستطيع أن يمشى بعد ذلك فى خطى طبيعية الى أن يلحق بالمتسول من جديد ، وهو يعزى نفسه قائلا أن الرجل لابد له أن يعود الى مكان ما لكى يبيت فيه ليلته . وأخيرا ، وبعد أن بدأ لومبارد يعتقد أن هذه اللحظة لن تأتى أبدا اختفى الضرير داخل بيت من البيوت .

كانا يسيران ، احدهما خلف الآخر ، حتى بلغا حيا لم يكن من المأمول أن ينالا فيه أية صدقات . ودخل الرجل زقاقا مسدودا فى آخره جدار تقع خلفه قضبان السكة الحديدية ، ودخل آخر بيت فيه .

وحث لومبارد السير ، وعندما دخل الممر القذر بدوره استطاع أن يسمع صوت ارتطام العصا على درجات السلم . واقترب من بير السلم وأدرك أن العصا بلغت الدور الثالث ، وأنها تتجه نحو مؤخرة البيت .

وجعلته الطاقة التى كبتها كل هذه المدة أن يصعد الأدوار الثلاثة مرة واحدة دون أن يحس تقريبا . وعندما

www.ibtesamh.com/vb

بلغ البسطة انتظر قليلا ريثما استرد نفسه العادى . ورأى أمامه بابين ، ولكن احدهما كان باب دورة المياه ، ولم يتسرب من عقب الباب الآخر أى ضوء ، ولكنه لم يلبث أن سمع حركة بالداخل . وجعلته هذه الحركة يفكر فى حيوان ما تعمق فى جحره محاولا أن يجد مكانا مريحا لكى يقضى ليلته فيه . ولم يكن هناك أى ريب فى أن الضرير كان بمفرده لانه لم يتكلم .

ورأى لومبارد أنه انتظر بما فيه الكفاية فطرق الباب ، وعلى الفور سكنت كل حركة بالداخل . وساد صمت مثير ، صمت غريب كما لو أن شاغل الغرفة أراد أن يحمل الطارق على الظن بأن الجحر شاغر .

وطرق لومبارد الباب مرة أخرى وقال : افتح .

وعندما طرق الباب للمرة الثالثة طرقا مستمرا قويا قرقع لوح من الخشب بالداخل وسمع صوتا يهمس خلف الباب : من الطارق ؟

ـ صديق .

ولكن هذه الكلمة بدلا من أن تبعث الطمأنينة الى الضرير زادته جزعا فقال : ليس لى أصدقاء ، وأنا لا أعرفك .

ـ دعنى ادخل ... لن الحق بك أى أذى .

ـ لا أستطيع ، فأنا وحدى هنا واعزل من كل سلاح ، ولا يمكننى أن أدع أحدا يدخل .

وأدرك لومبارد أن الرجل يخشى على حصيلة اليوم فقال :

ـ يمكنك أن تفتح لى لحظة واحدة . أريد أن أتحدث اليك .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ انصرف يا هذا ... انصرف من أمام الباب والا طلبت النجدة من النافذة .

ولكن قوله هذا كان توسلا أكثر منه تهديدا . ولم يبد أحدهما أية حركة . وأخيرا أخرج لومبارد حافظة نقوده ، وكانت أكبر ورقـــة مالية من ذات الخمسين دولارا فأخذها وانحنى ودسها تحت الباب ، وقال :

ـــ انحن وضع يدك أسفل الباب ... أرجو أن تكون قد تأكدت الآن اننى لا أقصد سرقتك ... افتح الباب اذن .

وبعد تردد يسير سمع سلسلة الأمان ترفع من مكانها ثم دار مفتاح فى قفل الباب . وانفتح الباب أخيرا ورأى لومبارد أمامه الوجه ذى النظارة السوداء .

ـــ هل معك أحد ؟ .

ـــ كلا . اننى وحدى . ولا داعى للخوف فاننى لم آت لكى الحق بك أى ضرر .

ـــ هل أنت من البوليس ؟

قال لومبارد فى فروغ صبر وهو يدفع الرجل الى الداخل :

ـــ كلا . انما أريد أن أتحدث معك لا أكثر ... كم مرة يجب أن أقول لك هذا .

وكانت الغرفة مظلمة وازدادت ظلمة عندما أغلق الباب ومنع نور الطرقة من التسلل اليها .

ـــ ألا تضيىء النور ؟

أجاب الضرير : كلا . فنحن على قدم المساواة هكذا . اذا كنت قد أتيت لكى تحدثنى فحسب فلا حاجة بك الى النور ..

وسمع لومبارد صرير الفراش فادرك أن الضرير

www.ibtesamh.com/vb

جلس فوقه . وتحسس طريقه فى حذر الى أن وجد مقعدا متزعزعا ، فجلس وقال :

ـــ هل أستطيع أن ادخن على الأقل . لا ريب انك تدخن أنت الآخر .

أجابه الرجـــل وهو فى تمام الحذر : عندما أجـــد ما أدخنه .

ـــ خذ سيجارة اذن .

وكان الضرير جالسا على حافة فراشه وعصاه فوق ركبتيه ، حتى تكون فى متناول يده اذا ما أراد أن يدافع عن نفسه . ودس لومبارد يده فى جيبه ، وبدلا من أن يخرج علبة سجائره أخرج مسدسه وصوبه الى محدثه وهو يقول ثانية : خذ سيجارة .

ولكن الضرير توتر فى مكانه ، ووقعت عصاه منه ، ورفع يديه وغطى وجهه متشنجا وقال :

ـــ كنت أعلم أنك تنوى سرقتى ، وما كان يجب أن ادعك تدخل .

اعاد لومبارد المسدس الى جيبه فى هدوء وقال : أنت لست ضريرا . وكنت أعلم ذلك على كل حال ، فان ورقة الدولار بحجم ورقـــة الخمسين دولارا ، وما كنت لتفتح بابك من أجل دولار واحد ، لأنك لا شك جمعت أكثر من دولار فى يومك ، ولكن خمسين دولارا شىء آخر ، والضرير وحده هو الذى لا يعرف الفرق بين الدولار والخمسين . أما أنت فقد رأيت الورقة من خلال نور الطرقة المتسرب من تحت عقب الباب ، ولهذا فتحت .

وكان لومبارد قد تبين شمعة نصف مستهلكة فوق الموقد فأشعلها بقداحته وهو يتكلم .

www.ibtesamh.com/vb

وتأوه الضرير وهو يمر بيده فوق جبينه : أنت من البوليس اذن ؟

ـ كلا . لست من البوليس ، ولم آت لمشاكستك لأنك تثير شفقة الناس بتظاهرك بأنك عاجز .

ـ ماذا تريد اذن ؟

ـ أريد أن تتذكر شيئا رأيته أنت أيها السيد الضرير ، ذات مساء فى الصيف الماضى ، بينما كنت تتسول أمام الكازنو .

ـ ولكننى قضيت الموسم الماضى كله أمامه .

ـ بلا شك ... ولكن هناك سببا وجيها يجعلك تتذكر الليلة التى أتكلم عنها ... ففى تلك الليلة خرج رجل وامرأة معا من ملهى الكازينو ... كانت المرأة تلبس قبعة صفراء ذات لون فاقع فى وسطها ريشة طويلة . وقد اعترضت أنت طريقهما وهما يهمان بركوب سيارة أجرة . وأوقعت المرأة سيجارتها المشتعلة فى صندوقك دون أن تفطن فاحترقت أصابعك . واذ رأى الرجل ذلك التقط السيجارة على الفور واستبدلها بدولارين . ولا شك انك تتذكر ذلك تماما ... فان أصابعك لا تحترق كل ليلة ، ولا يمكن أن يعطيك شخص واحد دولارين مرة واحدة .

ـ واذا قلت لك اننى لا أذكر ذلك .

ـ سأطلب منك اذن أن تعيد ما قلت لى لمفتش بوليس صديق لى . بل اننى استطيع أن آتى به هنا اذا أردت .

صاح الرجل : ولكن النتيجة سيان بالنسبة لى ، فاننى اذا قلت اننى رأيتهما فسيعرفون اننى لست ضريرا .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ كلا . لأنك ســـتقول ذلك لصديقى وحـــده ، واستطيع أن أعدك أنه سيتركك وشأنك بعد ذلك .

قال الضرير فى صوت خافت : حسنا اذن ... اننى رأيتهما . واننى أغمض عينى حتى تحت النظارة عندما أكون فىمكان يسطع بالنور . ولكن لسعة السيجارة جعلتنى افتحهما تماما .

قال لومبارد وهو يخرج صورة من جيبه :

ـــ أهذا هو ؟

خلع الرجل نظارته السوداء وفحص الصورة فى عناية كبيرة ثم قال : نعم ، أظن ذلك . لم أره غير لحظة عابرة ، ولكن يبدو لى أنه هو .

ـــ وهى ؟ ... هل تستطيع أن تعرفها اذا رأيتها ؟

ـــ ولكننى رأيتها بعد ذلك .

صاح لومبارد وهو يهب واقفا وينحنى فوق محدثه وقد امسكه من كتفه : ماذا ؟ ... متى كان هذا ؟ ... وأين ... تكلم .

ـــ فى مساء اليوم التالى ، وقد عرفت أنها هى بهذه الطريقة . كنت واقفا أمام أحد القصور الكبيرة ، وكان يسطع بالنـــور . وسمعت خطـــوات تهبط الدرجات الأمامية ... رجل وامرأة ... ثم قالت : انتظر دقيقة ... ربما يأتينى ذلك بالحظ . وأدركت أنها تتحـــدث عنى . واقتربت منى ووضعت ربع دولار فى صندوقى . وأنا أعرف قطع النقود المختلفة من صوتها . وقد عرفت أنها هى مما حدث بعد ذلك ، فقد وقفت أمامى لحظة ، وما من أحد يفعل ذلك بعد أنيضع ما يضعه فى صندوقى، فقد كنت أمسك الصندوق بيدى اليمنى ، وهى اليد التى احترقت . وكانت قد تكونت فقاعة فوق سبابتى .

www.ibtesamh.com/vb

ولا ريب أنها رأتها لأننى سمعتها تقول النجدة فى صوت خافت « أوه ... ما أغرب هذا ! » ثم ابتعدت عنى ولحقت بالرجل .

ـــ ولكن ...

ـــ مهلا ، فاننى لم أفرغ بعد . فقد فتحت عينى لكى ألقى نظرة الى الصندوق ، ورأيت أنها أضافت دولارا الى الربع دولار الذى سبق أن وضعته . ولماذا فعلت ذلك ما لم تكن قد عرفتني ، وما لم تكن قد تذكرت ما فعلته بى فى الليلة السابقة .

قال لومبارد فى فروغ صبر : هذا صحيح . ولكن ألم تقل لى انك رأيتها ؟ ... كيف كانت اذن ؟

ـــ لا أستطيع أن أقول لك ذلك لأننى لم أستطع أن افتح عينى عندما وقفت أمامى وذلك لشدة النور ، ولكننى بعد أن رأيت الورقة المالية ، نظرت اليها وهى تولينى ظهرها وتركب سيارة الأجرة .

ـــ صفها لى على كل حال .

ـــ اوه ، ولكنك سوف تفهم طبعا . فاننى لم أجرؤ أن أرفع عينى ، ولم استطع أن أرى غير جوربهـــا وحذائها وهى تركب السيارة .

ـــ قبعة صفراء ... وجورب وحذاء ... بهذه الطريقة ستنقضى عشرون سنة قبل أن نجد المرأة بالكامل .

وفتح لومبارد الباب وهو يغلى من الغضب ثم تحول وقال متوعدا : اننى واثق انك تستطيع أن تتذكر خيرا من هذا . ولكن يجب أن يتولى استجوابك خبير فى هذه الشئون ، فلا ريب انك رأيتها بوضوح أمام الملهى . ولا ريب انك سمعت العنوان الذى ذكرته للسائق وهى تركب سيارة الاجرة .

www.ibtesamh.com/vb

ـ كلا .

ـ ابق مكانك على كل حال ولا تتحرك . سأتكلم فى التليفون مع الصديق الذى حدثتك عنه . اريد أن يأتى وان يصغى الى اقوالك .

ـ ولكن هل هو من البوليس ؟

ـ قلت لك انه ليس هناك ما تخشاه منه فانه لا يهتم بالمتسولين . ولكن لا تحاول الهرب لأنك لو فعلت فسيهتدى اليك سريعا ، وستندم على ذلك .

ثم صفق الباب خلفه .

وفى آخر الخط بدت امارات الدهشة فى صوت محدثه وهو يقول :

هل اكتشفت جديدا ؟

ـ نعم . ولكننى لم أعرف الكثير ، ولهذا اريد أن تأتى لأننى أعتقد انك تستطيع ان تستخلص منه المزيد. أنا فى زقاق مسدود ، بين الشارع ١٢٣ وبارك افنيو .. البيت الأخير ، على اليسار ، قبل سور السكة الحديد. عجل بالمجىء بقدر ما تستطيع . اننى وجدت شرطيا كان يقوم بداوريته فطلبت منه ان يراقب البيت ريثما أعود ... اننى أحدثك من الشارع المجاور لأننى لم أجد تليفونا اقرب من هذا ... سأنتظرك هناك ، أمام الباب .

وبعد بضع دقائق وقفت احدى سيارات البوليس فى أول الزقاق ، وهبط بورجيس منها ثم انطلقت من جديد. وأسرع المفتش الى حيث يقف لومبارد واحد الشرطة . وشكر لومبارد الشرطى فتابع هذا داوريته ودخل الرجلان الممر المظلم .

وقال لومبارد : انه يقطن فى الطابق الأخير . وهو

www.ibtesamh.com/vb

يتظاهر بأنه ضرير ، وقد رأى المرأة التي نبحث عنهـا مرتين ... فى تلك الليلة وفى الليلة التالية .

قال بورجيس وهما يبلغان الدور الثاني : ان المكان مظلم جدا .

ـ عجبا . هذا صحيح ... ولكن النور كان يسطع فى السلم قبل ذلك ... لا ريب ان المصباح قد أحترق.

ـ هل انت واثق ان النور كان مضاءا عندما جئت أول مرة ؟

ـ كل الثقة . وكانت غرفته مظلمة جدا ، ولكن عندما فتح الباب رأيت وجهه على ضوء السلم .

ـ دعنى أمر الأول ... فان معى مصباحا كهربيا .

وكشف نور المصباح ، عند انعطاف السلم شيئا مكتوما كان لابد أن يتعثر فيه الرجلان فى الظلام .واذا كانت ساقا الرجل لا تزالا ممدودتين فوق الدرجـات الأخيرة فان النصف الاعلى من جسمه كان قد استقر فوق البسطة ورأسه فى وضع يستدل منه على أنهـا ارتطمت بالجدار عند وقوعه ، وقد تدلت نظـارته السوداء من احدى اذنيه ، وان كانت قد بقيت سليمة.

وقال بورجيس : أهو الضرير الذى تحدثت عنه ؟

أجاب لومبارد فى صوت أجوف : انه هو .

وانحنى المفتش ثم قال بعد فحص سريع : لقد دق عنقه ... وقد كان الموت سريعا .

ومسح ضوء المصباح الكهربى السلم حتى البسطة العليا ثم قال : لا ريب ان قدمه زلت فوقع وأرتطمت رأسه بالجدار .

قال لومبارد فى غضب شديد : فى اللحظة التى وضعت يدى عليه بالذات .

www.ibtesamh.com/vb

ثم قال وقد غير لهجته : الا يمكن أن يكون ... هل انت واثق أنه حادث ؟

ـــ هل التقيت بأحد اثناء هبوطك ؟

ـــ كلا . لم التق بأى أحد ولم أر ،لا أنا ولا الشرطي، أحدا يدخل أو يخرج .

ـــ ألم تسمع صوته عندما وقع ؟

ـــ كلا . والا لأسرعت بالدخول . ولكن مر قطاران ونحن ننتظرك ، وقد أحدثا جلبة كبيرة بحيث لم يسمع أحدنا الآخر . ولا ريب انه وقع اثناء مرور أحدهما .

ـــ نعم . ولا ريب ان هذا هو الذى منع باقى السكان من سماع أى شيء .

ـــ نعم . ولكن ... والنور ؟ ... اليست هـذه مصـادفات كثيرة . اننى واثق أن هـذا كان مضاء عندما هبطت لكى اتكلم معك فى التليفون

وصعد بورجيس حتى البسطة التالية وسلط ضوء مصباحه ورأى المصباح الكهربائى الذى يتـدلى من السقف وقال :

ـــ ان المصباح مازال موجودا مكانه .

قال لومبارد وهو يلحق به : انه حادث غريب ... وقد وقع فى اللحظة التى وصلت فيها الى شيء بالذات.

ـــ مثل هذه الأمور تقع . ولكن ارجوك ان تفهم انه اذا كان الأمر مدبرا فان المصادفات تكون أعجب ... مرور القطار ... واحتراق المصباح ... وارتطـام راس الرجل بالجدار فى حين أنه كانت أمامه كل الفرص فى ان يصاب بورم فى رأسه .. ان القدر فقط هو الذى يمكن أن يجمع بين كل هذه المصادفات .

www.ibtesamh.com/vb

ـ ولكن الرجل مات ولن يتكلم بعد ... لو انه بقى فى غرفته .

وكان لومبارد قد بدأ يهبط وهو يتكلم . وعندما بلغ الدرجة الأخيرة حيث توجد الجثة التفت مذعورا وقال:

ـ ما هذا ؟ ... ما الذى حدث ؟

أشار بورجيس باصبعه الى الجدار وهو يقول : ان المصباح أضاء ثانية عندما اهتز السلم تحت تأثير وقع قدميك . لا ريب أن هناك تماسا فى مكان ما ... وهذا يفسر انطفاء المصباح عندما وقع الرجل ... ولكن خل عنك يا لومبارد ولا تبتئس ، ففى مقدورك ان تكتشف شيئا آخر ، ولا داعى لأن تضيع وقتك هنا ... سأتولى انا كتابة التقرير .

وبقى المفتش بجوار الجثة ، وراح يتابع بعينيه لومبارد وهو يهبط السلم وقد تملكه اليأس .

اليوم العاشر قبل التنفيذ
الآنسة

كان بورجيس قد كتب لها فى قصاصة من الورق :

« كليف ملبورن

باوركستر الكازينو بالموسم الماضى

وبمسرح ريجنت حاليا » .

واضاف الى كل ذلك رقمى تليفون ... رقم قسم البوليس حتى ساعة محدودة ورقم تليفونه الخاص اذا ما اضطرتها الظروف الى الاتصال به . وكان قد قال لها :

ـ لا أستطيع أن أشير اليك بما تفعلين ، وعليك

www.ibtesamh.com/vb

انت أن تدبرى أمرك . وسوف ترشدك غريزتك أحسن منى . ولكننى أوصيك بشىء واحد :

لا تنزعجى واحتفظى برباطة جأشك .

ونظرت فى المرآة الى الشخصية التى اختارتها لهذه الحملة الجديدة ، وهى تتمنى أن تكون قد وفقت فى اختيارها .

كان شعرها الناعم الجميل قد أصبح عبارة عن دوائر نحاسية واختفت الأناقة المعهودة فى ثيابها ، والتفت فى ثوب ضيق كان لا يمكن ان تجلس الا وينحسر عن ساقيها بطريقة فاضحة . واذ رأت نفسها بصورتها الجديدة تملكها الرعب ، فقد طبعت على كل من وجنتيها حلقة من الأحمر الفاقع كما لو كانت تدعو كل من يراها، وتدلى من عنقها عقد كبير وغطت جفنيها بطبقة كثيفة من الأخضر ، كان ليخطر لها ان تفكر فى الوقت العادى أبدا .

وشهد سكوت هندرسون كل هذا التغيير وهو ينظر اليها من اطاره الموضوع فوق طاولة الزينة .

وتمتمت تقول وهى مكروبة : انك لم تعد تعرفنى ، اليس كذلك يا حبيبى ؟

ولكننى لا أريد ان ترانى وانا على هذه الصورة ، فلا تنظر الى . . . لا تنظر الى .

ولكى يكتمل التغيير ، وضعت بطول ساقها ربطة ذات لون وردى مثير بها حلية من التل وعقدة من الساتان وجعلتها فى حدود الرؤية . . . اى بحيث يمكن رؤيتها عندما تجلس .

www.ibtesamh.com/vb

وخرجت أخيرا من غرفتها بعد أن همست تخاطب الصورة : ربما الليلة يا حبيبى ... ربما الليلة .

وكانت كل الأنوار مضاءة عندما هبطت من سيارة الأجرة ، ولكن لم يكن فى البهو غير بضعة أشخاص ، وقد ارادت ان تصل مبكرة لكى تجد الوقت ... لكى تثير اهتمامه قبل اطفاء الأنوار فى الصالة ، ولم تكن تدرى ما هى القطعة الموسيقية التى سيعزفونها ، وكانت هناك فرصة كبيرة فى ان لا تعرف ذلك حتى بعد ان تبرح الصالة . كان البرنامج المعلن عنه على كل حال يقول : « حفلة راقصة » .

واقتربت من شباك التذاكر وقالت انى حجزت مكانا بالتليفون ... باسم ميمى جوردون .

وكانت قد اضطرت ان تنتظر يومين لكى تحصل على المكان الذى تريد . وقالت : انه المقعد الذى يقع أمام الطبال ، اليس كذلك ؟

قال عامل الشباك وهو يرميها بنظرة ملحاحة كما كانت تتوقع : نعم . وقد تحققت بنفسى قبل أن احجزه لك . انه شاب محظوظ ، ولا ريب انك مشغوفة به الى حد كبير .

ـ ابدا ... انك لا تفهم ... انى لم اره قبل الآن ولكننى مشغوفة بالطبل ، وفى كل مرة يكون فى البرنامج موسيقى أحاول أن أجلس على مقربة من الطبال بقدر المستطاع .

قال العامل معتذرا : أوه ... لم أشأ ان أتطفل .

وكانت هى أول من دخل صالة المسرح فجلست ، وبدت كالضائعة وسط المقاعد الشاغرة . وكان معطفها يحجب غرابة ثيابها من النواحى الثلاثة ولا يكشفها

www.ibtesamh.com/vb

الا لمن ينظر اليها مواجهة . ولم تلبث الصالة ان امتلأت بالمتفرجين ، وارتفعت أصواتهم وهمساتهم فى جوانبها. ولكنها ظلت محدقة بعينيها فى شىء واحد ، وهو الباب الصغير الكائن تحت خشبة المسرح ، فى الناحية الأخرى من مقعدها . وأخيرا انفتح هذا الباب ودخل الموسيقيون واحتلوا مقاعدهم . وكانوا يضطرون الى احناء رؤوسهم لكى يدخلوا من الباب ، وكلما دخل أحد منهم كانت تسأل نفسها « هل هو كليف ملبورن ؟ » ولما كانت لم تره من قبل فانها كانت تتوقع أن يجلس أمام الطبلة طبعا .

ولكن مقعده بقى شاغرا .

وفجأة انقبض قلبها ، فقد أغلق أحد الموسيقيين الباب ثم راح الجميع يضعون النوت الموسيقية أمامهم . وجلس رئيس الأوركسترا أمام درجه ، ولم يكن الطبال قد أتى بعد .

ولكن ربما طرده صاحب المسرح ؟.. ولكن لا .. فلو صح هذا لألحق طبالا آخر غيره .. ربما أصيب بوعكة فجأة فلم يأت الليلة .. الليلة بالذات ، مع أن الوقت بالنسبة لها من ذهب .. وقد تضطر الى العودة أكثر من مرة بسبب هذا المرض .

وسمعت وهى فى وسط قلقها الموسيقيين يتهامسون .. وقال بعضهم : ان صاحبنا هذا أمره غريب . لم يأت فى الميعاد أبدا منذ أن بدأ الموسم . ثم انه لا يحفل بالغرامات .

وقال آخر : لا ريب انه وقع على شقراء ، وانت تعرف انه يحب الشقراوات ، فأنسته عمله .

وحلت ساعة الافتتاح ، وأطفئت الأنوار ، وسكنت

www.ibtesamh.com/vb

الأصوات فى الصالة . وكان اليأس قد بدأ يتملكها عندما انفتح الباب من جديد ، ودخل رجل وتسلل بين الآخرين محاولا أن يفلت من اهتمام رئيس الأوركستر ، ولكن هذا الأخير رماه بنظرة غاضبة ، ولكن الرجل لم يهتم به وجلس أمام الطبلة . وسمعته يهمس لزميله قائلا :

ـ اننى تواعدت على اللقاء مع فتاة جميلة جدا بعد غد يا صاحبى .

ولم يكن قد رآها بعد لأنه كان مهتما بالتحقق من وجود كل ما يحتاجه فى متناول يده . وكانت الجونلة قصيرة جدا ولكنها ارتفعت بطريقة أكثر كاشفة عن الفخذين .

وقال الرجل يسأل زميلا له : هل الصالة مزدحمة الليلة ؟

وأدار رأسه . وكانت على أتم الاستعداد ، وقابلت نظرته بكل تحد . واضطر أن يلكز زميله بكوعه لأنها سمعت هذا الأخير يقول :

ـ نعم . اننى رأيتها .

وتظاهرت بأنهـا تحصر كل اهتمامها فى البرنامج الذى بين يديها ، وأحست بنظرة الطبال تلتهمها التهاما . ولكنها لم ترفع رأسها اليه مرة ثانية الا بعد أن عدت فى سرها من واحد الى ثلاثين لكى تترك له الوقت الكافى لابداء اعجابه بها ، ثم التقت نظراتهما من جديد ولم تحول عينيها عنه . وأحس بالدهشة شيئا ما اذ رآها تستجيب له بهـذه السرعة ، وخشى أن يكون هناك سوء تفاهم فابتسم لهـا دون أن يفارقها بعينيه .

ولم تغضب وردت له ابتسامته . وازدادت ابتسامة

www.ibtesamh.com/vb

الطبال اتساعا ، كما ازدادت ابتسامتها هي الأخرى . وهكذا انتهت المقدمات وتم الاتصال . وفى نفس الوقت أضيئت الاشارة المضيئة ثلاث مرات . وضرب رئيس الأوركستر قمطره بعصاه ثلاث مرات داعيا الموسيقيين الى الانتباه اليه لبدء الافتتاح .

وعزت نفسها بأن الأوركستر لن يعزف طوال الوقت .. ثم هناك الاستراحة .

وانتهى الفصل الأول وهى تكاد لا تشعر به لأنها لم تأت لمشاهدة العرض .

وفى الاستراحة غادر الموسيقيون أماكنهم لتنشيط سيقانهم وتدخين سيجارة . أما هو فقد مكث مكانه ، وأدرك أنها بمفردها لأن الجالسين بجوارها من الناحيتين غادراها دون أن يخاطباها بكلمة .

وبدأها الحديث فقال : هل أعجبتك الموسيقى ؟

ـ نعم . جدا .

ـ وفيما بعد ؟.. هل تذهبين الى مكان ما ؟

قالت وهى تمط شفتيها أسفا : وددت ذلك .

وتحول لكى يمضى وينضم الى زملائه ، ولكنه قبل أن يبتعد عنها أسرع يقول : حسنا .. لا تنس اذن انك على موعد بعد أن ينتهى العرض .

وما ان اختفى حتى شدت جونللتها .. ودت لو أن تستحم وتغتسل بالصابون أكثر من مرة . وحتى الأصباغ التى على وجهها لم تفلح فى اخفاء التغيير الذى طرأ عليها . وبقيت جالسة فى مقعدها بين المقاعد الشاغرة وهى تفكر قائلة : ربما الليلة يا حبيبى .. ربما الليلة ..

وبعد انتهاء العرض تباطأت متظاهرة بأنها تبحث عن

www.ibtesamh.com/vb

شيء ما فوق الأرض وبأنها تعدل ثوبها ومعطفها ، بينما أخذ المتفرجون يتدافعون نحو أبواب الخروج والأوركستر يعزف مقطوعة الختام . والتفت الطبال اليها أخيرا وقال :

ـ انتظرينى أمام باب خروج الممثلين . سألحق بك بعد خمس دقائق .

ولم تبغض فى حياتها كلها شيئا بغضها لانتظارها له فى تلك الليلة ، وللنظرات التى رماها بها الموسيقيون وهم ينصرفون ، ثم ، وقبل أن تدرك انه هو الذى خرج كان قد تأبط ذراعها ، كما لو انه قد امتلكها قلبا وقالبا ، وجذبها معه فى الزقاق وهو يقول :

ـ هل انت مسرورة ؟

ـ طبعا .

ـ سننضم الى الآخرين ، فاننى من غيرهم اشعر بالضياع .

وأدركت انه يريد أن يريهم « صيدته » الجديدة .

وكان ذلك فى منتصف الليل . وبعد ساعتين رأت أنه شرب من البيرة كفايته بحيث تبدأ العمل ، فلم يكن يسعها أن تنتظر لأن الليل لن يطول الى الأبد . وانتهزت فرصة مجاملة قالها لها فقالت :

ـ تقول اننى الأجمل ومع ذلك فهذه ليست أول مرة تلتقى فيها بفتاة تروق لك وتجالسك فى هذا المكان. حدثنى عن الفتيات الأخريات .

ـ لم تكن هناك قبلك فتاة تستحق أن اتحدث عنها .

ـ أوه ، اننى لست غيرى ، وكل ما أريد هو أن الهو .. من بين جميع الفتيات اللاتى جلسن خلفك فى

www.ibtesamh.com/vb

المسرح وأنت تقوم بعملك من هى التى وددت لو أن تخرج معها ؟

ـــ انت طبعا .

ـــ كنت أعلم انك ستقول هذا . ولكن من غيرى ؟.. اريد أن أعرف هل أنت من النوع الذى ينسى .. أراهن انك لا تلتفت حتى الى الفتيات اللاتى يجلسن خلفك .

ـــ انت مخطئة فى ظنك هذا ، ففى ذات ليلة ، منذ شهور طويلة التفت فاذا خلفى سيدة .. لا أعنى فتاة عادية وانمـــا سيدة محترمة من سيدات المجتمع .

عقدت يديها تحت المائدة بشدة بحيث آلمتها اصابعها. واستطرد هو يقول : ولم يكن ذلك فى المسرح الذى كنا فيه الليلة .. وانمـــا كنت فى ملهى الكازينو فى ذلك الوقت .. ولا أدرى لماذا هذه السيدة ..

ودنا أحد الموسيقيين منهما فى هذه اللحظة وقال : كليف .. سننتقل الى تحت لعزف الجاز فهل تأتى ؟

أسرعت تقول محاولة احتجازه : كلا .. ابق معى واكمل قصتك .

ولكنه كان قد نهض ورد عليها قائلا : كلا . كلا . تعالى تحت .. لا أريد أن يفوتنى هذا .

ـــ ألم تعزف بمـــا فيه الكفاية الليلة ؟

ـــ بلى . ولكن كان ذلك بدافع العمل ، أما الآن فسوف أعزف حبا فى العزف . سوف ترين .

واذ رأت انه مصر على أن يتركها اضطرت أن تتبعه الى القبو . وكانت الغرفة فسيحة بهـــا آلات موسيقية وبيان ويتدلى من سقفها مصباح كبير قذر . وكانت هناك بعض شموع مضاءة فى أماكن متفرقة لتعزيز الضوء . وفى وسط الغرفة منضدة قديمة فوقها عدد من

www.ibtesamh.com/vb

زجاجات الجعة كان عددها يقارب عدد الرجال تقريبا . وفرش واحد ورقة كبيرة ألقى فوقها عددا من السجائر. وأدركت انها ليست سجائر عادية . وكانوا قد أوصدوا الباب ، ولم تشعر بالأمان خصوصا وأنها كانت المرأة الوحيدة بينهم . وراح واحد منهم ينفخ فى مزماره ، وبدأت الهستيريا . وذكرتها الساعتان التاليتان بجحيم دانتى ، وخيل لهـــا انها تعيش فى كابوس ، ليس بسبب الموسيقى ، فقد كانت ممتازة ، وانما بسبب خيالاتهم التى راحت تتراقص فوق الجدران والسقف بطريقـــة عجيبة ، وبسبب رائحة الجعة وسجائر المارجوانا . واستولت عليهـــم الهمجية بحيث كانت تلجأ فى بعض الأوقات الى أحد الأركان ، وكانوا يلاحقونها بألاتهم ، ويعزفون عليهـــا تحت أنفها ويملأونها برعب كبير ، ويقولون لهـــا : تعالى ارقصى .

ـــ لا أستطيع .. لا أعرف .

ولاحقها عازف على السكسوفون فترة ثم تركها وهو يصدر من آلته أنينا وهو يلوح بها الى السقف . وأخيرا مشت الى الطبال ، وكان يضرب بيده فى جنون على مرجل كبير لعدم وجود طبلة ، وتعلقت بيديه وصرخت لكى يسمعها : كليف .. فلنخرج من هنا . خذنى بعيدا. لم أعد أستطيع . سوف أقع .. لا أستطيع الوقوف .

ورأت نظرته أنه واقع تحت سيطرة المارجوانا . وقال يسألها : وأين نذهب ؟.. هل نذهب الى بيتى ؟

وأدركت انه لابد لهـــا أن تقول نعم لأنهـــا كانت الطريقة الوحيدة للخروج من هذا الكهف .

ونهض ، وتقدمها الى الباب وهو يترنح وفتحه .

www.ibtesamh.com/vb

واندفعت نحو السلم كالسهم الذى ينطلق من قوسه . وتبعها دون أن يهتم بهما أحد من الموجودين .

واجتاز البار المظلم الشاغر . وعندما ألفت نفسها على الرصيف فى الخارج ، بدت لهـا الليلة رطبـة وخفيفة ونقية بعد الكهف المحموم ، بحيث أخذها الدوار شيئا ما فاستندت الى الجدار ، وراحت تعب من ذلك الهواء المنعش عبا بينما انهمك هو فى قفل البـاب ، وكانت الساعة قد بلغت الرابعة صباحا ، ولكن المدينة كانت لا تزال هاجعة ، ومرت بها لحظة أحست فيها بالرغبـة فى الفرار ، ولكنها انتظـرت وهى تفكر فى الصورة الموجودة فى غرفتها .

ولحق بهـا ووجدا سيارة أجرة أوصلتهما الى بيت قديم . وتوقف فى البسطة الأولى وفتح الباب وأضاء النور ، ورأت غرفة عالية السقف بدت لهـا بنوافذها الضيقة كالتابوت . لم تكن مكانا تأتى اليه مع رجل فى الساعة الرابعة صباحا ، خصوصا معه هو بالذات .

وأدار المفتاح فى القفل فى نفس الوقت الذى سرت فى بدنهـا الرعشة وهى ترى نفسـها معه فى غرفة مقفلة .

ـ اخلعى معطفك .

ـ كلا . دعه . اننى أشعر بالبرد .

ـ ولكنك لن تقفى هكذا ، كما لو كنت تسمرت فى مكانك ؟

أجابت فى انقياد : كلا ، طبعا .

وتقدمت خطوة داخل الغرفة كالمتزحلق حين يجس الجليد قبل أن يبدأ التزحلق ، وراحت تنظر حولها فى

www.ibtesamh.com/vb

يأس ، بحثا عن حجة لاستئناف الحديث الذى انقطع .. لو أن تجد شيئا أصغر .

وزمجر يقـــول : ماذا تنظرين ؟.. انهـــا غرفة .. ألم ترى غرفة فى حياتك ؟

ورأت أخيرا أباجورة من الحرير فى آخر الغرفة فاقتربت منها ، وأدارت مفتاح النور قائلة : اننى أحب هذا اللون .

واذ رأت انه لم يسمعها عادت تقول : هل تسمع ؟.. هذا هو لونى المفضل .

تحول اليها وقال وعلى عينيه غشاوة : وبعد ؟

ـــ وددت لو أن تكون لى قبعة بهذا اللون !

ـــ سأشترى لك واحدة .. غدا .

ـــ أنظر كيف انها تناسبنى تماما .

وأخذت الأباجـــورة وألقتها فوق كتفهـــا ، وحولت رأسها اليه بحيث بدت كأنها تلبس الأباجورة الصفراء على رأسها وقالت :

ـــ ما رأيك ؟.. ألم يسبق لك أن رأيت قبعة بهذا اللون ؟

رمش بجفنيه مرارا كالبومة ، فى حين عادت تقول متوسلة : أنظر .. اننى واثقة انك لابد أن تتذكر .. فى المسرح ، خلفك .. ألم تر أبدا امرأة جالسة وعلى رأسها قبعة بهذا اللون .

قال على غير انتظار :

ـــ أوه .. نعم .. الخمسمائة دولار .

ثم أمسك فجأة وقال : آه . ولكن لم يكن يجب أن أقول .. هل سبق أن حدثتك بهذا .

www.ibtesamh.com/vb

قالت فى توكيد :

ــ طبعـــا .

كان هـــذا هو الرد المناسب ، فانه اذا اعتقد انه سبق أن حدثها بذلك ، فسوف يقول لنفســـه انه لن يضيره أن يحدثها به ثانية ، والا فسوف يطبق شفتيه الى الأبد . ولحسن الحظ أن المارجوانا بدأت تفعل مفعولها . وعادت تقول :

ــ حدثنى بذلك مرة أخرى ، فاننى أجد هذا الأمر مثـــيرا . ليس هناك أى ضرر ما دمت قـــد أصبحت صديقتك الجديدة ، وأنت نفسك قد قلت هذا .

قال وهو يرمش بجفنيه مرة أخرى : ماذا ؟.. ماذا قلت ؟.. اننى لا أتذكر .

واضـــطرت أن تعيـــد الى ذهنـــــه المضطرب من الماريجوانا الى الأمر الذى يشغلها فقالت : القبعـــة الصفراء والخمسمائة دولار .. هل تتذكر ؟.. انها كانت تجلس خلفك ، مثلى تماما .

قال فى انقياد : أوه ، نعم . خلفى . لم افعل أكثر من أن رأيتها وأخـــذت خمســـمائة دولار .. لا لشىء الا لأننى رأيتها ولكى لا أقول ذلك .

وعلى الرغم منها تعلقت ذراعاها بعنقه وقالت : اروى ياكليف .. حدثنى بكل شىء .. أحب أن أصغى اليك وانت تتكلم .

ــ لا أدرى ماذا كنت أقول .

وانقطع حبل أفكاره من جديد .

ــ انك أخذت خمسمائة دولار لكيلا تقـــول انك رأيتها .. أعنى السيدة ذات القبعة الصفراء . أهى التى أعطتك الخمسمائة دولار ؟.. أوه ، تكلم .

www.ibtesamh.com/vb

ـ أعطيتها يد فى الظلام .. كانت هناك يد .. وصوت منديل . آه .. كلا . لم يكن هذا كل شىء . كان هناك مسدس أيضا .

ـ نعم . نعم . ولكن لمن كانت اليد ؟

ـ لا أدرى . ولم أعرف ذلك أبدا . بل ان هناك لحظات أتساءل فيها ان كان هذا قد حدث حقا .. عندما أدخن .. ولكننى أعرف بعد ذلك اننى لم أكن أحلم .

ـ تكلم .. حدثنى بكل شىء .

ـ حسنا . كنت راقدا ذات ليلة بعد أن فرغت من العمل . وكانت الردهة مظلمة ، وليس بها نور كما لو كان المصباح قد احترق . وأمسكت بالدرابزين لكى أصعد ، واذا بيد تمسكنى من ذراعى . وتملكنى الخوف وقلت : من هذا ؟ من أنت ؟. وكان رجلا .. عرفت ذلك من صوته . وبعد دقائق تعودت عيناى على الظلام . وريت شيئا أبيض كالمنديل فى المكان الذى يجب أن يكون فيه الوجه .

« وبدأ بأن ذكر لى اسمى ومهنتى .. وكان يبدو انه يعرف كل شىء عنى ، ثم سألنى اذا كنت أتذكر اننى رأيت سيدة معينة فى « الكازينو » فى ليلة الأمس . سيدة ترتدى قبعة صفراء ..

وقلت له اننى كنت قد نسيتها وانه ذكرنى بها الآن . وعندئذ سألنى بكل برود : « هل تريد أن تموت ؟ » .

« وكنت قد فقدت القدرة على الكلام ، خصوصا عندما أخذ يدى وألقاها على شىء بارد .. كان مسدسا . وقال : « اذا ذكرت ذلك لأحد فسوف

www.ibtesamh.com/vb

أقتلك » . ثم أردف يقول بعد لحظة « ولكن لعلك تؤثر ان تأخذ خمسمائة دولار ؟..

« وسمعت حفيف أوراق مالية ثم وضع شيئا فى يدى وقال : هذه خمسمائة دولار . هل معك عود ثقاب حسنا يمكنك أن تشعله وأن تتأكد أنها ورقة من فئة الخمسمائة دولار » . وكانت كذلك فعلا ، ولم يكذب على . ولكن عندما هممت بأن أرفع عينى عن الورقة نفخ فى عود الثقاب فأطفأه وقال : « والآن . انت لم تر المرأة .. لم تكن هناك امرأة .. اذا قلت ذلك لكل من يسألك عنها فسوف تبقى على قيد الحياة . هل تفهم ؟.. أجبته « نعم ، اننى لم أر السيدة .. » فقال « حسنا . يمكنك أن تعاود النوم الآن . » ولا أدرى كيف أطعته لأننى كنت شديد الاضطراب ..

وضحك ملبورن ضحكة عالية انقطعت فجأة كما بدأت وقال : وقد خسرت الخمسمائة دولار فى السباق فى اليوم التالى .

ثم تحرك فى مقعده فى ارتباك وقال : ما كان يجب أن تعيدى هذه المسألة الى ذاكرتى ، فاننى ما أكاد أذكرها حتى أشعر بالبرودة تسرى فى جسدى كله . اعطينى سيجارة لكى تبعث الدفء الى ..

ــ اذا كنت تريد ماريجوانا فليس معى شيء منها .

ــ دعى المزاح . لابد ان معك بعضها فى حقيبتك فانك كنت هناك معنا ، ولابد انك أخذت سيجارة أو أكثر .

وكانت قد ألقت حقيبتها لكى تداعب شعره فى محاولتها لحثه على الكلام . فأمسكها قبل أن تستطيع منعه وفتحها وقلب ما فيها فوق المنضدة ، وصاحت مذعورة :

www.ibtesamh.com/vb

ـ كلا .. ليس معى أية سجائر .. دع هذا .. ليس ...

ولكنه كان قد رأى الورقة الصغيرة التى أعطاها بورجيس لهـــا . ولم يظهر على وجهه فى بادىء الأمر غير دهشة كبيرة وقال :

ـ ولكن هذا اسمى أنا .. والمكان الذى أعمل به .

ـ كلا . كلا .

ـ وعليها اسم قسم البوليس ثم .. ورأت ملامحه تتغير ، وبدا فى عينه غضب شديد ثم خوف أشـــد . وصـــاح يقـــول : انهم أرســـلوك عمـــدا .. لـــم تلتق بى صـــدفة .. سوف يقتلوننى . ما كان يجب أن .. انك حملتنى على الكلام .. سوف يقتلوننى .

ولم تدر ماذا تفعل . كانت صافية الذهن . أما هو فكان كمن أصيب بمس مؤقت من الجنون .

لم يعد بينهما أى شىء مشترك يمكن أن تقوله لكى تحول مجرى أفكاره ، وعاد يقول :

ـ قلت لك شيئا لم يكن ينبغى أن أقوله .. أوه .. لو أستطيع أن أتذكر ماذا قلت لك .

ومر بيده على جبينه كالمخبول ، فأسرعت تقول فى توكيد فى محاولة لتهدئته : كلا . انك لم تقل شيئا .

وأدركت أنه لابد لهـــا من أن تبرح المكان بأسرع ما يمكن ، ولكن دون أن تدعه يخمن نيتها . وأخـــذت تتقهقهر بطريقة غير محسوسة ، ويداها خلف ظهرها على استعداد للامساك بالمفتاح ، ولأن تديره من غير أن يلحظ . ولكنها راحت تحدق فيه لكى لا يدرك انهـــا تتقهقر . كانت كأنها أمام ثعبان يهم بأن يعض .. اذا تقهقرت بسرعة فسوف يهجم عليها ، أما اذا أبطأت ..

www.ibtesamh.com/vb

ـ قلت لك شـــيئا لم يكن يجب أن أذكره لك . وستردينه الآن لشخص سوف يقتلنى . انه قال لى . .

ـ كلا . أؤكد لك . . هذه فكرة خاطئة تدور بذهنك . انك لم تقل لى شيئا . تذكر . . كنت جالسة على هذا المقعد ، وكنت أداعب شعرك . . هذا كل شىء .

لو كان معها احدى هذه السجائر اللعينة لأعطتها له فلعلها . . .

وفى تقهقرها اصطدمت بمنضدة صغيرةفوقع من فوقها شىء على الأرض . وكانت هذه المصادمة الاشارة التى كانت تخشاها ، فقد تقدم نحوها مباعدا ما بين ذراعيه للامساك بها .

واندفعت نحو الباب وهى تطلق صـــيحة صـــغيرة مكتومة . ولكنها لم تجد من الوقت ما يكفى الا لكى تتحقق من أن المفتاح موجود فى القفل . وكان لابد لها من أن تجرى بعيدا لكى لا يمسك بها ، مبتعدة مرة أخرى من الباب الذى فيه نجاتها .

وابتعدت عن الجدار ، ودارت بالغرفة لكى تسرع نحو النافذة ، ولكنها عندما أزاحت الستار وجدتهـــا مغلقة ، ورأت أن الوقت لن يسعفها لكى تفتحهـــا وتصرخ للاستغاثة . وأمسكت الستار وطوحته فى وجهه فأعاقت تقدمه شيئا ما . وكانت هناك أريكة فمرت خلفها ، ولكنها قبل أن تصل الى طرفها الآخر كان قد دفع به نحو الحائط فوجدت نفسها محشورة فى الفخ وصاحت تقول :

ـ كلا . . كلا . . لا تلمسنى .

وفجأة ألقى ركبته فوق الأريكة وحاول أن يمسكها من فوق المسند ، ولم يكن أمامها مجال للتقهقر فى المكان

www.ibtesamh.com/vb

الصغير الذى انحشرت فيه . وأمسكت أصابع ملبورن بثوبها من أعلا الصدر ، ولكن قبل أن يتمكن من جذبها اليه حررت نفسها بأن استدارت حول نفسها مرتين ففقد توازنه ، ووقع على مسند الأريكة ، بينما تمكنت هى من الخروج من خلف الأريكة .

وحاولت أن تبلغ الباب من جديد ، فألقت بمقعد فى طريق ملبورن على أمل أن يتعثر فيه ولكنه استطاع أن يتحاشاه ، واعترض طريقها قبل أن تتمكن من بلوغ الباب . وارتطم كل منهما بالآخر . وأراد أن يمسك بها ، وعندئذ أقدمت على الشىء الوحيد الذى كان فى مقدورها أن تقدم عليه فانحنت وهى تصرخ باسم .. اسم الرجل الذى لا يستطيع أن يخف لنجدتها : سكوت .. سكوت .

وتجنبت بهذه الطريقة يديه المدوتين ، ورأت المصباح الصغير ذى الأباجورة الصفراء ، فأمسكته وطوحت به فى حركة خرقاء فلم يصبه .. وكانت هذه المرة النهاية الحتمية .

ولكن حدث شىء فجأة ، لم تدرك تماما ما هو فى بادىء الأمر ولكنها تذكرته فيما بعد . فبينما كان يندفع نحوها تعثرت قدمه فى سلك المصباح ، وارتفع المصباح نفسه فوق الأرض ، وانبعث من أسفل الحائط بريق أزرق ووقع ملبورن على الأرض .

واضطرت ، لكى تبلغ الباب أن تقفز فوق يديه المتوترتين على الأرض والمشلولتين مؤقتا .

المفتاح !. وأدارته فى بادىء الأمر فى الناحية المضادة ، كما لو كانت فى كابوس .. فى حين راح هو

ودار المفتاح أخيرا وجذبت الباب نحوها بكل قواها ثم اندفعت الى الخارج .

www.ibtesamh.com/vb

وخدشت أظافره كعب فردة من حذائها ، ولكنها لم تفطن الى ذلك لأنها كانت تخشى أن يطاردها .. وهبطت السلم مسرعة وهى تتبين ما أمامها . وظهر الباب فجأة ففتحته وخرجت الى هواء الليل الطلق وهى تترنح كما لو كانت امرأة سكرى . وحملتها الغريزة الى أن تنعطف الى شارع جانبى . ورأت عندئذ نورا دفعها الى الجرى بكل قواها لكى تحاول أن تصل اليه قبل أن يلحق بها .

وألفت نفسها أمام منصة فوقها بعض الشطائر والبطاطس المحمرة ، فى أحد المحلات التى تبقى مفتوحة طوال الليل . وكان صاحب المحل يغالب النوم فنظر اليها مذهولا ، ورأى صدر فستانها الممزق فنهض على الفور وقال :

ـ ما الخبر يا آنسة ؟.. هل وقع لك حادث ؟.. هل أستطيع ؟..

قالت وهى تنتحب :

ـ اعطنى قطعة من النقود .. لأجل التليفون .

ودخلت كشك التليفون وهى تكاد تقع ، وصاح الرجل يخاطب شخصا فى مؤخرة المحل : تعالى يا أماه! . هنا فتاة تواجه متاعب .

ولما كانت الساعة قد بلغت الخامسة صباحا فقد اتصلت ببورجيس فى بيته . ولم تفكر حتى أن تذكر له اسمها ، ولكن لا ريب انه أدرك انها هى لأنها قالت :

ـ هل لك أن تأتى يا بورجيس ؟.. اننى قضيت فترة عصيبة ، ولا أستطيع الاحتمال أكثر .

وجاء بورجيس ، وألفاها جالسة أمام قدح من القهوة الساخنة ، أعدته لها زوجة صاحب المحل . وقد أقبل بورجيس وحده لأنه لم يكن يعمل بصفة رسمية .

www.ibtesamh.com/vb

واذ راته صرخت صرخة صغيرة تدل على الارتياح وبسطت له ذراعيها . وجلس بجوارها وضغط على يدها قائلا :

ـ أى عزيزتى المسكينة ؟.. أكان الأمر شـــاقا عليك ؟

ـ أوه ؟ .. اننى على مايرام الآن . ولكن لو انك رأيتنى منذ عشر دقائق فقط ..

ثم انحنت فوقه وقد تمالكت نفسها تماما وقالت : كان الأمر يستحق كل هذه المعاناة يا بورجيس ، فقد رآها . وليس هذا فقط . ولكن قصده شخص بعد ذلك .. رجل لا ريب انها هى التى أرسلته ، ونقدته مبلغا لكى يسكت .. أوه .. سوف تستطيع حتما أن تحمله على أن يكرر ذلك .

قال وهو ينهض :

ـ تعالىَ . سأمضى اليه فورا . ولكننى سأبحث لك سيارة أجرة أولا ..

ـ كلا ، كلا . سآتى معك . لم أعد أخاف الآن .

وسبقها بورجيس فى السلم فى صمت وهو يشير اليها أن لا تتعجل . وعندما لحقت به كان يلصق أذنه بالباب . وتمتم يقول :

ـ اننى لا أسمع شيئا . لا ريب انه نائم .. تأثير المخدر .. ولكن قفى بعيدا خوفا من أن يثور أو يهيج .

وهبطت بضع درجات ، ورأت بورجيس يولج شيئا فى القفل ، وفتح الباب فى سكون ، بيده اليسرى ، بينما احتفظ بيده اليمنى فى مستوى خصره .

وصعدت السلم درجة درجة وهى تكتم نفسها . ووصلت بدورها أمام الباب المفتوح . وسطع النور فجأة فأجفلت .

www.ibtesamh.com/vb

ورأت بورجيس يختفى من باب فى أحد الجدران ، حسبته قبل ذلك باب دولاب . وبينما كانت تدخل المسكينة بدورها أدار بورجيس مفتاحا فى الغرفة المجاورة ، ورأت جدران غرفة الحمام تلمع ، ثم وقعت عيناها على جثة محنية فوق البانيو ، وبدا لها أن جوانب البانيو من الرخام المعرق بالدم .

وخطر لها فى بادىء الأمر أنه مغمى عليه ، وانه منحن بنصف جسده ، داخل البانيو . وكانت قد تقدمت خطوة عندما أسرع بورجيس يقول :

ـ لاتدخلى يا كارول . ابقى حيث أنت .

ودفع الباب حتى لا تدخل ولكى يحول بينها وبين أن ترى ما فى الغرفة .

وبقى فى الحمام مدة طويلة . وادركت أن ملبورن ليس مغمى عليه فحسب . وراحت يداها ترتعشان . ولكنها لم تكن رعشة الخوف . ورأت على المنضدة قصاصة صغيرة من الورق كتب عليها بالقلم الرصاص فى خط متعرج « انهم يطاردوننى » .

وفتح الباب الفاصل فى بطء ، وظهر بورجيس أخيرا . وكان أكثر شحوبا عن ذى قبل . وأشار اليها أن تخرج .

وسألته وهى تشير الى قصاصة الورق : هل رايت هذه ؟

ـ نعم .. بمجرد أن دخلت .

ـ هل هو ؟..

أشار بورجيس بأصبعه تحت زقنه ومر به من احدى أذنيه الى الأخرى وهو يقول : « انه ذبح نفسه بموسى حادة . » وأحست بأنفاسها تنقطع ، وقال لها فجأة :

www.ibtesamh.com/vb

ـــ هيا بنا .. فلنخرج من هنا ، فليس هذا بالمكان المناسب لك .

وأغلق باب الشقة وهو يقول : هذا البانيـــو ... لن أفكر فى البحر الأحمر بعد ذلك الا و ..

وأمسك عن الكلام وقد أدرك انها تصغى اليه ، ولم يزد كلمة واحدة . وفى الشارع أوقف سيارة أجرة أجلسها فيها ثم قال :

ـــ عودى الى البيت . سأتولى أنا الابلاغ عنها .

قالت وهى لا تستطيع أن تغالب دموعها : الا .. الا أستطيع أن أكرر ما قاله لى .

ـــ لن يكون لشهادتك هذه أية قيمة . وسيقال عندئذ انك سمعت شخصا يقول انه رأى هذه المرأة وان أحدا نقده مبلغا من المال لكى يزعم العكس . سيقولون انه انتحر . وسأدعهم يتولون ذلك فى الوقت الحالى . عودى الى بيتك يا كارول ، ولا تذكرى لأحد انك كنت هنا الليلة .

وانطلقت سيارة الأجرة بها وقد أحنت رأسها وراحت تقول هامسة : ليس الليلة يا حبيبى .. ليس الليلة .. ولكن ربمـــا غدا .. أو بعد غد .. أوه ، لا تيأس يا حبيبى .

اليوم التاسع قبل التنفيذ

كان قصرا من تلك القصور الفخمة ، برجه العـــالى يشرف علي المبانى المجاورة ويبدو أشبه بأنف ارستقراطى يتعالى عليها وينظر اليها فى ازدراء .

www.ibtesamh.com/vb

وأدرك انه بحاجة الى كل مهارته لكى يستطيع دخول ذلك القصر ، ورأى على يمينه محلا لبيع الزهور فمضى اليه وقال يسأل صاحبه :

ـ لا ريب انك ترسـل باقات كثيرة الى مس مندوزا . . ما هى زهورها المفضلة .

أجابه صاحب المحل فى تحفظ : لا أدرى .

أخرج لومباردو من جيبه ورقة مالية ، وأعاد السؤال كما لو كان لم يرفع صوته بمـا فيه الكفاية فى المرة الأولى . ويبدو أن الأمر كان كذلك لأن البائع انفكت عقدة لسانه على الفور وقال :

ـ انهم يرسلون اليها الكثير من زهور الاوركيدية والجاردنيا لأنها جميلة وغالية الثمن ، ولكننى أعرف ان أهالى أمريكا الجنوبية لا يقدرون هذه الزهور لأنها توجد بكثرة فى بلادهم . أما هى فانها تحب زهور البسلة الخضراء وتطلبها دائما .

قال لومباردو : اعطنى كل ما لديك منها اذن ، واعطنى بطاقة أيضا من فضلك .

واستعان بقاموس صغير وسطر على البطاقة رسالة باللغة الأسبانية وقال : نسق هذه مع الزهور فى باقة متى يمكنك أن ترسلها .

ـ فى أقل من خمس دقائق . انها تقيم فى جناح البرج ، وسأرسلها اليها فورا مع أحد الغلمان .

ومضى لومبارد الى بهو القصر ، وراح ينظر الى ساعته وهو يعد الثوانى والدقائق . وبعد لحظـات اقترب من موظف الاستقبال وقال له :

ـ هل لك أن تتصل تليفونيا بمس مندوزا وتسألها اذا كان فى استطاعة السيد الذى أرسل اليها الزهور أن

www.ibtesamh.com/vb

يصعد لمقابلتها . اسمى لومبارد . ولكن لا تنس أن تحدثها عن الزهور .

وأعاد الموظف سماعة التليفون بعد دقيقة وهو بادى الدهشة وقال : قالت نعم .

ويبدو أن هذه أول مرة تقبل فيها الممثلة مقابلة شخص بعد أول مكالمة تليفونية ولكن لومبارد أدرك أن زهور البسلة الخضراء أتت بمفعولها .

وأوصله المصعد الى مسكنها بالبرج فى لمح البصر . وخرج منه وهو متخاذل الساقين . واستقبلته وصيفة فى ثياب رسمية وسألته قائلة :

ـ مستر لومبارد ؟

ـ نعم .

ـ ألم تأت لحديث صحفى ؟

ـ كلا .

ـ ولا لكى تطلب منها أن توقع فى الاوتوجراف ؟

ـ كلا . .

أو لكى تطالب بسداد فاتورة تكون السنيوريتا قد نسيتها ؟

ـ كلا .

ـ هل لك أن تنتظر لحظة اذن سوف تستقبلك الآنسة بعد أن تفرغ من املاء رسائلها . تفضل بالجلوس .

وجلس فى غرفة فسيحة ، وطال انتظاره ، ولكنه كان قد وطد نفسه على الانتظار بعد أن استطاع تذليل العقبة الأولى ودخل المكان . وكان يسمع من وقت لآخر صوت المطربة وهى تصيح وتصرخ وتصدر أوامرها فى انفعال والوصيفة وبعض الخدم يخرجون على عجل وقد ارتسمت على وجوههم امارات الخوف والاهتمام .

www.ibtesamh.com/vb

وبعد نحو ساعة أو يزيد جاءته الوصيفة وقالت : سوف تستقبلك السنيوريتا الآن .

وعندما نهض واقفا رأى أن ساقيه قد تنملتا فراح يضرب الأرض بقدمه مرارا لكى يزيل ما بها من خدر، ثم عدل ربطة عنقه واجتاز الباب الى الغرفة الأخرى .

واستقبلته امرأة جالسة فى استرخاء ، فوق مقعد مستطيل ، وترتدى ثوبا ورديا فضفاضا فوق بيجامة من الحرير ، لكل ساق من ساقيها سمة جونلة . وكانت تمسك بالبطاقة التى أرسلها لومبارد اليها . وبادرته قائلة :

ــ اشكرك على هذه الزهور الجميلة أيها السيد . تفضل بالجلوس . أية خدمة أستطيع أن أؤديها لك ؟

قال لومبارد بعد أن جلس : هل تذكرين تلك النمرة التى قدمتها فى الموسم الماضى ، وأنت توزعين باقات صغيرة من الزهور على المتفرجات ؟

صاحت المطربة فى حماس كبير : آه ... تشيكا تشيكا بوم ؟ ... نعم ، نعم . هل أعجبتك ؟ كانت أغنية جميلة .

قال : جدا . لقد ذهب أحد أصدقائى وشاهد ذلك البرنامج ، وبرفقته امرأة . وقد اتيتك لهذا السبب .

ــ آه .

ــ اننى أحاول الاهتداء الى هذه المرأة ، وانى أعرف أن من العبث أن تتذكرى شخصا ما ، خاصة وانك ترين كل ليلة آلافا من الوجوه . ولكن هذه المرأة بالذات نهضت لكى تطالبك بنصيبها من الزهور . وكانت ترتدى قبعة مماثلة لقبعتك .

www.ibtesamh.com/vb

تغيرت سحنة المطربة على الفور ونهضت وقد تطاير من عينيها الشرر وصاحت غاضبة : آه . اننى أتذكر ... أتذكر تلك المخلوقة التى وقفت لكى ترى الصالة كلها قبعتى على رأسها ... وأضواء نور الكشاف بالذات ... اننى لن أنسى هذه المرأة أبدا .

وكانت تتكلم وهى تمشى فى الغرفة جيئة وذهابا وتشير بيديها فى حركات هستيرية . وسألته فجأة : ولماذا تبحث عن هذه المرأة ، أنت وصديقك ؟

ادرك لومبارد أن مندوزا لن تفعل شيئا لمساعدته اذا خطر لها أن غريمتها قد تستفيد من ذلك ، ولهذا قدم لها الحقائق بطريقة ترضى رغبتها فى الانتقام منها فقال :

ــ ان صديقى فى موقف شديد الخطورة يا سينوريتا، ولا أريد أن أضايقك بسرد التفاصيل ولكن هذه المرأة تستطيع انقاذه من ورطته ، فهو يريد أن يثبت انه كان معها فى تلك الليلة ، وانه لم يكن فى المكان الذى يزعمون انه كان فيه . ولكنه كان قد التقى بها فى تلك الليلة لأول مرة ، ونحن لا نعرف اسمها ولا عنوانها . ولا نعرف عنها شيئا على الاطلاق . ونود لو أن نهتدى اليها .

بقيت لحظة تفكر ثم قالت : أود أن أساعدك وأن أقول لك من هى ، ولكننى لم أرها قبل تلك الليلة كما اننى لم أرها بعد ذلك .

ــ هل لاحظت الرجل الذى كان معها ؟

ــ كلا . لم الحظ أحدا غيرها .

قال لومبارد : هذا فظيع . ان أغلب الذين استجوبناهم حتى الآن يذكرونه غير أنهم لا يذكرونها

www.ibtesamh.com/vb

هى . أما أنت فعلى العكس منهم . ولكننا لا نستطيع أن نفعل أكثر من ذلك . وهذا لا يثبت شيئا فيما عدا ان امرأة نهضت ذات ليلة ، فى الصف الأول ، ويمكن أن تكون اية امرأة . ان مايلزمنى هو شاهد يكون قد رآهما معا .

وأردف يقول وهو ينهض واقفا : اشكرك على كل حال لأنك كرست لى بعضا من وقتك .

وشد كل منهما على يد الآخر . ومضى لومبارد الى المصعد وهو آس محزون ، واجتاز البهو وخرج الى الشارع ، ووقف على الرصيف حائرا لا يدرى ماذا يفعل . ومرت به سيارة أجرة ولكن كان بها بعض الركاب ، فوقف ينتظر غيرها . وفيما هو واقف مكانه خرج غلام كالقنبلة وخاطبه قائلا :

ـــ ألم تكن عند مس مندروزا منذ لحظة أيها السيد ؟ ... انها تكلمت فى التليفون ، وترجوك أن تصعد اليها ثانية ، اذا لم يكن فى ذلك ما يضايقك .

وقالت المطربة عندما رأته : عندما غادرتنى كنت لا أزال غاضبة . ولكى يزول غضبى أكسر وأحطم ما يقع تحت يدى (وأشارت الى شـــظايا كوب من الكريستال متناثرة فوق الأرض) . وتصـــور اننى ما كدت أفعل ذلك حتى تذكرت مرة أخرى تملكنى فيها الغضب فى الليلة التى تتكلم عنها ... عندما عدت الى مقصورتى ... اننى حطمت فيهـــا كل شىء . واننى واثقة انك تفهمنى .

ـــ اوه ، طبعا .

ـــ لم يفعل أحد مثل هذا الشىء بى ، أنا مندوزا ، أبدا . ولو لم يمنعنى مدير المسرح ومدير أعمالى لانتظرت

www.ibtesamh.com/vb

تلك المرأة بباب المسرح لكى امزقها اربا . وكنت لا أزال فى شدة الغضب فى اليوم التالى ، لاننى حين اغضب لا ينفثىء غضبى بسهولة . ولهذا ذهبت الى صانعة القبعات ، وصببت عليها جام غضبى وصحت بها : آه . قلت لى أن القبعة التى بعتها لى وحيدة فى نوعها وانك لم تصنعى مثيلة لها !

وأردفت تقول فى لهجة مسرحية تنطق بالعظمة : وقد ألقيت بالقبعـــة فى وجهها . وأظن أن هـــذا قد يساعدك ، فما عليك الآن الا أن تذهب الى المحل الذى يصنع القبعات وأن تعرف الى من باعت القبعة الثانية .

صاح يقول فى حماس كبير : هذا عظيم ... وما اسم هذا المحل ؟

ـــ انت محظوظ حقا ، فقد كان من الممكن أن أنسى اسمه لأننى اتعامل مع محلات كثيرة ، ولكن صاحبة المحل كانت من الجرأة بحيث كانت ترسل الى من وقت لآخر بفاتورة تطالب بثمن هذه القبعة ... مائة دولار ... ان صاحبة المحل اسمها كتيشا ، واليك عنوانها .

وما عاد ينقل العنوان حتى مزقت الفاتورة الى ألف قطعة وطوحت بها فى الغرفة بطول ذراعها . وقالت وهو ينصرف :

ـــ أرجو أن تعثر على هذه المرأة وأن تسبب لهـــا العديد من المشاكل .

* * *

قالت له الفتاة وهى تقوده الى غرفة الاستقبال : سوف تستقبلك مدام كتيشا فى مكتبها الخاص .

وقال لومبارد بعد أن حيا صاحبة المحل : اننى قادم الآن من لدن عميلة سابقة لك وهى الممثلة مندوزا .

www.ibtesamh.com/vb

انك صممت لها قبعة صفراء فى الموسم الماضى ، وأريد أن أعرف من التى اشترت القبعة الأخرى المماثلة لها .

وكانت مدام كتيشا تدرس تصميمات جديدة لبعض القبعات فجمعتها ووضعتها فى درج مكتبها وقالت :

ـ اننى لقيت من المتاعب ما يكفى بسبب هـذه القبعة . وقد صرحت قبل ذلك بأننا لم نصنع لهذه القبعة مثيلة لها ، واذا كان هذا قد حدث فلا ريب ان محلا آخر هو الذى صنعها .

ـ كانت هناك قبعة أخرى مماثلة لها ، وقد ظهرت بها صاحبتها فى ملهى الكازينو . برفقة أحد أصدقائى . وقد اتيتك لكى أعرف اسم هذه السيدة .

ـ ليس فى مقدورى أن أخبرك باسمها لأنها لم تشتر تلك القبعة من محلنا ... ولا أريد أن نتجادل فى هذا الموضوع أكثر من ذلك .

هوى لومبارد بكف يده على المكتب وقال : كيف تقولين هذا وحياة رجل معلقة على هذه القبعة . بعد تسعة أيام سينفذ حكم الاعدام فيه ، وهناك امـرأة بالذات تستطيع انقاذه ، وهى المرأة التى لبست تلك القبعة . يجب أن تذكرى لى اسم هذه المرأة أما القبعة فلا تهمنى فى شىء .

هدأت مدام كتيشا على الفور ونظرت اليه فى اهتمام جديد وقالت : ومن ذلك الرجل ؟

ـ هو سكوت هندرسون ، المتهم بقتل زوجته .

هزت رأسها وقالت : نعم ... نعم ... اننى أذكر اننى قرأت شيئا من ذلك فى الصحف .

ـ ان سكوت برىء ، ففى ذلك اليوم ، وفى الساعة التى قتلت فيها زوجته كان موجودا مع تلك المرأة التى

www.ibtesamh.com/vb

لبست القبعة ، ولكنه لا يعرف عنها شيئا . ولهذا يجب أن تخبريني باسمها بأى ثمن ... فهى وحدها تستطيع أن تدلل على براءة صديقى .

وكانت كتيشـــا امرأة تعرف كيف تتخـــذ قراراتها بسرعة ، ولهذا قالت دون أن تتردد : كنت أخشى أن تكون هذه المجنونة قد اوفدتك لكى تقاضينى ، وانا لا أريد أن اتعرض لأية دعاية سيئة . وقد قمت بتحقيق دقيق بعد أن جاءت مندوزا والقت بالقبعة فى وجهى . ومصممة القبعات التى تعمل بالمحل فوق كل الشبهات ، لأنه يهمها رواج المحل . وقد استطعنا معا ، أنا وهى ، ان نثبت أن المخطئة هى عاملة كانت تعمل عندى ، وهى قد انكرت ذلك طبعا ولكننا لم نشك فى أنها هى المذنبة ، وما عليك الا أن تذهب اليها لكى تعرف منها اسم تلك المرأة .

ـــ الديك عنوانها ؟

قالت مدام كتيشا : أظن ذلك .

وتكلمت فى التليفون الداخلى فقالت : مس لويس . ابحثى لى عن عنوان تلك الفتاة التى طردناها بسبب مندوزا .

ودق جرس التليفون بعد لحظات ، وقالت مس كتيشا وهى تكتب العنوان على قصاصة من الورق : ميدج بيتون ... ٤٩٨ بالشارع الرابع عشر .

نهض لومبارد وأخـــذ قبعته وهم بالخروج عندما قالت مدام كتيشا : انتظر لحظة . سأزودك عنها بما قد يساعدك . انها فتاة تفتقر الى الشخصية ، وثيابها متواضعة وليست على شىء من الجمال . وقد صنعنا تلك القبعة لمندوزا بمائة دولار ، ولا يمكن أن تكون قد أخذت من أجل القبعة الأخرى أكثر من خمسين دولارا ،

www.ibtesamh.com/vb

وليكن ذلك دليلا لك . ان ورقة اخرى من فئة الخمسين دولارا كفيلة بأن تفتح فمها دون اى شك .

* * *

فتحت صاحبة البنسيون الباب وقالت : ماذا تريد يا سيدى ؟

ـ ميدج بيتون .

ـ انها انتقلت الى مسكن آخر منذ وقت طويل .

ـ ألا تعرفين عنوانها ؟

ـ كلا . كل ما اعرفه انها لم تعد تقيم هنا .

اليومان الثامن والسابع قبل التنفيذ

هبط من القطار بعد رحلة ثلاث ساعات ، فى محطة بلدة صغيرة ، ونظر الى ورقة فى يده بها بضعة أسماء وعناوين . وكانت الأسماء متشابهة . ولكن الثلاثة الأولى منها شطبت ولم يبق غير الاسمين الأخيرين .

ميدج بيتون	لصناعة القبعات
مارج بيتون	لصناعة القبعات
مرجريت بيتون	لصناعة القبعات
مجداكس	صانعة قبعات
مدام مارجوت	صانعة قبعات

وعندما فتحت الباب عرف أنها هى التى يبحث عنها لأن أوصافها هى نفس الاوصاف التى ذكرتها له مدام كتيشا ، فقد كانت فتاة عادية متواضعة بدأها قائلا : مس بيتون . . .

واستولى عليها الخوف على الفور وحاولت أن تغلق الباب ، ولكنه كان أسرع منها فدس قدمه ومنعها عن ذلك وتمتمت تقول :

www.ibtesamh.com/vb

ـــ لا ريب انك مخطىء .

أجابها وهو يدخل ويغلق الباب خلفه : انك كنت تشتغلين عند مدام كتيشا فى نيويورك ...

شحب وجهها وأدارت البصر حولها فى هلع كما لو كانت تبحث عن مكان للفرار ، ولكنه شدد الضغط على يدها وقال : لقد اتصلت بك امرأة وحرضتك على أن تصنعى لها قبعة صممت أصلا لمندوزا ، راقصة الموزيكهول .

هزت رأسها وهى تحاول أن تحرر يدها من قبضته . واذ رأى أنها لا تستطيع الهرب اطلق يدها ، واخرج حافظته من جيبه وأخذ منها ورقة من فئة الخمسين دولارا وقال : كل ما أريده هو أن أعرف اسم هذه المرأة . ولا تخشى شيئا فاننى لن أخبر أحدا بذلك .

نظرت اليه والخوف لا يزال مرتسما فى عينيها ، ولكن سحر النقود كان أعظم ، فأخذت الورقة ثم قالت : بييريت دوجلاس ، بطريق ريفرسايد رقم ٦ .

اليوم الخامس قبل التنفيذ

أقبلت السيارة فى سكون ووقفت أمام البيت ثم انطلقت فى هدير خفيف .

ورفع رأسه فرأى المرأة التى هبطت منها ، وفتحت هذه الأخيرة الباب نصف فتحة ووقفت تتابع بعينيها السيارة وهى تبتعد . ودون ما سبب تأكد انها هى التى ينتظرها . كانت جميلة جدا ، طويلة القامة سمراء، ترتدى ثوبا يبدو كالفضة السائلة . واختفت السيارة أخيرا فاستدارت ودخلت البيت .

ولم تحفل بلومبارد واكتفت بأن ألقت بتحية المساء للبواب الذى بدأ يقول : ان هذا السيد ...

www.ibtesamh.com/vb

ولكن لومبارد قاطعه وقال يخاطبها : بييريتدوجلاس؟

ـــ نعم .

ـــ كنت فى انتظارك . أريد أن أتحدث اليك فى أمر

وكانت قد توقفت أمام المصعد وقالت : ولكن ألا ترى أن الوقت متأخر لذلك الآن ؟

ـــ ابدا . فان الأمر عاجل . اسمى جون لومبارد ، وقد اتيت بسبب سكوت هندرسون .

ـــ ولكننى لا أعرفه ... وأظن اننى لا أعرفك انت أيضا ، أليس كذلك ؟

ـــ انه فى السجن الآن ، فى انتظار تنفيذ حكم الاعدام فيه بعد خمسة أيام .

وأردف يقول وهو يلقى نظـــرة من فوق كتفه الى البواب : ولكن أرجو أن لا تضطرينى الى أن اتحدث اليك فى ذلك هنا .

ـــ اننى آسفة . ولكننى أقطن هنا . والساعة الآن الواحدة والربع ، ولا أريد أن يظن الناس ... حسنا . تفضل .

واجتازت البهو وقادته الى استراحة فى آخره ، بها اريكة ومقعدان ، وتحولت اليه من غير أن تجلس فقال :

ـــ انك اشتريت قبعة من احدى العاملات بمحل كتيشا ، ودفعت خمسين دولارا ثمنا لها .

ـــ هذا جائز .

ـــ وقد لبست هذه القبعة ذات ليلة وذهبت بها الى المسرح برفقة رجل .

قالت فى اعياء :هذا جائز أيضا . اننى اذهب الى المسرح ، وبرفقة رجل دائما . ولكن ارجوك أن تطرق الموضوع .

www.ibtesamh.com/vb

ـ ان الرجـل الذى اعنيه التقيت به أنت صدفة وقضيت معه السهرة دون أن يعرف أى منكما اسم الآخر .

ـ أما هذا فلا .

ولم تكن غاضبة وهى تنطق بهذه العبارة الأخيرة وانما كانت تتكلم فى ثقة وتوكيد . وأردفت تقول :

ـ يمكننى أن أؤكد لك انك مخطىء . اننى حرة فى تصرفاتى وتنقلاتى طبعا ، ولكننى رغم هذا لم يبلغ بى الأمر الى حد الخروج مع رجل دون أن أتعرف به . ان معلوماتك خاطئة ولا ريب انك تقصـد امرأة أخرى غيرى .

ـ أرجـوك . لم آت لكى نتكلم عن التقاليد أو اللياقات . أقول لك أن هذا الرجل يواجه حكم الاعدام ، وان من واجبك أن تتدخلى .

ـ دعنا نتفاهم . هل يفيده اذا شهدت شهادة الزور وقلت انه كان معى ؟

ـ كلا . كلا . لا أطلب منك أن تشهدى شهادة الزور وانما أن تذكرى الحقيقة .

أجابت وهى تحـدق فيه : اذا كان الأمـر كذلك فلا أستطيع أن أزعم اننى كنت معه لأن هذا غير صحيح .

قال لومبارد : فلنعد الى القبعـة اذن ... انك اشتريت تلك القبعة طبعا ؟

ـ قلت لك ان هذا جائز . ولكن ليس معنى هذا اننى رافقت رجلا غريبا الى المسرح . هاتان واقعتان لا رابط بينهما اطلاقا . ولكن قل لى لماذا تعتقد اننى أنا التى رافقت صاحبك ؟

ـ بسبب القبعة ، فقد كانت مندوزا ، بطلة الملهى

www.ibtesamh.com/vb

فى تلك الليلة ، تلبس قبعة صممت خصيصا لها ، وقد اعترفت أنت انك اشتريت قبعة مماثلة لها . وكانت المرأة التى رافقت هندرسون تلبس هذه القبعة بالذات .

ــ ليس هذا دليلا على اننى كنت هذه المرأة ... هذا استنتاج بعيد عن المنطق .

ولكنها نطقت بعبارتها هذه لكى تتكلم فحسب ، فقد بدا ذهنها مشغولا بشىء آخر . وقالت فى شىء من الاهتمام :

ــ تقول ان ذلك حدث بينما كانت مندوزا تغنى على مسرح الكازينو ؟ ... متى كان ذلك بالتقريب ؟

ــ استطيع أن أذكر لك التاريخ بالضبط . كان ذلك فى يوم ٢٠ مايو الماضى ، فيما بين الساعة التاسعة مساء والحادية عشرة مساء .

لمست كم لومبارد بطرف أصابعها وقالت : انك على حق . أظن أن من الاوفق أن تصعد معى لحظة .

وفى المصعد اكتفت بأن قالت : اننى سعيدة جدا انك أتيت وحدثتنى بذلك .

وتوقف المصعد فى الطابق الثانى عشر . وفتحت بابا بمفتاحها ثم اضاءت النور . وتبعها الى داخل المسكن . وألقت معطفها على أحد المقاعد فى غير اكتراث ، ثم ابتعدت وهى تمشى فوق الباركيه الملمع الذى يعكس صورتها وهى تقول : ٢٠ مايو ، أليس كذلك ؟ سأعود حالا . تفضل بالجلوس .

وعادت ومعها بضع فواتير ، وكانت تقلب فيما بينها . ووجدت الفاتورة التى تبحث عنها قبل أن تصل الى لومبارد لأنها احتفظت بواحدة وألقت بالباقى فوق طاولة وقالت :

ــ قبل أن نمضى بعيدا ، يجب أن أقول لك اننى

www.ibtesamh.com/vb

لست المرأة التى رافقت صديقك الى المسرح تلك الليلة ... انظر الى هذه .

كانت فاتورة اقامة باحدى المستشفيات لمدة أربعة أسابيع تبدأ من ٣٠ ابريل . وقالت : اننى استأصلت الزائدة الدودية ، وبقيت فى المستشفى من ٣٠ ابريل حتى ٢٧ مايو ، واذا لم يكفك هذا المستند فيمكنك أن تتحقق من ذلك بنفسك .

قال وهو يخفى خيبة امله : اننى أصدقك .

ولكنها بدلا من أن تعتبر المسألة منتهية جلست بدورها وأشعلت سيجارة .

وقال لومبارد :

ــ ولكن أنت التى اشتريت القبعة ، أليس كذلك ؟

ــ نعم . أنا .

ــ وماذا جرى لها ؟

لم تجب على الفور . واستغرقتها الأفكار . وخيم عليهما صمت غريب راح لومبارد يتأملها فاحصا خلاله .

أخبرته الغرفة التى يجلس فيها بأشياء كثيرة . كان عنوان البيت يكفى لوضع بييريت دوجلاس فى الوسط الاجتماعى الأنيق ، ولكن المسكن نفسه لم يكن فيه من السجاجيد والمفروشات الا القليل . وكانت ثياب المرأة نفسها تحكى نفس القصة التى تحكيها الغرفة ، فقد كانت ثيابا غالية من نوع ثمين ، ولكن حالتها كانت تدل على أن صاحبتها ترتديها منذ مدة طويلة . وكانت عينا المرأة تدل على أنها هى نفسها تترقب أية فرصة وأنها تعيش فى خــوف دائم من أن لا تتمــكن من انتهازها عندما تسنح .

خيل للومبارد وهو جالس مكانه صامتا ، انه يصغى الى أفكار هذه المرأة ، وخصوصا عندما رآها تنظر الى

www.ibtesamh.com/vb

يدها وهى تطفىء سيجارتها . وقال يحدث نفسه انها تفكر فى الخاتم الذى كان فى أصبعها ... ماذا حدث له ؟ ... لا ريب انها رهنتـــه . وانتقلت عيناه الى ساقيها ، وكانت قد رفعت ثوبها قليلا وكشفتها فرأى جوربين من النايلون ، وكانا من نوع ثمين هما الآخران ، وأدرك أنها تفكر فى النقود للحصول على ما تريد من ثياب وجوارب وغير ذلك . وعندما رفعت رأسها اليه عرف أنها اتخذت قرارا . والواقع أنها قالت ردا على السؤال الذى القاه عليها منذ لحظة :

ـــ ان قصة هذه القبعة بســـيطة جدا . أعجبتنى عندما رأيتها ، فاتفقت مع تلك الفتاة على ان تصنع لى قبعة مثلها . وانا لا أســـتطيع مقـــاومة نزواتى ، خصوصا عندما تسمح لى ظروفى بذلك . ولكننى لا أظن اننى لبست هذه القبعة مرة واحدة فقد رأيت انهـــا لا تناسبنى . وفيما بعد ، وعندما كنت أستعد لدخول المستشفى جاءت احـــدى صـــديقاتى لزيارتى وأبدت اعجابها بها فعرضت عليها ان تأخذها .

وهزت كتفيها دلالة على أن هذا شىء عادى وأنهـــا فرغت من قصتها فقال فى هدوء : ومن هذه الصديقة ؟

ولكنه كان يعلم ، قبل ان يلقى سؤاله ، انها لن ترد عليه بسهولة . وكان محقا فى ظنه هذا لأنها أجابته فى هدوء وفى غير اكتراث :

ـــ ولكن ، هـــل من الشرف والوفاء ان اذكر لك اســـمها ؟

ـــ ان حياة رجل فى الميزان ... رجـــل يجب ان يموت يوم الجمعة .

ـــ وهل هى السبب ؟ ... هل هى المسئولة عن وجوده فى السجن ؟ ... مهما يكن فاننى لا أعرف هذا

www.ibtesamh.com/vb

الرجل ، فى حين اننى أعرفها هى . انها صديقتى ، أما هو فلا ، وأنت تريد منى أن أورطها لكى تنقذه .

ـــ اذن فأنت ترفضين ان تذكرى لى اسمها ؟

ـــ لم أرفض ذلك بعد .

وكاد يختنق لفرط عجزه . وقال : هذا لا يمكن ان يكون ... سيكون فى هذا نهايته ... سوف تذكرين لى اسم هذه المرأة .

وكان كل منهما قد نهض من مكانه فى نفس الوقت . وراح كل منهما يحدق فى الآخر .

ـــ لا ريب انك لست خائفة وانك تقولين لنفسك اننى لن أستطيع ان اضربك لأنك لست رجلا . ولكننى لن أطيق صمتك ، وسوف ...

وأمسكها من ذراعها ولكنه لم يلبث ان اطلقها حين رأى النظرة الباردة التى رمته بها . وقالت :

ـــ هل يجب ان استدعى البواب لكى تنصرف .

ـــ حاولى ذلك اذا كنت تريدين اثارة فضيحة .

ـــ ولكن لا يمكنك ان ترغمنى على ان أقول لك هذا الاسم . ان لى كل الحرية فى التزام الصمت . ولكن ماذا تفعل ؟

ـــ هذا .

وأرتسم القلق فى عينيها عندما رأت المسدس . ولكن كان ذلك بسبب الدهشة التى عرتها ، لأن القلق لم يلبث ان زال وتلاشى ، وجلست لأن ساقيها خذلتاها ، وانما جلست فى بطء مهيب لأن الحديث قد يطول ، ولأنها لا تريد ان تتعب دون ما جدوى .

لم يسبق له ان رأى امرأة مثلها . كانت قد استردت هدوءها من جديد . كانت هى المنتصرة ، لا هو على الرغم من المسدس الذى فى يده .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ الا تخشين الموت ؟

حدقت فيه وقالت فى هدوء : بل أخشاه كثيرا ، ولكننى لست فى خطر فى الوقت الحـــاضر ، فـــلا يمكنك ان تقتلنى . ان الانسان يقتل غيره لكى يمنعه عن الكلام ، لا لكى يرغمه عليه ، لأن الموتى لا يتكلمون . وانا سيدة الموقف على الرغم من مسدسك . يمكننى ان استدعى البوليس ولكننى لن افعل شيئا من ذلك . والآن وقـــد جلست ، فاننى انتظر حتى تعيد مسدسك الى جيبك .

وأطاعها مغلوبا على أمره ، وقال فى صوت مختنق: حسنا . انك كسبت .

ضحكت ضحكة خفيفة وقالت : أرأيت انه ليس فى امكانك اخافتى .

وأردفت تقول فى لهجة لها معناها : ولكن مازال فى مقدورك ان تثير اهتمامى .

هز رأسه فى وعى وأدراك ، ومضى الى مكتب صغير جلس أمامه وأخرج دفتر شيكاته من جيبه وقال وهو يأخذ قلمه :

ـــ هل مازلت أثير اهتمامك ؟

أرتسمت على شفتيها ابتسامة وقالت : ان صحبتك بدأت تروق لى .

ـــ ما اسمك ؟

ـــ يمكنك ان تحرره « كاملة » .

وكتب فى خانة الارقام رقم « ١٠٠٠ » ، وكانت قد اقتربت منه ، فما كادت ترى الرقم حتى تظاهرت بأنها تتثاءب : اشعر باننى اريد ان أنام .

ـــ لماذا لا تفتحى النافذة ؟ ... ان الجو خانق

أجابت : ولكننى واثقة ان ليس للجو دخل فيمـــا أشعر به .

www.ibtesamh.com/vb

ولكنها ذهبت مع ذلك ففتحت النافذة ثم عـــادت الى المكتب . وكان فى اثناء ذلك قد اضاف صـــفرا الى الرقم الأول . وقال فى سخرية : بماذا تشـــعرين الآن ؟

ـــ أحسن كثيرا . يخيل لى ان الحياة قد دبت فى من جديد .

ـــ ان للنقود تأثيرها ، اليس كذلك ؟

ـــ طبعا .

ـــ ولكن هذا عمل غير لائق .

ولكننى لم أقصدك فى شىء ، انما انت الذى اتيت تسألنى شيئا .

* * *

وكان واقفا أمام الباب المفتوح يتحدث اليها عنـــدما جاء المصعد تلبية لندائه . وكان يمسك فى يده قطعة صغيرة من الورق ... صفحة من بلوكنوت مطـــوية طيتين .

ـــ أرجو ان لا اكون قد تطفلت عليك كثيرا .

وأبتسم وأردف يقول : اننى واثق على كل حـــال اننى لم أزعجك كثيرا ، وأرجو ان تلتمس لى العذر لمجيىء فى مثل هـــذا الوقت المتأخر . ولكن للظروف احكامها كما تعلمين .

وسمعه عامل المصعد يقول ردا على ملاحظة ابدتها: لا تقلقى . ما كنت لأوقع على هذا الشيك لو اننى كنت أنوى الاعتراض عليه ... لا قيمة للمال عندما ...

سأله عامل المصعد فى هذه اللحظة وقد اعيـــاه الانتظار : هل استدعيتنى ايها السيد ؟

حول رأسه اليه على الفور وقال : آه ، نعم . نعم. اننى قادم . طابت ليلتك يا سيدتى .

www.ibtesamh.com/vb

وحياها بقبعته ساخرا ، ودار على عقبيه فى خفة ، وصفقت الباب خلفه دون ان تلقى اليه نظرة أخيرة .

وعندما القى نفسه فى الشارع فتح الورقة التى فى يده ، ورأى فيها اسما وعنوانا : فلورا رقم ١٥ بشارع امستردام .

* * *

وقال يخاطب بورجيس بعد دقيقتين أو ثلاث فى التليفون : قضى الأمر ، كنت أظن ان كل شىء قد انتهى. ولكن مازالت هناك حلقة باقية . ولكنها ستكون الأخيرة هذه المرة . سوف اشرح لك عندما تأتى . اننى ذاهب هناك الآن فورا .

ورأى بورجيس ، وهو منحن فى عربة الداورية سيارة لومبارد وكانت واقفة بجوار الافريز ، فهبط قبل ان يتوقف السائق تماما وعاد أدراجه . وأبصر لومبارد جالسا على سلم سيارته وقد احدودب ظهره .

وبادره بورجيس قائلا : أهذا هو المكان ؟ ... ولكن ما الخبر ؟

ـ هذا هو المكان الذى ذكرته لى ولكنه عنوان مرفق الحريق كما ترى .

* * *

وكان يطرق الباب عبثا عندما انضم بورجيس اليه ومعه مفتاح عمومى ، فأخذه منه على الفور وهو يقول:

ـ انها لا ترد ... لا ريب انها هربت .

ـ كلا . لو انها فعلت لرآها البواب ، هذا الا اذا.

وعندما انفتح الباب طالعهما منظر فظيع غنى عن البيان .

فقد كانت النافذة التى امامها مفتوحة على مصراعيها، وكانت نافذة فرنسية كبيرة ، ورأيا بين مصراعيها

www.ibtesamh.com/vb

« فردة » شبشب بدت كما لو كانت قاربا مهجورا على الساحل ، وفى السجادة التى تمتد من بعد الباب مباشرة حتى النافذة عدة تجعدات ملتوية بدت أشبه بموجات جاءت وتكسرت عند قدميها .

ومضى بورجيس الى النافذة وهو حريص على أن يمشى على الباركيه لكى لا يمس السجادة . والقى يديه على الدارابزين الحديدى المنخفض ، وبقى مدة طويلة وهو يحدق فى أسفل دون أن يتكلم .وعندما اعتدل أخيرا وعاد الى الداخل هز رأسه وقال يخاطب لومبارد الذى كان قد بقى مكانه كالمصعوق .

ــ نعم ... انها تحت ... فى الحوش ... لم يسمع أحد شيئا لأن كل النوافذ مظلمة .

ورأى عندئذ السيجادة على الأرض بجوار السجادة ، وكانت قد استهلكت تقريبا ولكن الدخان كان لايزال يتصاعد منها فالتقطها ، ونظر فى تفكير الى أحمر الشفايف الذى يغطى طرفها وقال فى بطء :

ــ أخشى ان نكون نحن الذين تسببنا فى موتها . ومن السهل اعادة بناء ما حدث . كانت عند النافذة وقد احتشدت رأسها بالمشاريع ، تدخن السيجارة وتستنشق هواء الليل فى سرور جديد . ولا ريب انها اجفلت عندما سمعت رنين التليفون ، حين اتصل بها البواب ليعلنها بقدومنا ، وستدارت على الفور فزلت احدى قدميها فى هذه الناحية من السجادة ، ووقعت بعد أن افلتت منها فردة الشبشب . ولكن الذى لا أفهمه هو لماذا أعطتك هذا العنوان . هل كانت تريد أن تمزح أم ماذا ؟

قال لومبارد : كلا . لم تخرج لانها كانت تريد النقود بأية وسيلة ..

www.ibtesamh.com/vb

ـــ ولكننى لا أستطيع أن افهم لماذا لم تعطك عنوانا بعيدا يضطرك الى مغادرة نيويورك بحيث تستطيع أن تقبض قيمة الشيك وتهرب قبل عودتك . ان العنوان الذى ذكرته لك لا يبعد باكثر من خمسمائة متر ، وكانت تعرف انك سوف تعود بعد خمس أو عشر دقائق ، فلماذا اذن ؟ . .

ـــ ربما أرادت ان تتصل بتلك السيدة بالذات لكى تحاول أن تحصل منها على مبلغ اكبر . واذا صح هذا فانها تكون قد تحايلت معى لا لشىء الا لكى انصرف . ولكى تستطيع ان تتصل بالسيدة تليفونيا .

كشر بورجيس ولكنه ، لم ينطق بشىء . ولم يكن لومبارد ينتظر أن يسمع منه شيئا ، ولهذا استدار فى بطء ، وقد احدودب ظهره وخبا الأمل عن عينيه ، ثـم اندفع فجأة وضرب الجدار بكلتا يديه وبكل قواه وهو يقول متأوها :

ـــ هذه الجدران هى وحدها التى تعرف ما حدث . . . ولا أستطيع أن احملها على الكلام .

اليوم الثالث قبل التنفيذ

شرب كأسا من الخمر ، بعد أن هبط من القطار قبل أن يدخل الســـجن . ولكن لو انه شرب عشرة كئوس أو مائة لما غير ذلك من الأمر شيئا . ما كان ذلك ليبدل الأنباء السيئة بانباء حسنة ولا حكم الموت بقرار عفو .

كيف يقول لرجل انه لابد له ان يموت ؟ . . . وكيف يخبره بأن آخر شعاع من الأمل قد خبا وانطفأ .

وتساءل الم يكن من الأفضل أن لا يعود اطلاقا ،

www.ibtesamh.com/vb

مادام قد عجز عن أن يفعل شيئا من أجل صديقه . ستكون هذه الزيارة شاقة ومؤلمة ، وكان يرتجف منها مسبقا . ولكن خيل له انه اذا لم يعد لزيارته فان ذلك سيكون جبنا منه . ثم انه لم يكن يستطيع أن يترك سكوت هندرسون يغذى نفسه بالأمل ثلاثة أيام أخرى. وما كان بوسعه ان يتركه يسير سيرته الأخيرة ... مسيرته نحو الموت وهو يمنى نفسه بالنجاة فى آخر لحظة .

وما كاد الحارس يبتعد حتى خيم صمت مروع . ولم يحتمله أى منهما وقتا طويلا ، وكان هندرسون هو الذى قطع حبله بأن قال ، ما عليك ! ... اننى فهمت .

وكأن هذه الكلمات حطمت السحر الذى شل حركاتهما ، فقد تحول لومبارد عن النافذة التى ظل ينظر اليها حتى هذه اللحظة ، والقى يديه على كتفى صديقه وقال :

ـ اصغ الى .

ـ كلا . ليس هناك اى داع . اننى قرات ذلك فى وجهك .

ـ اننى فقدتها من جديد ... وهذه المرة لن استطيع العثور عليها بعد ذلك .

قال هندرسون : صه . قلت لك لا فائدة من الكلام .

وتهالك لومبارد على حافة الفراش فى حين بقى صديقه معتمدا على الجدار المقابل . ولم يعد يسمع فى الزنزانة غير صوت ورق السيلوفان المدعوك الذى كان يصدر من سكوت وهو يطوى علبة سجائر فارغة كان يمسك بها فى يده ، ثم يعدلها لكى يعود فيطويها من جديد وهكذا دواليك . ولم يطق لومبارد ذلك طويلا وصاح :

www.ibtesamh.com/vb

ـ كفى .

نظر هندرسون الى يديه فى دهشة وقال معتذرا : عادتى القديمة كما تعرف . لم أستطع أن أبرأ منها أبدا . حين أكون فى القطار أو فى عيادة الطبيب فاننى لا أترك المجلة من يدى الا بعد أن أبرم أعالى صفحاتها كلها ، ولا أترك البرنامج فى المسرح الا ..

وأمسك هندرسون عن الكلام ، ونظر الى الجدار ، من فوق رأس لومبارد ، وقال حالما : فى تلك الليلة التى ذهبت فيها الى الكازينو معها ، أتذكر اننى فعلت ذلك . عجيب أن يبقى فى ذهنك شيء صغير كهذا بينما الاشياء الأخرى الأكثر أهمية .. ولكن ماذا دهاك ؟.. ولماذا تنظر الى هكذا ؟

ـ هذا البرنامج الذى تتكلم عنه .. هل تركته فوق مقعدان أو .. تراك القيته .. كما تفعل دائما ؟

ـ كلا . انها أرادت أن تحتفظ بالبرنامجين معا ، واننى أتذكر ذلك الآن . وقد وصفتهما فى حقيبتها ، ولا أدرى لماذا .

هب لومبارد واقفا وقال : آه لا نستطيع أن نستفيد من هذه النقطة !

ـ ماذا تعنى ؟

ـ اننا نعرف الآن انها أخذت ذلك البرنامج . ويجب أن نستفيد من هذه النقطة . ان هذا البرنامج هو القاسم المشترك بينكما ، واذا استطعنا أن نحملها على تقديمه دون أن تشك فى غرضنا الحقيقى فانه سوف يكشف أمرها لا محالة .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ هل تفكر فى نشر اعلان .

ـــ نعم . هناك أشـــخاص فى وقتنا هذا يهـــوون كل الأصناف من كل نوع . طوابع بريد وقداحات وأوراق اللعب وغيرهما .. وهم مستعدون دائمـــا لدفع مبالغ خيالية فى سبيل الحصول على ما يريدون .. وسأنشر اعلانا أقول فيه اننى من هواة جمع البرامج القديمة ، واننى أتيت الى نيويورك لقضاء بضعة أيام وذلك لشراء ما أجده منها . والجرائد مغرمة بنشر قصص هؤلاء الحمقى ، وستسارع الى الحديث عنى وتنشر صورتى ، ولن تلبث البرامج القديمة أن تنهال على .

ـــ ولكن حتى اذا فرضنا ودفعت فيها ثمنا مرتفعا فلماذا تريد منها أن تهتم باعلانك . لا ريب انها تعيش فى بحبوحة كبيرة .

ـــ هذا أم غير أكيد .

ـــ مهما يكن فان مثل هذه العادة الغريبة ستحملها على الشك .

ـــ انك تقول هذا لأنك تعلم ان البرنامج يمكن أن يكشف أمرها . أما هى فلا تعرف ذلك . ولعلها لم تلحظ الزوايا أو لعلها لا تدرى أنها ستفضح أمرها . وكيف يمكن أن ترتاب فيها . بحيث أن تسمع حديثنا فى هذه اللحظة لكى تشك فى الأمر .

ـــ مهما يكن فان الأمر يبدو بعيد الاحتمال .

ـــ هو بعيد الاحتمال طبعا . وأمامنا فرصة فى الألف للنجاح . ولكن هذا أفضل من لا شىء . سأقوم بهذه المغامرة يا هندى ، ولدى احساس بأننا سننجح هذه المرة .. الى الملتقى .

www.ibtesamh.com/vb

أجابه هندرسون : الى الملتقى .

وفكر يقول فى حين كان صديقه يبتعد : انه يقول ذلك لكى لا يتركنى بدون أمل ، ولكنه لا يؤمن بما يقول ، ولن أراه بعد ذلك طبعا .

* * *

« رجل موسر من هواة جمع البرامج المسرحية القديمة، أقبل الى نيويورك لقضاء بضعة أيام لاستكمال ما ينقصه منها ، ومستعد لشراء ما يجده منها ، سواء كان قديما أو جديدا وعلى الأخص برامج الأسابيع الأخيرة الخاصة بالملاهى لأنه لم يتمكن من جمعها لوجوده فى أوروبا فى ذلك الوقت . مستعد لشرائها بالقطعة وليس بالجملة . الوسطاء يمتنعون .

الاتصال بـ ج.ل. ١٥ ميدان فرانكلين . سارعوا بانتهاز الفرصة لأنه سيرحل مساء يوم الجمعة المقبل » .

يوم التنفيذ

وفى نحو الساعة التاسعة والنصف من مساء ذلك اليوم ألقى لومبارد نفسه بمفرده فى المحل مع مساعده .

وتهالك لومبارد فوق أحد المقاعد وهو فى منتهى الاعياء . وكان قد فك ربطة عنقه وفتح ياقة القميص . وكان المنديل الذى يجفف به وجهه قد أصبح رماديا تقريبا ، لأن الناس الذين أقبلوا منذ الصباح كان يبدو أنهم لم ينفضوا عن برامجهم القديمة ، ولا ريب أن الغبار كان كثيفا كلما زادت قيمة البرنامج .

www.ibtesamh.com/vb

وتحول الى مساعده الذى اختفى خلف كومة من البرامج وقال يخاطبه : يمكنك أن تنصرف الآن يا جيرى. سأغلق المكتب بنفسى بعد نصف ساعة ، فلن يأتى الآن أناس كثيرون .

مضى الشاب وأخذ سترته . وناوله بضع أوراق مالية قائلا : هاك خمسة عشر دولارا أجرك عن الأيام الثلاثة الماضية .

قال الشاب : هل أنت واثق أنك لن تحتـــــاج

ــ كلا . لن أكون هنا غدا . ويمكنك أن تفعـــل ما تريد بهذه البرامج . قد تجنى منها شيئا اذا أنت بعتها بالميزان .

حدق جيرى فيه مشدوها وقال : ماذا تقـــــول يا سيدى ؟ انك لم تكف عن شرائها منذ ثلاثة أيام ، وتطلب منى الآن أن أتخلص منها ؟

قال لومبارد : نعم . هكذا أنا . ولكن لا تنشر النبأ بعد فربما يأتين عملاء آخرون .

وانصرف الشاب بعد أن نظر اليه خلسة أكثر من مرة ، وقال لومبارد : لا ريب انه يحسبنى مجنونا ، وله الحق . ولا ريب اننى مجنون اذ خطر لى أن هذه الفكرة قد تنجح . ولكن كان لابد من المجازفة على كل حال .

ومرت امرأة شابة على الرصيف فى نفس اللحظة التى خرج فيها جيرى . ورآها لومبارد لأنه كان يتابع مساعده أثناء انصرافه ، وتدخلت بينما لمجرد لحظة . وكانت امرأة عادية كغيرها ، ولكنها ترددت مع ذلك أمام الباب بدافع الفضول بلا ريب ، ثم تابعت ســـيرها

www.ibtesamh.com/vb

أمام الفترينة الشاغرة . واقبل عندئذ رجل مسن يرتدى معطفا من الفرو ونظارة بشريط حريرى أسود . ورأى لومبارد خلفه سائق سيارة أجرة بيده حقيبة صغيرة . ووقف الرجل أمام المكتب وقال :

ـ أيها السيد العزيز . من حسن حظك أن اعلانك وقع تحت بصرى ، فان فى مقدورى أن أزيد مجموعتك . ان معى هنا برامج نادرة . تصور ان لدى نسخة من برنامج مسرح جيفرسون .

أسرع لومبارد يقول : ان مجموعتى الخاصة بمسرح جيفرسون كاملة .

ـ مسرح أوليمبا اذن .

ـ لست مهتما به . الواقع انه لا ينقصنى الآن غير برنامج واحد ، وهو خاص بملهى الكازينو لموسم ١٩٤١ / ١٩٤٢ .

قال الرجل فى تقزز كبير : الكازينو ؟.. أتحدثنى عن الكازينو وكنت فى زمانى واحدا من مشاهير كتاب المسرح الدرامى ؟

واستدار سائق سيارة الأجرة بحقيبته ، فى حين التفت الرجل ، وهو بعتبة الباب نظرة أخيرة وتمتم يقول فى استهجان :

ـ الكازينو ! . . يا للعجب !

ومرت بضع لحظات ثم دخلت امرأة مسنة ترتدى قبعة بالية ، وفيما كان لومبارد ينظر اليها رأى المرأة الشابة التى سبق أن رآها من قبل ، ولكنها كانت متجهة هذه المرة الى الناحية الأخرى . وأدارت رأسها بحركة خفيفة وألقت نظرة داخل المحل ، وبدا أنها تهم بالوقوف، ولكنها لم تلبث أن اختفت بعد تردد يسير .

وكان الحديث قد كثر بالطبع عن البرامج التى

www.ibtesamh.com/vb

يشتريها . بل ان بعض الجرائد أرسلت مصـــوريها لالتقاط صورة للمحل وهو فى أوج نشاطه . ولم يمكن لالتقاط صورة للمحل وهو فى أوج نشاطه . ولم يكن هناك مايدعو للاستغراب فى أن تشعر امرأة بالفضول. ولعلها عادت بعد أن أدت عملا ما . واذا كان الأمر كذلك فقد كان لابد لها من أن تتبع فى العودة نفس الطريق الذى اتخذته فى الذهاب .

وسألته المرأة العجوز المســكينة التى وقفت أمامه فى شىء من الارتباك : هل صحيح هذا يا سيدى ؟.. هل تشترى البرامج القديمة ؟

قال لومبارد وهو يعيد اهتمامه اليها : اشترى نوعا معينا منها .

فتشت فى حقيبتها المصنوعة من القماش وقالت : لم أحضر معى الا القليل منها يا سيدى . ولكننى أحتفظ بالكثير منها معى .. وترجع كلها الى الوقت الذى كنت أغنى فيه مع الكورس فى سنة ١٩١١ . هذا برنامج ميدنايت رامبل وهذا برنامج فروليك .

والقتهما بيد ترتعش على المكتب ، وراحت تقلب فى صفحات واحد منهما ثم قالت : هذه صورتى أنا . كنت اشترك فى الغناء فى الفصل الأخير .

وقال لومبارد يحدث نفسه : ويل للوقت . انه قاتل جبار ولا يمكن الاقتصاص منه أبدا .

ولم ينظـــر الى البرنامجين وانمـــا الى اليـــدين المعروقتين وقال : اننى أعطيك ثلاث دولارات نظـــير كل منهمـــا .

احتبست أنفاسها لفرط الفرح وقالت بعد لأى : أوه .. باركك الله ! لا يمكن أن تدرى كم كنت بحاجة الى هذه الدولارات الستة .

www.ibtesamh.com/vb

وقبل أن يتمكن من منعها أمسكت بيده ورفعتها الى شفتيها وقد أغرورقت عيناها بالدموع وهى تقول :

ـــ ما كنت أظن انهما يساويان شيئا .. سأحتفل الليلة وأتناول عشاء شهيا .

وخرجت وهى تترنح تحت وطأة ضربة القدر السعيدة .

وظهرت امرأة شابة فى المكان الذى غادرته المرأة العجوز . ولا ريب أنها دخلت دون أن يلحظها . وكانت هى نفس المرأة الشابة التى مرت قبل ذلك مرتين أمام المحل ، أو خيل له ذلك على الأقل لأنه لم يكن قد ألقى اليها غير نظرة عابرة .

والواقع انها بدت له من بعيد أصغر سنا مما كانت تبدو الآن .. وكانت نحيفة جدا ولكن وجهها بدا متعبا عن كثب ، وبدت هى نفسها مكدودة ، وكانت عيناها متجهمتين . وأحس لومبارد فجأة بالحذر يسرى فى أعطافه ، ولم يجرؤ على التحديق فيها علانية فخفض عينيه حتى لا تقرأ فيهما ما يعتمل فى وجهه .

كانت حتى الأيام الأخيرة الماضية جميلة . ولكنها كانت الآن فى حالة كبيرة من التدهور ، وان كان لا يزال فيها شىء من الرقة ، كانت تختفى تحت ابتذال خارجى ، ولكنها لن تلبث أن تزول نهائيا . وكان يبدو انه لا يمكن انقاذها ، فقد كان من الواضح ان الانحلال التام وشيك الوقوع ، اما بسبب الادمان على الخمر أو بسبب الحرمان . أو لعلها لجأت الى الخمر لكى تنسى . وكانت نظرتها تنم عن خوف مشوب بالذنب دلالة على يأس مادى كبير . ولكنها الآن ، وقد عزمت انها سقطت كان يبدو عليها أنها اكتسبت نوعا من المروءة والمقارنة عرفتهما بحكم مخالطتها للرصيف والخمارة ، وكان

www.ibtesamh.com/vb

واضحا انها تحاول أن تتماسك بقدر الاستطاعة قبل أن تخور عزيمتها وتضع حدا لحياتها المعذبة .

وكانت ترتدى ثيابا سوداء ، ليس بسبب الحداد . ولا بدافع الأناقة ، وانمـــا لمحاولة اخفاء القذارة . وحتى جوربها كان أسود وبه رتوق كثيرة ظاهرة .

وعندما تكلمت ، تكلمت بذلك الصوت المبحوح الذى تتسبب فيه الخمر التى يتناولها المرء فى أية ساعة من ساعات النهار أو الليل . ومع ذلك فقد كان صوتها لا يزال محتفظا بتلك اللهجة التى يتميز بها المثقفون ، واذا كانت قد استخدمت بعض العبارات التى يستخدمها العامة فذلك لأنها اعتادت ذلك لأنها لا تعرف التحدث بطريقة أخرى .

ـــ أما زالت لديك بعض النقود لشراء نماذج أخيرة أم ترانى أضعت الفرصة .

اكتفى بأن رد عليها قائلا : أرينى ما معك .

وفتحت حقيبتها الكبيرة البالية ، وألقت فوق المكتب برنامجين لملهى ريجينا للموسم الأخير . وتظاهر بأنه يطلع على كشف بمـــا ينقصه وهو يحدث نفســـــه

ـــ اننى أتساءل مع من ذهبت لمشاهدة هذا الحفل. لا ريب انها كانت لا تزال جميلة فى ذلك الـــوقت ، ولم تكن تخشى تقلبات الزمن . وقال فى صوت مسموع :

ـــ نعم . هذا البرنامج ينقصنى . وسأنقدك ســـبعة دولارات ونصف ثمنا لهما معا .

ورأى عينيها تتألقان كما كان يتوقع . واذ رأى انه أثار اهتمامها قال : هل معك برامج أخرى ؟.. هذه فرصتك الأخيرة لبيعها لأننى سأرحل الليلة .

ترددت . ورآها تنظر الى حقيبتها . وقالت : هل تهتم اذا لم يكن معى غير برنامج واحد .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ طبعا . ولكن الأمر رهن بالبرنامج نفسه .
ـــ حسنا . . وما دمت قد أقبلت .
وفتحت حقيبتها من جديد ، ولكن بحيث لم يستطع أن يرى ما بداخلها . وخرجت احدى يديها ببرنامج بينما أطبقت الحقيبة باليد الأخرى . وعندئذ فقط ألقت بالبرنامج فوق المنضدة فقلبه وقرأ :

«ملهى الكازينو»

كان هذا أول برنامج للملهى المذكور يراه منذ ثلاثة أيام . وراح يتصفحه متظاهراً بعدم الاكتراث لكى يرى التاريخ : الاسبوع من ١٧ الى ٢٣ مايو .
كادت أنفاسه تتوقف . فقد كان الاسبوع هو نفس اسبوع المأساة ، لأنها وقعت يوم ٢٠ . واحتفظ بعينيه مطرقتين لكي لا يظهر انفعاله . ولكن . . زوايا البرنامج كانت سليمة غير مبرومة ، وحتى اذا كانت الزوايا قد برمت قبل ذلك وسويت لظهر الأثر على الفور . . وقال وهو يبذل جهدا كبيرا لكى يبدو صوته طبيعيا : هل معك نسخة ثانية منه . أستطيع أن أنقدك مبلغا كبيرا اذا كانت معك نسخة أخرى .
ألقت اليه نظرة فاحصة . ورأى يدها تمتد الى الحقيبة ثم ترتد على الفور . وألقت بها فوق المنضدة وهى تقول : لعلك تظن اننى أطبعها .
ـــ كلا . ولكن من النادر أن تذهب امرأة الى مثل هذا الملهى بمفردها . ألم يكن معك أحد فى تلك الليلة ؟
ويبدو أن السؤال يصادف هوى من نفسها لأنها ألقت حولها نظرة ، كما لو كانت تحاول أن تكتشف فخا خفيا فى المحل ، وهى ترتد الى الوراء فى نفس الوقت .

www.ibtesamh.com/vb

ـ قلت لك انه ليس معى غيره ، فهل تشـــــتريه
ـ اذا كانت لديك نسخة أخرى فسوف أنقدك ضعف المبلغ .
قالت وقد بدا عليها انها تتعجل الانصراف : حسنا . ما عليك الا أن تنقدنى ثمن نسخة واحدة .
وبدلا من أن تقترب من المنضدة انحنت لكى تأخـذ النقود . وتركها تمضى حتى الباب ثم قال لها فى صوت هادىء : أوه ، انتظرى .. هل لك أن تعودى لحظة ؟.. اننى نسيت شيئا .
وحولت رأسها اليه وهى تقف . واذ أشار لها أن تعود أطلقت صيحة مكتومة ثم أسرعت هاربة بكل قواها .
وأسرع يدور بالمنضدة لكى يلاحقها ، واوقع فى طريقه بضعة صفوف من البرامج كان جيرى قد تعب فى رصها بعناية كبيرة .
وعندما خرج الى الرصيف رآها تجرى فى آخـر الشارع . ولكن كعبيها العاليين أعاقاها بعض الشىء . وفى نفس اللحظة التفتت خلفها . واذ رأت انه يطاردها أطلقت صرخة أخرى وزادت من سرعتها . ولكنه لم يلبث أن لحق بها على بعد بضعة أمتار من المكان الذى أوقف فيه سيارته .
وأمسكها من كتفها وادارها اليه ، ودفع بها لصق الجدار . وأحاط كتفيها بذراعيه . وقال وهو يسترد أنفاسه بصعوبة : حسنا . لا تتحركى الآن .
ولكنها كانت أسوأ منه حالا ، ولا ريب أن الخمـــر أضعفت من قوتهـــا لأنه خيـــل اليه انها موشكة على الانهيـــار .
ـ دعنى .. اننى لم افعل شيئا .

www.ibtesamh.com/vb

ـ لماذا هربت هكذا اذن ؟
ـ اننى .. لم استرح الى نظرتك .
ـ أرينى ماذا فى حقيبتك . هيا .. افتحيها .. افتحيها والا فتحتها بنفسى .
ـ دعنى .. دعنى وشأنى .

ولكنه أمسك بالحقيبة ، وكانت تضمها الى صدرها ، وانتزعها فى عنف بحيث انقطع الحزام الجلدى البالى الذى كانت تمسك وأرغمها على البقاء مكانها لصق الجدار باحدى يديه ، وفتح الحقيبة باليد الأخرى ، وأخرج منها برنامجا مماثلا لذلك الذى سبق أن أعطته اياه . ولكنه لم يكن بحالة جيدة كالأول ، فقد كانت كل صفحاته مثنية من حافتها العليا . ونظر الى التاريخ على ضوء مصباح غازى . كان يحمل نفس تاريخ البرنامج الأول .

برنامج سكوت هندرسون .

ساعة التنفيذ

الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسون .

كانت هذه هى النهاية .

أحس بالبرد على الرغم من أن جسده كان يتفصد بالعرق . وبدلا من أن يصغى الى ما كان الواعظ يقول راح يكرر لنفسه قائلا : اننى لست خائفا .. لست خائفا .

ولكنه كان خائفا ، وكان يعرف ذلك . ولكن من ذلك الذى لا يخاف فى مثل هذا الموقف .. ان غريزة البقاء والرغبة فى استمرار الحياة متأصلة فى أعماق كل كائن حى .

www.ibtesamh.com/vb

كان مستلقيا على صدره فوق الفراش ، وكان الواعظ جالسا بجواره وقد ألقى يده فوق كتفه وراح يقرأ بعض المزامير فى صوت خافت . ولكنه لم يكن يصغى اليه ، وانما أحس بيأسه يزداد فهو لم يكن يريد الدنيا الآخرة .. انما يريد أن يعيش فى هذه الدنيا .

وتساءل اذا كان لا يزال لديه من الوقت ما يكفى لكى يدخن سيجارة أخرى . وكانوا قد أعطوا علبتين مع الوجبة الأخيرة ، ولم يبق لديه منها غير نصف واحدة . ولكن كان من السخف أن يشغل نفسه بمثل هذا الأمر فما الذى يضيره اذا أشعل سيجارة وأخذ منها نفسا واحدا ثم ألقاها بعد ذلك . ولكنه كره الاسراف طوال عمره ، وكان من العسير عليه أن يتخلص من عادة اكتسبها طوال حياته .

وألقى السؤال على الواعظ ، وقطع هذا الأخير قراءته ، وبدلا من أن يرد عليه مباشرة قال له :

— نعم . يمكنك أن تدخن سيجارة أخرى يا بنى .

وأشعل عودا من الثقاب وقدمه اليه على عجل . وأدرك هندرسون من ذلك انه لم يعد أمامه أكثر من دقائق معدودات .

وألقى رأسه على حافة الفراش ، وانساب الدخان من بين شفتيه ، وراح الواعظ يقرأ من جديد ، وفى الطرقة الخارجية اقترب البعض فى خطوات بطيئة . وأفلتت السيجارة من بين شفتى الشاب وتدحرجت فوق الأسفلت .

ولم تلبث الخطوات أن توقفت . وأدرك أن أصحابها يقفون فى الناحية الأخرى من القضبان ، وانهم ينظرون اليه . وكان الفضول أقوى فجلس وأدار رأسه فى بطء وقال :

www.ibtesamh.com/vb

ـ هل حان الوقت ؟

وانفتح باب الزنزانة وقال الحارس : حان الوقت يا سكوت .

* * *

وهكذا ظهر برنامج سكوت هندرسون المسكين فى الساعة الحادية عشرة . وترك لومبارد الحقيبة فانفلتت منه على الأرض ، وراحت المرأة تتلوى بطول الحائط الذى الصقها به فى محاولة للخلاص منه .

ووضع البرنامج فى أحد جيوبه الداخلية فى عناية كبيرة ثم أمسك المرأة بيديه الاثنتين وجرها حتى سيارته، وقال لهـا :

ـ اصعدى أيتها المرأة العديمة القلب . سوف تأتين معى . لعلك تدركين انك أفلحت تقريبا فيما فعلت .

ـ دعنى أنصرف .. ليس لك الحق .. ان الشرطة. ولكن ألا يوجد شرطى لكى يمنعك ؟..

ـ آه . هل تطلبين الشرطة الآن ؟.. حسنا ، سوف تجدين منهم الكثير .

واذ حاولت أن تبتعد من المقعد لكى تهرب من الباب الآخر سحبها فى عنف بحيث انها ارتمت عليه ، وصفعها بيد فى حين أدار المحرك بيده الأخرى .

ـ لم أفعل هـذا بامرأة من قبل . ولكنك لست امرأة .

وانطلقت السيارة بكل سرعتها .

ـ لابد لك من أن تتبعينى الآن سواء شئت أم لا . واذا اضطررت للابطاء أو للتوقف فاننى أنصحك أن لا تستنجدى بأحد لأن يدى لن تكل من صفعك .

واعتمدت على مسند المقعد وقد انهارت قواها بينما راحت السيارة تسبق السيارات التى أمامها ، الواحدة

www.ibtesamh.com/vb

بعد الأخرى . وتوقفا أمام نور أحمر ، ولكنها لم تحاول أن تجدد محاولاتها السابقة واكتفت بأن قالت : أين تذهب بى ؟

ـــ لعلك لا تعرفين .. أو لعلك مندهشة .

ـــ هل نذهب حيث .. حيث يوجد .

ـــ نعم . حيث يوجد .

وداس على جهاز السرعة وقال : انك تستحقين الجلد لأنك تركت بريئا يمضى الى الموت فى حين كان يكفيك أن تذكرى ما تعرفين للحيلولة دون ذلك .

قالت فى صوت كئيب وهى تنظر الى يديها : كنت اشك فى شىء كهذا .

وأردفت تقول بعد لحظة : هل .. هل هذه هى الليلة ؟

ـــ نعم . هذه هى الليلة .

ورأى على ضوء لوحة السيارة عينيها تتسعان كما لو أنها لم تدرك معنى ذلك من قبل ، وتمتمت : لم أكن . لم أكن أعرف .. انها الليلة .

قال فى حدة : اطمئنى . الآن وقد أصبحت معى فلن يقع شىء الليلة .

وراحت تنظر أمامها فى اصرار ، ولكنه أدرك انهـا لا تنظر الى شىء بالذات ، لعلها كانت تنظر الى ماضيها ، والآن وحيث لا توجد خمارة ولا زجاجة تساعدها على الهرب من هذه الرؤية ، كانت مضطرة الى مواجهـة الأمر الواقع بينما راحت السيارة تتابع انطلاقها . وقال لهـا بعد لحظة :

ـــ لا ريب انك متحجرة القلب كاحدى هذه الدمى الفارغة من كل احساس .

وعندئذ احتدت قائلة : الا تدرى ماذا فعل بى انا ؟..

www.ibtesamh.com/vb

الم تفكر فى ذلك ؟.. انظر الى .. الم ادفع ما فيه الكفاية ؟.. لماذا ابالى بما يحدث له او لأى شخص آخر ، ولماذا احفل به ؟ انهم سيقتلونه الليلة على كل حال . اما انا فقد قتلونى منذ وقت طويل .. اننى ميتة .. هل تسمعنى ؟.. ميتة !.. ان التى تجلس الى جوارك امراة ميتة .

ولم يكن صوتها متأوها ولا شاكيا وانما كان هدير المأساة .

ـ احيانا احلم وارى امرأة تقطن بيتا فخما ، ولها زوج يحبها ولديها مال واشياء جميلة واصدقاء يقدرونها . وتحس باحساس الأمان على الخصوص .. وتعتقد بأن كل ذلك سوف يدوم حتى تموت ، ولا استطيع أن اصدق ان هذه المرأة كانت أنا .

وكان ينظر الى الظلمات وهى تهجم على السيارة فيشطرها ضوء المصباحين شطرين ثم تعود فتنطبق خلفهما من جديد . وراح هو الآخر يحدق أمامه وهو يكاد لا يعى ما تقوله .

ـ هل تعرف معنى أن يلقى بك فى الشارع ؟.. نعم . لقد القانى زوجى فى الشارع فى الساعة الثانية صباحا ، وليس على غير الثياب التى البسها ، ثم اغلق الباب خلفى وأمر الخدم أن لا يدعونى ادخل البيت بعد ذلك ابدا والا طردهم على الفور . قضيت تلك الليلة بطولها جالسة على مقعد خشبى بالشارع . وفى صباح اليوم التالى اقترضت خمسة دولارات من خادمتى القديمة لكى اجد مأوى ولكى لا اقضى الليلة التالية فى الشارع .

ـ لماذا لم تأتى فى ذلك الوقت اذن وتدلى بشهادتك فى صالحه ما دمت قد فقدت كل شىء ، ولم يعد هناك ما تخشينه ؟

www.ibtesamh.com/vb

ـــ لم يعد هناك ما أخشاه ؟.. لقد انذرنى زوجى اننى اذا فتحت فمى ، واذا فضحت اسمه أو اشتركت فى أية فضيحة فسوف يسجننى فى مصحة لمدمنى الخمر . وكان فى مقدوره أن يفعل ذلك بسهولة لأنه ثرى وواسع النفوذ . وما كنت لأبرحها بعد ذلك أبدا .

ـــ ليس هذا عذرا على كل حال ، فلابد انك كنت تعرفين اننا كنا نبحث عنك . وما كنت تجهلين ذلك .. ومهما يكن ، فانك تركت بريئا يمضى الى الموت . ولكن اذا كنت لم تفعلى خيرا فى حياتك أبدا حتى اليوم فسوف تفعلين الليلة . ستذكرين ما تعرفين وتنقذين سكوت هندرسون .

لزمت الصمت لحظة ثم أدارت رأسها فى بطء وقالت اخيرا : نعم . اننى على استعداد لأن أفعل ما تريد . لا ريب اننى كنت عمياء لأننى لم أدرك ذلك من قبل .. ولكن أظن اننى لم أفكر فيه أبدا قبل الليلة . لم أفكر الا فى نفسى وفيما أضعته بسبب تلك الساعات . ولكن يسعدنى الآن أن أفعل شيئا فيه خيره .

قال مكشرا : يمكنك أن تعتمدى على ذلك . فى أية ساعة التقيت به فى الليلة ، فى ذلك البار ؟

ـــ فى الساعة السادسة وعشر دقائق . نظرنا فى نفس الوقت الى ساعة الحائط .

ـــ وستقولين لهم ؟.. هل انت على استعداد لأن تقسمى على ذلك ؟

قالت فى اعياء : نعم . سأقول لهم . أقســـــم على ذلك .

ـــ ليغفر الله لك ما فعلت بهذا الرجل .

وعندئذ بدا أن شيئا ذاب فيها ، فقد رفعت يديها الاثنتين الى وجهها المحنى وبقيت هكذا دون أن تبدى

www.ibtesamh.com/vb

أية حركة ، يهزها العذاب الذى يعصف بقلبها . لم يسبق له أن رأى من قبل شخصا فى مثل حالتها هذه . ولم يخاطبهـــا ، ولم ينظـــر اليهـــا الا من خـــلال المرآة العاكسة . ثم أدرك أن كل شيء قد انتهى ، وتهدلت ذراعاها وسمعها تقول كما لو كانت تحدث نفسها : ان المرء يحس كأنه يتطهر عندما يعز على شيء كان يحجم عنه دائما .

وتابعت السيارة طريقها . ولم تعد أمامهما سيارات وانما كانت تأتى لمقابلتهما ، منطلقة الى المدينة التى خلفاها وراءهما .

وسألته فى صوت كئيب : أين نمضى ؟

ـــ اننى ذاهب بك الى السجن رأسا تحاشيا لكل تعقيدات واللاجراءات التى قد تعرقل مساعينا .

ـــ هذا صحيح .. فتنفيذ الحكم الليلة .

ـــ نعم . بعد ساعة ونصف . سنصل فى الميعاد .

وانطلقت السيارة بهما الآن فى جوف الريف المشجر . وكانت أغصان الأشجار مكسوة بالبياض فكانت تبدد ظلام الليل . ولم يكن هناك نور فيما عدا نور المصباحين الأماميين .

ـــ ولكن اذا حدث ووقع ما من شأنه أن يؤخرنا .. كعجلة تنفجر مثلا .. أليس من الأوفق أن نتكلم فى التليفون ؟

ـــ اننى أعرف ما أفعل . أراك الآن قلقة لأول مـــرة .

ـــ نعم . لأننى أدركت الآن الضرر الذى ألحقته به وأريد اصلاحه بأسرع ما يمكن .

قال : يا له من تغيير . لم تتحركى طوال خمسة

www.ibtesamh.com/vb

شهور ، ولم تحركي أصبعا واحدا لنجدته ، وها أنت ، فى أقل من ربع ساعة مستعدة لانقاذه .

قالت فى هدوء : نعم . فلم يعد يهمنى أى شيء آخر . لم أعد أهتم بزوجى ولا بتهديده أو بوعيده . انك فتحت عينى وكل شيء يبدو لى مختلفا الآن .

ومرت بيدها فوق جبينها فى تقزز وقالت : أريد أن اثبت لنفسى اننى شجاعة ، ولو مرة واحدة ، فاننى مشمئزة لأننى كنت جبانة طوال حياتى .

واستمرا ينطلقان ، بعد ذلك ، فى صمت حتى سألته من جديد فى شيء من القلق : هل تكفى شـــهادتى لانقـــاذه ؟

ـــ ستكون كافية لتأجيل التنفيذ على كل حال . وبعد ذلك سيتكفل المحامون بالباقى .

وفجأة ، لاحظت انه انعطف الى اليسار وانه بارح الطريق العام ، وأصبحت المطبات أكثر ولم تعد تقابلهما أية سيارة ، وبدا كل شيء ميتا حولهما .

ـــ ولكن لماذا أخـــذت هـــذا الطريق ؟.. الم يكن الطريق الأول يؤدى الى السجن مباشرة ؟

ـــ نعم . ولكن هذا طريق أقصر اتخذته اكتســـابا للوقت .

وبدت تمتمة الريح من كل ناحية من السيارة أشـــد وأقوى وأقرب الى الأنين .

وعندما تكلم من جديد وهو لا يزال يحدق أمامه وذقنه تكاد تلمس عجلة القيادة كان لكى يقول :

ـــ عندما تصلين لن تكونى بمثل هذه العجلة .

وعندئذ لم يعودا وحدهما فى العربة .. جلس بينهما شيء آخر .. الخوف بكفته البارد ، وقد أحاط المرأة

www.ibtesamh.com/vb

بذراعيه وراح يطبق عليها بأصابعه الرخامية ، حول عنقها المتوتر .

ولم يتكلما بعد ، وراحت الأشجار تفر أمامهما كأشباح لفها الضباب ، والريح تعصف بانذارها الذى فات أوانه . وبدا وجهاهما اللذان يعكسهما زجاج النـــافذة كقناعين من أقنعة الموت .

وأبطأ ، وانعطف بالسيارة فى طريق ضيق ، فراحت ترقص فوق أرض معوجة ، وتطأ الأوراق الميتـــــة بينما ضاع نور المصباحين الأماميين فى أعماق الغابة ، فيغمر بعض الأشجار بضوئه ويترك ما عدا ذلك فى ظلام دامس . وبدت الغابة كما لو كانت مســـحورة تملأها أشـــــباح الشر . وسألته فجأة فى صـــــوت مخنـــوق :

ـــ ولكن ، ماذا تفعل ؟

وأحست على عنقها نفثة الخوف البارد الذى يطبق عليها وقالت : ان أمرك غريب .. لماذا تسلك هـــذا الطريق ؟

وفجأة ، داس على الفرامل فتوقفت السيارة ، وهدأ المحرك وساد الصمت المطبق داخل السيارة وخارجها فى نفس الوقت . ولم يتحرك شىء غير أصابع يده اليمنى التى راحت تنقر على عجلة القيادة . وتحولت اليـــه وابتلعت ريقها بكل مشقة . وقالت :

ـــ تكلم .. أجبنى .. لم هذا الصمت .. لمـــاذا وقفت .. لماذا ..

قال وهو يشير لها بذقنه : اهبطى .

ـــ كلا . ماذا تريد أن تفعل .. كلا .

وبقيت جالسة ففتح الباب من ناحيتها وقال : قلت لك اهبطى .

www.ibtesamh.com/vb

ـــ كلا . انك تريد أن تفعل بى شيئا .. اننى أقرأ ذلك فى وجهك .

دفعها الى الخارج بكل قواه . وما هى الا لحظـــة حتى كانا يقفان خارج العربة . وأغلق الباب . وكان الجو رطبا ، والظلام دامسا فيما عدا البقعة التى يضيئها مصباحا السيارة .

وقال فى هدوء وهو يمسكها من مرفقها لكى يرغمها على أن تتبعه : تعالى من هنا .

وجرها أمام السيارة ، فى حفيف من الأوراق . ومشت جانبا وهى تنظر يائسة الى ذلك الوجه الذى بقى مستغلقا عليها .

وسارا هكذا ، كما لو كانا يقومان بايمائية لا تعرف موضوعها ، حتى المكان الذى يفقد فيه ضوء المصباحين قوته وتكاد تنقلب الظلمات عليه . وهناك أطلقها . بحيث أوشكت أن تقع . وأمسكها ، وأعانها على الوقوف ثم أطلقها من جديد وقدم لها سيجارة ووضعها بين شفتيها ثم أشعلها لهـــا . وبدا كما لو كان يقوم بطقس من الطقوس . ولكن هذه الحركة بدلا من أن تطمئنها ضاعفت من خوفها . وأخذت نفسا من السيجارة ثم أفلتت السيجارة نفسها من بين شفتيها دون أن تتمكن من احتجازها . وفى حذر ، وطأها هو بقدمه ، بسبب الأوراق الجافة التى تكسو الأرض . وقال :

ـــ حسنا . عودى الآن الى السيارة ، وامشى فى ضوء المصباحين وانتظرينى بالداخل ، ولا تلتفتى الى الخلف على الخصوص . وانما سيرى أمامك قدما .

وبدا أنها لم تفهم ، هذا ما لم يكن الخوف قد شل حركتها . واضطر أن يدفعها لكى تتحرك . وتقدمت بضع خطوات وهى تترنح .

www.ibtesamh.com/vb

وعاد الصوت الذى لا تراه يقول من جديد : تقدمى أمامك ، فى ضوء المصباحين كما قلت لك . ولا تنظـــرى الى الخلف .

ولمـــا كانت امراة . وامراة مذعورة فان النصيحة أتت بعكس ما كان ينتظرم ، ونظرت الى الخلف .

ولم تكن قد بلغت مستوى الرماية بعد ، ولكنه كان يمسك بمسدسه فى يده ويصـــوبه نحوهـــا . وأطلقت صرخة كعصفور جريح استطاع أن يضرب بجناحيه بعيدا عن الأشجار قبل أن يهوى ميتا على الأرض . وحاولت أن تقترب منه كما لو كان ذلك هو الشىء الوحيد الذى يمكن أن ينقذها ، كما لو كانت لا تتعرض للخطر ، الا اذا ابتعدت عنه . وقال فى غلظة :

ـــ ابقى مكانك . اننى أردت أن أسهل لك الأمر . قلت لك أن لا تلتفتى الى الخلف .

تأوهت قائلة : ولكن لماذا ؟.. اننى على استعداد لأن أدلى بكل ما تريد . أعدك بذلك . أقسم لك اننى سأقول كل شىء .

ـــ كلا . اننى سأفعل ما يلزم حتى لا تقولى اى شىء بالذات .. أو يمكنك أن تقوليه له هو ، حين يلحق بك فى الدنيا الآخرة ، بعد نصف ساعة .

وارتفعت يده فى بطء مصوبا المسدس لاطلاقه . كانت هدفا رائعا فى ضوء المصباحين . وكانت دائرة الضوء واسعة بحيث لم تكن تأمل أن تجد ما يكفى من الوقت لكى تبلغ الظلمات المنجية . وتملكها الذعر ، ودارت حول نفسها ، وألفت نفسها أمامه مرة أخرى . وانبعث صوتها الحاد وكان صدى للطلقة التى دوت فى أنحاء الغابة .

وعلى الرغم من أنها لم تكن تبعد عنه الا بخطوات

www.ibtesamh.com/vb

فقد أخطأها دون شك لأنها لم تمس بأى شيء ، ولم يتصاعد من فوهة مسدسه أى دخان ، ولم تستطع أن تفهم شيئا وبقيت مكانها كما لو قد تسمرت قدماها وان كانت راحت تترنح كشريط تدفعه مروحة كهربية . وكان هو الذى مشى خطوة وبلغ شجرة اعتمد عليها بوجهه كما لو كان قد أحس بالخجل مما أقدم عليه . فرأته يمسك كتفه باحدى يديه فى حين كان المسدس يلمع فوق الأوراق الميتة ، فى ضوء النور .

وظهر رجل من خلفها ، واندفع نحوه مجتازا بقعة الضوء . ورأت أن ذلك الرجل كان يمسك مسدسا فى يده ، وان المسدس كان مصوبا نحو الرجل الذى يعتمد برأسه على الشجرة . وفى طريقه اليها التقط المسدس الذى وقع على الأرض ، وعندما دنا من الجريح ومض شيء على مقربة من أيديهما . وسمعت صوتا جافا كفصن مكسور .

ـ وفى الصمت الذى تلى ذلك ارتفع صوت الرجل يقول : اننى ألقى القبض عليك لأنك قتلت مارسيللا هندرسون .

ثم رفع شيئا الى شفتيه ، وسمعت صوت صفارة يدوى مدة طويلة ، قبل أن يطبق الصمت عليهم من جديد .

* * *

كانت قد وقعت على ركبتيها بين الأوراق الميتة ، وقد أخفت وجهها فى راحتيها ، وراح جسدها ينتفض وهى تنتحب متشنجة . وانحنى بورجيس نحوها فى رفق وساعدها على النهوض . وقال :

ـ اننى أعرف ان الأمر كان فظيعا . ولكن إنتهى كل

www.ibtesamh.com/vb

شيء الآن . انك أنقذته . اعتمدى على .. هكذا .. وابكى الآن ما شاء لك البكاء .

ـــ كلا . اننى على ما يرام الآن . اننى سعيدة . وانمـــا كنت أبكى لأننى ظننت انك لن تأتى فى الوقت المناسب لكى ...

ـــ وهذا ما كان سيحدث لا محالة لو اننى اكتفيت بأن أتبعكما . لأنه كان ينطلق مسرعا . انظر ..

وأقبلت سيارة وتوقفت على مقربة . وانفتح الباب . ولكن راكبيهـــا كانوا لا يزالون بعيدا عنهمـــا . وقال بورجيس :

ـــ ولكننى لم أشأ أن أقوم بهذه المجازفة . كنت معك ، مختبئا فى الصندوق الخلفى للسيارة منذ اللحظة التى دخلت فيها المحل . وقد سمعت كل شيء .

ورفع صوته وهو يرى المصابيح الكهربية تدور فى أنحاء الغابة : هل جئت يا جريجورى ، انت والآخرون ؟ لا تضيعوا الوقت ، وعودا الى سيارتكم واذهبوا حتى أول كشك للتليفون . واتصلوا بمكتب النائب العام ، فلم يعد أمامنا غير بضع دقائق . وسأتبعكم فى السيارة الأخرى . قولوا لهم اننى ألقيت القبض على جون لومبارد الذى اعترف بأنه قاتل مسز هندرسون .. وليخطروا نورا ...

قال لومبارد فى صوت يتلوى من الألم : ليست لديك أية قرينة ضدى .

ـــ حقا ؟.. وأية قرينة تريد أكثر من ذلك ؟.. اننى فاجأتك وأنت تهم بقتل فتاة لم تكن تعرفها منذ ساعة . ولأى سبب كنت تريد أن تقتلها الا لأنها كانت الوحيدة التى فى مقدورها انقاذ هندرسون . ولماذا أردت أن تمنعها من ذلك بكل قواك ؟.. لأن ذلك كان كفيلا باعادة

www.ibtesamh.com/vb

التحقيق فى القضية من جديد ولأن الشبهة كانت سترقى اليك . لست بحاجة الى قرينة أخرى لادانتك .

ولحق بهم أحد رجال الشرطة ، وكان قد أقبل مع جريجورى وقال : هل تريد مساعدة ؟

ـــ نعم . خذ هذه الفتاة حتى السيارة فقد مرت بتجربة شاقة ، وهى بحاجة الى من يعنى بها .

حملها الشرطى القوى بين ذراعيه كما لو كان يحمل طفلا ، وقال من فوق كتفه ، بينما كان يمضى نحـــو السيارة .

ـــ ولكن من هى ؟

أجابه بورجيس وهو يجر أسيرم من أصفاده : هى فتاة ثمينة ، فاحرص عليها جيدا وامش بهدوء . انها فتاة هندرسون .. كارول ريتشمان .. وليس هناك من الرجال من هو أشجع منها .

غداة يوم التنفيذ

كانا يجلسان فى غرفة المعيشة بالمسكن الصغير الذى يقطنه بورجيس ، وكانت هذه أول مرة يرى كل منهما الآخر بعد اطلاق سراحه . وكان بورجيس هو الذى دبر هذا اللقاء ، فقد قال لكارول :

ـــ لماذا تنتظرينه أمام السجن ؟.. ألم يجد كل منكما كفايته من هذه الجدران الكئيبة ؟

وها هما يجلسان الآن ، أحدهما بجوار الآخر ، فوق الأريكة ، على ضوء المصباح الهادىء .. وكان هندرسون يمسكها من خصرها فى حين ألقت هى برأسها على كتفه .

وأقبل بورجيس ، ورآها فى هذه الحالة فأحس بغصة فى حلقه وقال فى صوت خشن فى محاولة لاخفاء انفعاله :

www.ibtesamh.com/vb

ـــ كيف الحال الآن ؟

أجاب هندرسون فى افتتان : كل شىء يبدو لى رائعا. كدت أنسى متعة المشىء فوق السجاد والجلوس على المقاعد الوثيرة .

وأردف يقول وهو يداعب رأس كارول بذقنه ولكن أروع شىء هى هذه .

وتبادل بورجيس والفتاة نظرة عطف واشفاق وقال المفتش : اننى قادم الآن من مكتب المدعى العام . انه أدلى باعترافات كاملة .

قال هندرسون وهو يهز رأسه : لا أستطيع أن أصدق هذا . ما الذى حمله على أن يفعل هذا ؟.. هل كان يحب مارسيللا .. ولكنهما لم يلتقيا أكثر من مرتين ، على ما أعلم .

ـــ نعم ، على ما تعلم . ولكن ألم تلحظ أنها كانت تخرج كثيرا ؟

ـــ بلى . ولكننى لم أعلق أهمية على ذلك ، لأننا لم نكن أكثر من مخلوقين يعيشان فى نفس المسكن .

مشى بورجيس فى الغرفة خطوة أو خطوتين ثم عاد الى الأريكة وقال : نعم . كانا يلتقيان خلسة ومن غير أن تعلم يا هندرسون . ولكن يجب أن أقول لك قبل أى شىء آخر أن هذه العلاقة كانت من طرف واحد ، فان زوجتك لم تكن تعشق لومبارد ، والا لبقيت على قيد الحياة حتى اليوم . ولكنها كانت امرأة لا تحب الا نفسها ولا يهمها الا اعجاب الناس بها والمراء . كانت تحب الغزل واللعب بعقول الرجال ، ولا شىء أكثر ، وهذا أمر لا ضرر منه مع تسعة رجال من عشرة ، ولكنه شديد الخطر مع الرجل العاشر . ولم يكن لومبارد فى نظر زوجتك بأكثر من رجل تخرج معه ووسيلة لكى

www.ibtesamh.com/vb

تكيل لك بنفس الكيل الذى تكيل أنت لهـــا به ، لكى تثبت لنفسها انها ليست بحاجة اليك . ولكن لسوء الحظ ، كان لومبارد الرجل العاشر فى نفس الوقت ، اى ذلك الذى لم يكن يجب أن تلعب بعقله . كان قد قضى جزءا كبيرا من حياته حول آبار البترول ، فى قفار بعيدة ، ولم يكن قد خبر النساء بعد ، وعندما قالت له انها تحبه صدقها وحمل قولها محمل الجد . وقد أطربها ذلك طبعا لأنه أرضى غرورها .

ـــ ومن المؤكد انها سايرته حتى آخر لحظة ، وتركته يبنى مشاريع عن المستقبل تدور حولها ، وهى تعرف انها ستتخلى عنـــه . وقد وقع ذلك العقـــد بأمريكا الجنوبية ، وهو يعتقد انها ستعيش معه هناك . بل انه اشـــترى بيتا هنـــاك وجهـــزه بكل ما يلزم من المفروشات . وكانت قد اتفقت معه على انها ستحصل على الطلاق بمجرد وصولها الى أمريكا الجنوبية لكى تتزوجه هو . ورجل فى مثل سنه يكرم أن تســـــايره المرأة ، زد على ذلك انها تصرفت معه بطريقة بشعة ، فبدلا من أن تمهد للقطيعة ، ومن أن تترك له فرصة للتغلب على هذه المحنة استمرت فى تمثيليتها ، لا لشىء الا لأنها أرادت أن تستغله حتى آخر لحظة وأن تستمتع بمكالماته التليفونية ودعواته للعشاء وقبلاته فى سيارات الأجرة .. كانت بحاجة الى كل هذا لترضى وتشـــبع نزواتها ، فقد ألفت ذلك . ولهذا السبب راحت تؤجل قطع صلتها به ، وانتظرت حتى الليلة التى كان يجب أن يســـتقلا فيها الباخـــرة لكى يســـافرا الى أمريكا الجنوبية .. وحتى اللحظة التى أقبل فيها لكى يصحبها الى الباخرة .. بعد انصرافك على الفور .

ولا يدهشنى انها قضت على نفسها بهذه الطريقة ،

www.ibtesamh.com/vb

بل ان العكس ما كان الا ليثير دهشتى . وقد اعترف لومبارد بأنه بلغ البيت وانت لا تزال موجودا معها وانه صعد الى بسطة الدور العلوى وانتظر حتى رآك تنصرف وتصفق الباب خلفك . وشاءت الصدفة أن لا يراه أحد ، لا وهو داخل ولا وهو خارج . وقرع الجرس ففتحت له ثم عادت فجلست أمام طاولة الزينة. وعندما سألها اذا كانت قد أعدت حقائبها واستعدت للرحيل ضحكت ساخرة وسألته هل يتكلم جادا ، وهل اعتقد حقا انها ستذهب معه الى أمريكا الجنوبية وتتخلى عن كل شيء وتضع نفسها تحت رحمته بهذه الطريقة وتجازف بأن لا يتزوجها بعد ذلك . كلا . ان وضعها الحالى لا بأس به ولن تقامر وتجرى وراء الوهم والخيال .

وكانت ضحكتها هى التى تسببت فى المأساة . ولو انها بكت وهى تقول له هذا ، أو لو انها تكلمت بكل جد ولم تسخر منه لانصرف لومبارد وأغرق همه فى الشراب حتى يسكر ويفقد عقله . هكذا قال واننى

ـ ولكنه قتلها .

ـ نعم . قتلها . كانت ربطة عنقك ملقاة فوق الأرض فالتقطها بغير شعور ولم يدرك ما فعل الا بعد أن انتهى من كل شيء .

قالت كارول وهى تنظر الى الأرض : اننى أفهمه ولا أستطيع أن ألومه .

قال بورجيس : وأنا أيضا لا ألومه . ولكن لا عذر له فيما فعل بعد ذلك ، فقد انقلب على صديقه وبذل كل جهده لكى يدان بجريمته هو ويكفر عنها مكانه .

قال هندرسون بغير موجدة : ولكن ماذا فعلت له ؟

ـ ان الأمر بسيط وخطير فى نفس الوقت . فانه لم

www.ibtesamh.com/vb

يستطع أن يفهم لماذا فعلت زوجتك به ذلك ، وطردته من حياتها هكذا بكل قسوة . لم يدرك أن تصرفها هذا نابع من طبعها ، وانمـــا خطر له انها عادت الى حبك من جديد . ولهذا السبب اعتبرك مسئولا عما حدث وأراد أن ينتقم منك . ورغم انه قتلها بيديه الا أن الغيرة بلغت به الى حد انه أراد أن يقتلك أنت أيضا .

هز هندرسون رأسه فى بطء فى حين استطرد بورجيس يقول : وقد خرج من البيت دون أن يراه أحد وراح يبحث عنك . وكان صدى شجاركما ، أنت وزوجتك قد تناهى الى أذنيه وهو واقف على البسطة . وقـــد اعترف لنـــا بأن فكرته الأولى كانت تقوم على أن يتظاهر بأنه التقى بك صدفة فيقول لك : هالو . . كيف حالك . كنت أظن انك خارج الليلة أنت وزوجتك . وكنت سترد عليه بطبيعة الحال بأنك تشاجرت معها ، وكان من الضرورى لنجاح خطته أن يسمع منك أنت بهذه المشاجرة لأنه لم يكن يستطيع أن يشير اليها فيما بعد من غير أن يورط نفسه ، فانه اذا قال انه سمعكما تتشاجران فانه يعترف بذلك بأنه كان موجودا على مقربة من مكان الجريمة ، فى حين أنك اذا أخبرته أنت بذلك فانه يستطيع أن يقول انك اعترفت له بانك تشاجرت مع زوجتك .

وكان قد بنى خطته على أن يحملك على الشراب حتى تسكر ، ثم يصحبك بعد ذلك الى مسكنك ، وبذلك يكون حاضرا عندما تكتشف جثة زوجتك ويتظاهر عندئذ بأنه مضطر الى الاعتراف بأنك تشاجرت مع زوجتك قبل أن تخرج ، وبهذا يصبح بعيداً عن الشبهات ، ولا يكون فى نظر رجال البوليس أكثر من صديق التقى بك صدفة ورأى أن يصحبك الى مسكنك لأنك كنت فى حالة قصوى من السكر . وكان يعتقد انه سيجدك وحدك فى تلك

www.ibtesamh.com/vb

الليلة ، لأنك قلت له أثناء النهار انك تنوى أن تذهب الى مكانين ، أنت وزوجتك .. فتتناول العشاء فى البيت الأبيض وتذهب بعد ذلك الى مسرح الكازينو . وما كان بوسعه أن يعرف أنك ستمضى الى بار انسلمو ، لأنك أنت نفسك لم تكن تعلم انك ستذهب اليه .

ولهذا مضى الى مطعم البيت الأبيض رأسا ، وجلس فى ركن قصى منه ، ورآك تدخل ومعك سيدة . وتغيرت خطته على الفور لأنه لم يكن فى استطاعته أن يلتقى بك لكى تروى له مشاجرتك مع زوجتك ، ولأن تلك السيدة التى ترافقك كان فى مقدورها أن تثبت براءتك ، لو اتفق والتقيت بها عقب خروجك من البيت . وقد أدرك عندئذ أهمية هذه السيدة بالنسبة لك وبالنسبة له فى نفس الوقت . ولهذا غير خطته على الفور فخرج مسرعا واختبأ فى مكان لا تراه منه . وكان يعلم انك تنوى أن تذهب الى ملهى الكازينو ولكن كان لابد له من أن يتكد من ذلك لأنه كان فى استطاعتك أن تغير رأيك

وعندما رآك تخرج وتستقل سيارة أجرة أسرع هو الآخر فاستقل سيارة أخرى ، وتبعك حتى داخل المسرح وجلس فى مكان بعيد عنك وراح يراقبك طوال السهرة .

وعندما خرجت أوشك أن يفقد أثركما فى الزحام ، ولكن الخطر كان بجانبه وكان الشىء الوحيد الذى لم يره هو واقعة المتسول الضرير .

وتبعكما حتى عدتما الى بار أنسلمو . وانتظر على مقربة وهو لا يعلم ان هذا البار هو محور براءتك ، ورآك تنصرف وحدك . وأدرك عندئذ انك تصرفت تماما كما قلت لزوجتك ودعوت أول امرأة التقيت بها . وكان عليه أن يسرع بالاختيار بين أن يتبعها هى وأن يتبعك أنت ، ولم يتردد كثيرا ، وأملت عليه غريزته بالخيار

www.ibtesamh.com/vb

الصحيح لأنه لو كان قد تبعك أنت عندئذ لحامت الشبهات حوله بدلا من أن يدينك أنت ، لأن الباخرة التى حجز مقصـــورة فيها كانت ستغادر الميناء فى ذلك الوقت بالذات ، ولو انه رافقك لاستغرب رجال البوليس ذلك لأن المفروض أن يكون على سطح الباخرة . ولهـذا تركك وانتظر المرأة لكى يتحقق من مدى فائدتها لك وضررها له .

ولم يحاول اعتراض طريقها عندما خرجت طبعا ، فقد أراد أن يعرف من هى أولا وماذا فعلتما أثنـاء السهرة . ومتى التقيت بها . وأن يرى ان كان فى فى مقدورها التدليل على براءتك . وكان ينوى فى تلك الحالة أن يلتقى بها ويحاول اقناعها بالتزام الصمت ، وأن يقتلها اذا لم يتمكن من ذلك حتى لا تنكشف جريمته الأولى .

ولسبب ما ، وعلى الرغم من أن الوقت كان متأخرا فقد راحت السيدة تسير على قدميها ، وكان من السهل عليه أن يتبعها دون أن تدرى بأمره . وحسب فى بادىء الأمر انها تقطن على مقربة ولكنها ظلت تمشى ببطء وعلى غير هدى . وجلست بعضا من الوقت فوق مقعد بجوار تمثال الجنرال شيرمان ، كما لو أن السـاعة كانت الثالثة من بعد الظهر . ولكنها لم تلبث أن نهضت وراحت تمشى من جديد . ودخلت فندقا حقيرا ، ورآها من خلال الباب الزجاجى توقع فى السجل وأدرك عندئذ انها دخلت فجأة وتحت نزوة طارئة .

وما أن اختفت فى السلم حتى دخل لومبارد بدوره وطلب غرفة ، وبذلك استطاع أن يعرف اسم السيدة ورقم الغرفة التى صعدت اليها ، واستطاع أن يحجز الغرفة التى بجوارها ، وكانت شاغرة .

www.ibtesamh.com/vb

وبقى فى غرفته بضع لحظات حتى تأكد أنها نامت ، واستطاع من خلال الفاصل الخشبى الرقيق أن يتابع حركاتها وهى تنضو ثيابها وتعلقها ، ثم سمع صوت مفتاح النور وصرير الفراش . وفتح نافذته ، ورأى انها تطل على المنور . وانه يستطيع بكل سهولة أن ينتقل الى الغرفة المجاورة عن طريق احدى أنابيب الصرف .

واذ اطمأن من ناحيتها غادر الفندق وكانت الساعة قد أوشكت على الثانية . واستقل سيارة أجرة وعاد الى بار أنسلمو . ولم يكن بالبار أحد فى ذلك الوقت ، وتمكن بلباقته من أن يعرف كل ما يريد من الساقى . وعرف أن فى مقدور المرأة أن تدلك على براءتك .. ولكن أظن اننى لا أضايقك بسرد كل ذلك بالتفصيل ؟

أجابه هندرسون : كلا . استمر .

ــ لم يفقد لومبارد وقته عندئذ فقد سأل الساقى : كم تريد لكى تنسى ان هذه المرأة التقت بذلك الرجل هنا . لا حاجة بك لأن تنساه هو ، وكل ما عليك هو أن تنساها هى . وأبدى الساقى تسهيلا كبيرا وعندئذ قال له لومبارد « وذلك حتى اذا استجوبك البوليس » واذ ذاك تردد الرجل ولكن لومبارد أخرج ورقة من فئة الألف دولار من جيبه كان لها فعل السحر وتغلبت على تردد الساقى . غير أن لومبارد عزز الاتفاق بأن هدد الرجل تهديدا جرىء اذا هو لم يوف بوعده . وقد رأيت كيف أحدى هذا التهديد تأثيره على الساقى فلم يتزحزح عن أقواله .

واذا تأكد لومبارد منه انتقل الى الشهود الآخرين. وكان المطعم قد أغلق أبوابه فى ذلك الوقت وكذلك المسرح بيد أنه استطاع أن يجمع ما أراد من معلومات عن الأشخاص الذين يهمونه وأن يتصل بهم فى بيوتهم .

www.ibtesamh.com/vb

وما ان بلغت الساعة الرابعة صباحا حتى كان قد أقفل الحلقة بشرائه صمت سائق التاكسى آل آلب ، ورئيس الخدم بالمطعم ومراقب الكازينو . وكان على السائق أن ينكر أنه رأى السيدة ، أما رئيس الخدم فقد حصل على مبلغ كبير لكى يعطى للنارل نصيبه منه ، وكان هذا الأخير لايستطيع أن يرد له طلب خوفا من أن يعمل على طرده من المطعم . أما مراقب المسرح فقد اشتراه لومبارد واستطاع أن يجعل منه حليفا له . وكان هذا الأخير هو الذى ذكر له أن أحد الموسيقيين بالاوركسترا يفخر بأنه حاز اعجاب السيدة المذكورة . ولم يتمكن لومبارد من الاتصال بذلك الموسيقى الا فى مساء اليوم التالى . ولكن حظه أراد أن نهمل أفراد الاوركستر بحيث لم يكن لهذا التأخير أية أهمية بالنسبة له .

وهكذا نجده قبل الفجر بساعة وقد أفلح فى محو كل أثر لمرور هذه المرأة فى مختلف الاماكن التى رافقتك اليها . وعاد الى الفندق بعد ذلك وقد عقد النية على قتلها لأنها أصبحت تمثل خطرا عليه وخشى أن لايستطيع شراءها .

وعاد الى غرفته وراح يفكر مدة طويلة وهو جالس فى الظلام .. أدرك أن الشبهات ستحوم حوله فى هذه الجريمة الجديدة طبعا ، ولكنه لم يلبث أن اطمأن الى أن أحدا لن يعرف عنه شيئا لأنه وقع فى سجل الفندق باسم مستعار ، ثم انه كان فى نيته اللحاق بالباخرة عن طريق الجو ، ولم يكن هناك ما يخشاه لأنه لم يكن ينوى العودة بعد ذلك أبدا .

وفتح نافذته وانتقل منها الى النافذة المجاورة ، وكانت مفتوحة لأن الجو كان حارا ، وتقدم داخل الغرفة فى حذر ثم اندفع نحو الفراش وأطبق بيديه على موضع

www.ibtesamh.com/vb

العنق من الجسد الراقد لكى يمنع صاحبته من الصراخ ولكن يديه أطبقيا على الأغطية ، فقد كانت المرأة غير موجودة .. كانت قد عادت تتسكع من جديد بعد أن استراحت بعضا من الوقت .

وعندما هدأ روعه من أثر هذه الصدمة ، هبط الى مكتب الاستقبال وسأل عنها صراحة فقيل له أنها خرجت من قبيل قدومه ، وانها أعادت مفتاح غرفتها . ولم يستطع أحد أن يدله على الطريق الذى مضت

وهكذا خرج الأمر من يده وانقلبت اللعبة عليه ، واختفت المرأة التى قضى الليل كله وأنفق مئات الدولارات لكى تغدو شبحا ، وتحولت الى شبح بالنسبة له ، ولم يكن يريد ذلك أبدا . وكان هذا الشك شديد الخطر عليه لأن المرأة كان يمكن أن تظهر فى أية لحظة وتدلك على براءتك .

وكان لا يزال أمامه بعض الوقت على قيام الطائرة التى كان يتعين عليه أن يستقلها لكى يلحق بباخرته فاستخدمه فى بحث يائس عن هذه المرأة . وانقضى النهار التالى ثم الليل دون أية نتيجة . واضطر أخيرا أن يغادر نيويورك وهذا الخطر مصلت فوق رأسه .

ولحق بباخرته فى هافانا عن طريق الجو فى اليوم الثالث لارتكابه الجريمة ، وتعلل بأنه لم يستطع اللحاق بالبابخرة بسبب تناوله عشاء دسما أعاقه عن الحركة .

وهذا هو السبب فى انه أسرع بتلبية النداء الذى أرسلته اليه للاستنجاد به ، فقد كان هذا هو العذر الذى ينتظره لكى يعود لمطاردة الشبح ويبحث عنه علنا ويحرص على أن لا يهتدى اليه أحد وهو على قيد الحياة .

ـ كنت تشتبه فيه اذن عندما أتيتنى فى ذلك اليوم

www.ibtesamh.com/vb

وطلبت منى أن استنجد به . ولكن ما الذى جعلك تشك فى أمره ؟

ـــ لا ادرى متى بدأت أشك فيه حقا . ولكن حدث ذلك رويدا ، كلما أخذت أشك فى أنك ارتكبت الجريمة . لم يكن هناك أى شىء محدد ضده . ولم يترك أية بصمة من بصماته فى المسكن . وأتذكر أننـــا وجدنا بعض المقابض عذراء من كل أثر مما يدل على أن ما عليها من بصمات قد أزيل بكل عناية . ولم يكن فى البداية الا مجرد اسم ذكرته أنت فى التحقيق .. اسم صديق عزيز عرض عليك قضاء آخر ليلة له هنا معه قبل رحيله واضطررت أنت أن ترفض عرضه هذا بسبب زوجتك . ودفعنى الروتين الى التحرى عنه لا شىء الا لأنه قد يفيدنا فى التحقيق ، وأنه قد يسد بعض الثغرات . وهكذا عرفت أنه غادر نيويورك كما قلت لنا ، ولكن الشركة البحرية أفادت بأنه لم يستقل الباخرة عند ابحارها وانه لحق بها فى هافانا ، كما أفادتنا بأنه كان قد اشـــترى تذكرتين له ولزوجته وأنه رحل وحده ، وعندما تعمقت فى أبحاثى عرفت أنه غير متزوج .

قال هندرسون : ولم تذكر لى شيئا من كل ذلك .

ـــ كنت مضطرا الى التزام الصمت لأننى لم أكن أملك شيئا محددا ، ولأننى كنت أتعرض لخطر كبير لو اننى أطلعتك على شىء من شكوكى ، لأنك كنت كبير الثقة فى صديقك وخشيت أن تسر اليه بأننى أشتبه فيه . ومن ناحية أخرى أشفقت أن لا تحسن القيـــام بدورك حتى اذا كنت تشاركنى وجهة نظرى ، وان ينم وجهك عما يعتمل فى نفســـك ، ويفطن لومبـــارد الى الحقيقة فيأخذ حذره . ولهذا فضلت أن أستخدمك كما يستخدم المنوم وسيطا له ، أعنى من غير أن تعرف

www.ibtesamh.com/vb

الغرض الذى أهدف اليه . ولم يكن الأمر بسيط . . فخذ مسألة البرنامج مثلا . .

ـــ نعم . ظننت أنك أصبت بمس من الجنون ازاء الطريقة التى رحت تدفعنى بها الى تكرار الحركات التى يجب أن أقوم بها والكلمات التى يجب أن أنطق بها فى هذه المناسبة . هل تعرف ماذا خطر لى ؟ حسبت أنك تضطرنى أى كل هذا حتى تمنعنى من التفكير فى ساعة الموت التى كانت تقترب . وقد أطعتك بدون أى احتجاج، ولكن كل شيء هل كان للومبارد دخل فى الأحداث الغريبة التى وقعت فى كل مرة تقترب فيها من نتيجة ما ؟

ـــ طبعا . ولكن أغرب ما هناك هو أن كليف ملبورد انتحر حقا . وقد تأكدنا من ذلك . ولقى الساقى حتفه قضاء وقدرا . أما الميتتان الأخريان اللتان بدت كل منهما كما لو كانت حادثا وقع قضاء وقدرا فقد كانتا من تدبيره على الرغم من أنه لم يستخدم فيها أى سلاح .

ولنبدأ بالضرير المزعوم . . لقد غادره لومبارد زاعما أنه سيتكلم معى فى التليفون ، وقد أدرك أن ذلك المتسول الذى يتظاهر بأنه مكفوف يخشى أن اتصال بالبوليس ، وكان متأكدا من أنه ما يكاد يتركه حتى يحاول الهرب بأسرع ما يمكن .

وما كاد يخرج من الغرفة حتى ربط سلكا رفيعا عند مستوى العرقوبين ، بطول الدرجة الأولى من السلم . . ربطه من ناحية بالدرابزين ومن الناحية الأخرى بمسمار بارز فى الجدار ، ثم أطفأ النور لأنه كان يعرف أن المتسول سليم النظر . ثم تظاهر بأنه يهبط السلم ، وضرب بقدمه على آخر درجة ثم اختبأ فى البسطة السفلى .

وخرج الرجل من غرفته مسرعا لكى يبادر بالفرار قبل لومبارد وصديقه مفتش البوليس الذى تكلم عنه .

www.ibtesamh.com/vb

وانقطع السلك من شدة الصدمة وتسبب فى سقوط الرجل فى الفضاء ، ولم تقتله السقطة ولكنها أفقدته الرشد . وكان يمكن أن يخرج بورم ضخم فى رأسه لو لم يكن لوبمارد موجودا ليجهز عليه .

فقد تخطى الرجل المغمى عليه ، وفك قطعة السلك من الناحيتين ثم عاد لكى يفحص ضحيته . وكان الرجل قد ارتطمت رأسه بالجدار فما كان من لومبارد الا أن ضغط على عنقه وزهق روحه .

ثم خرج بعد ذلك واتصل بى ، وكان من الذكاء بحيث طلب من أحد رجال الشركة أن يراقب البيت وأن يبقى مكانه حتى يعود .

ولكن هذا الحادث الذى جاء فى غير وقته المناسب بالنسبة لنا أكد شكوكى فيه ، غير أنه لم يكن لدى أى دليل ، وكان لابد من الاستمرار والتظاهر بالغباء والانتظار .

قال هندرسون : ومسز دوجلاس ؟

ــ لقد أظهر لومبارد ذكاء كبيرا وبراعة فائقة فى هذه الجريمة . فقد كانت هناك سجادة تمتد من بعد الباب بقليل حتى النافذة ، وكانت نافذة فرنسيا ما كاد يراها حتى نبتت الفكرة فى ذهنه . وقدر المسافة التى يحتاج اليها بالنظر ، واكتشف المكان الذى يمكن أن تفقد فيه توازنها وتقع من النافذة .

وليست هذه النظرية من عندياتى، ولكن كل ذلك مكتوب حبرا على ورق ، بناء على الاعترافات التى أدلى بها لومبارد نفسه . فبعد أن فرغ من تحرير الشيك نهض ومضى نحو النافذة وراح يحركه فى يده كما لو كان يريد أن يجفف الحبر ثم توقف بجوار المكان الذى أرادها أن تقف فيه وبسط الشيك اليها . واقبلت اليه واخذته

www.ibtesamh.com/vb

منه ، وكان من الطبيعى أن تبقى مكانها وان تنظر اليه لكى تتحقق من الرقم الذى سطره .

وكان هذا ما أراده بالذات ، وأسرع مبتعدا عنها فى خطوات سريعة ثم انحنى وأمسك بطرفى السجادة ورفعها الى أعلى مرة واحدة وبكل قوة ، فلم تستطع المسكينة أن تحتفظ بتوازنها وارتدت الى الخلف وهوت من النافذة قبل أن تجد ما يكفى من الوقت لكى تصرخ .

رفعت كارول يديها الى وجنتيها وقالت : يا الهى ! . هذه أفظع من جريمة قتل بالخنجر أو بالمسدس .

ـ نعم . ولكنها جريمة يتعذر اثباتها ضده أمام هيئة المحلفين ، فهو لم يمس مسز دوجلاس بيده ، ومع ذلك فقد غدرت به السجادة لان التجاعيد كانت من ناحية الباب فى حين أنه كان ينبغى أن تكون من ناحية النافذة لو أن قدمها زلت حقا ووقعت قضاء وقدرا .

ونأتى الان الى السيجارة التى كانت تحترق . كان المفروض أن أعتقد أنها وقعت قبل قدومنا بلحظات فى حين أنه كان قد مضى نحو ربع ساعة منذ اتصاله

ولكن السيجارة كانت خدعة طبعا الا أنها لم تجز على ، فقد أخذ سيجارتين ، وأزال القليل من الدخان من الطرف الأخير لكل منها ثم ادخل احداهما فى الاخرى، وأدخلهما معا فى السيجارة التى سبق أن أشعلها ثم أشعلها من جديد من الناحية السليمة ووضعها فوق المنضدة فى موضع بحيث لا يمكن أن تنطفىء .

بيد أن هذا العمل الذى أراد أن يثبت به عدم وجوده فى مكان الجريمة وقت وقوعها قد أربكه من ناحية أخرى، فقد تعين عليه أن يذكر لى عنوانا قريبا لكى نعود فى الوقت اللازم قبل احتراق السيجارة كلها ، وكان أن اختار مرفق الحريق .

www.ibtesamh.com/vb

واذا استثنينا هذه النقطة ، نجد أنه قام بعمله خير قيام ، فترك عامل المصعد يسمعه وهو يتحدث الى الغرفة الخالية ، وجعـــل الباب يصفق بأن رده الى الخلف ثم جذبه الى الأمام فى قوة بحيث بدا أنها هى التى أغلقته .

وأنا واثق أنه كان فى مقدورى أن أثبت أنه هو الذى قتل بييريت دوجلاس ، ولكن ما كان فى استطاعتى أن أثبت أنه هو الذى قتل زوجتك ، فقد كان فى وسعه أن يزعم أنه قتل مسز دوجلاس فى لحظة غضب لأنها رفضت أن تذكر له اسم المرأة التى تستطيع أن تدلك على براءتك . ولهذا تظاهرت بالغباء مرة أخرى وبأننى أصدقه ولكننى عقدت العزم على أن أنصب له كمينا .. وأن أحمله على محاولة قتل شخص .. نقوم بمراقبته.

ـــ ولكن ، لماذا اخترت كارول ؟ .. لو أننى عرفت ذلك مقدما لما رضيت أن أقوم بلعبة علبة الســـجائر الفارغة .

ـــ كانت هذه فكرة مس كارول نفسها . وكنت قد اتفقت مع امرأة لكى تقوم بهذه المهمة ، ولـــكن مس ريتشموند علمت بالأمر من الجرائد فجاءتنى وقالت انها تريد الاطلاع بهذه المهمة بنفسها وانها مصممة على القيام بها حتى لو رفضت . ولم استطع الاعتراض طبعا .. ومن ناحية أخرى لم يكن ينبغى أن تتقدم امرأتـــان بنفس البرنامج ذى الصفحات المطوية لحروفها العلوية، ولم يسعنى الا الامتثال واستحضرت خبيرا فى الماكياج وكلفته بأن يجعلها تبدو كما لو كانت قد انحدرت فى السلم الاجتماعى نحو الهاوية .

قالت كارول فى حماس كبير : وهل كنت تنتظر منى أن أدع هذه المرأة تجازف وتقوم بهذا الدور وتفسد الأمور؟

www.ibtesamh.com/vb

.. لم يكن يعنيها شيء أكثر من الحصول على بضعة دولارات ، وما كانت لتقوم بدورها كما يجب .

ولم نكن نستطيع أن نضيع الوقت ، فقد بلغنا أقصى الحدود ، ولو أن خطأ طفيفا وقع لضعت انت يا حبيبى .

وساد صمت قصير ضم هندرسون أثناءه الفتاة اليه ثم قال : الغريب أن المرأة الحقيقية ، ذات القبعة الصفراء لم تظهر وأفلحت فى الاختفاء حتى النهاية .

قال بورجيس : انها لم تحاول الاختفاء ، وهذا أغرب ما فى الأمر .

نظر هندرسون والفتاة اليه فى دهشة ، وقال الأول: وكيف عرفت ذلك .. ؟

هل اهتديت اليها ؟

ـ نعم . وقد عرفت مكانها منذ وقت طويل ، وعرفت شخصيتها منذ شهور .

ـ ولكن كنت .. هل ماتت ؟

ـ كلا . ولكن كأنها ماتت فعلا ، فانه وان كان جسدها لا يزال حيا الا أنها ماتت ذهنيا . انها فى احدى مستشفيات المجانين ، ولن يرجى شفاؤها .

ودس بورجيس يده فى جيبه وأخرج بضعة أوراق وراح يقلب فيها وهو يقول : وقد ذهبت لزيارتها هناك أكثر من مرة وتحدثت اليها . ويبدو من هيئتها أنها تتمتع بكامل قواها العقلية ، ولكنها فقدت ذاكرتها الى الأبد ، فهى لا تتذكر فى يومها ما فعلته بالأمس على الاطلاق . ولم تكن بأية فائدة لنا . ولهذا حاولت جهدى أن أحمل لومبارد على أن يفضح نفسه بأن آتيه بامرأة تزعم أنها هى التى يبحث عنها بطريقة موئسة .

ـ منذ متى وهى ؟ ..

www.ibtesamh.com/vb

ـــ انها دخلت المستشفى بعد أقل من ثلاثة شهور من التقائها بك . .

ـــ وكيف اهتديت اليها .

ـــ أوه . . عن طريق الصدفة ، فبعـــد أن دخلت المستشفى تخلص أهلهـــا من ثيابهـــا ولم تلبث القبعة المشهورة ان ظهرت فى أحد محلات الثياب القديمة . ورآها أحد رجالى . وقال لنا صاحب المحل أنه ابتاعها نظير قروش معدودة من احـــدى جامعات القمامـــة . وبسؤال هـــذه الأخيره قالت لنا أين عثرت عليهـــا . واهتدينا أخيرا الى الخادمة التى ألقت بها فى القمامة . واستجوبت الزوج عندئذ كما استجوبت أفراد الأسرة ، ولم يكن أحد منهم يعرف شيئا يهمنى . ولكننى عرفت منهم ما يكفى لكى أعلم أنها هى التى التقيت أنت بها . وكانت قد ظهرت عليها أعراض الجنون منذ بعض الوقت وكانت تخرج ، وتهيم فى الشوارع ، وانتهى بها الأمر الى قضاء الليالى فى الفنادق ، وقد استطعت أن آخذ صورة لها منهم .

وناول الصورة لهندرسون . وكانت لامرأة نظر اليها هذا الأخير ثم هز رأسه فى بطء وقال :

ـــ نعم ، نعم . يبدو لي أنها هى .

أخذت كارول الصورة منه على الفور وقالت :لاتنظر اليها ، فيكفي ما نالك منها . أليك الصورة يا مستر بورجيس .

أعاد بورجيس الصورة الى جيبه وهو يقول : وقد ساعدتنا هذه الصورة لكى تتنكر الآنسة ريتشموند وتبدو قريبة الشبه بصاحبتها .

لم نكن نريد أكثر من شبه بسيط لأن لومبارد لم يرها جيدا فى تلك الليلة . . رآها من بعيد ومن ظهرها ، وفى

www.ibtesamh.com/vb

اغلب الأحيان ، على ضوء فوانيس الشارع .

قال هندرسون : وما اسمها ؟

مدت كارول يدها على الفور وقالت : كلا . لا تنطق به يا مستر بورجيس . لا أريد أن تتبعنا . اننا سنبدأ حياة جديدة ، ولا نريد شبحا معنا .

قال بورجيس : انها على حق . لقد انتهى الأمر . وما عليك الان الا أن تنساها الى الأبد .

ولكنه على الرغم من قوله هذا ، وعلى الرغم من الصمت الذى تلى ذلك فقد راح ثلاثتهم يفكرون فيها ، كما سوف يفعلون ، رغما عنهم ، حتى آخر يوم لهم فى هذه الدنيا .

(تمت)

التوزيع فى ج. م. ع : مؤسسة الاهرام

التوزيع فى جميع الدول العربية :

الشركة الشرقية للنشر والتوزيع ــ بيروت . لبنان

رقم الايداع ١٩٧٧/٤٣٢٦

الترقيم الدولى/٨ــ٨٠ــ٧٢٩٦ ISBN

مطابع الأهرام التجارية

www.ibtesamh.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

ضربة القدر

انثالت الكلمات على شفتيه حانقة جارحة ، وصفق الباب فى وجه زوجته غاضبا وهو يقول : ((نعم ... سالقى بنفسى فى أحضان أول امراة القاها)) .

ولقى المراة ... وكانت الجريمة التى دفعت به الى حبل المشنقة .

الثمن ١٥ قرشا
فى ج . م . ع

www.ibtesamh.com/vb

Exclusive
For
www.ibtesama.com

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون

التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamh.com/vb